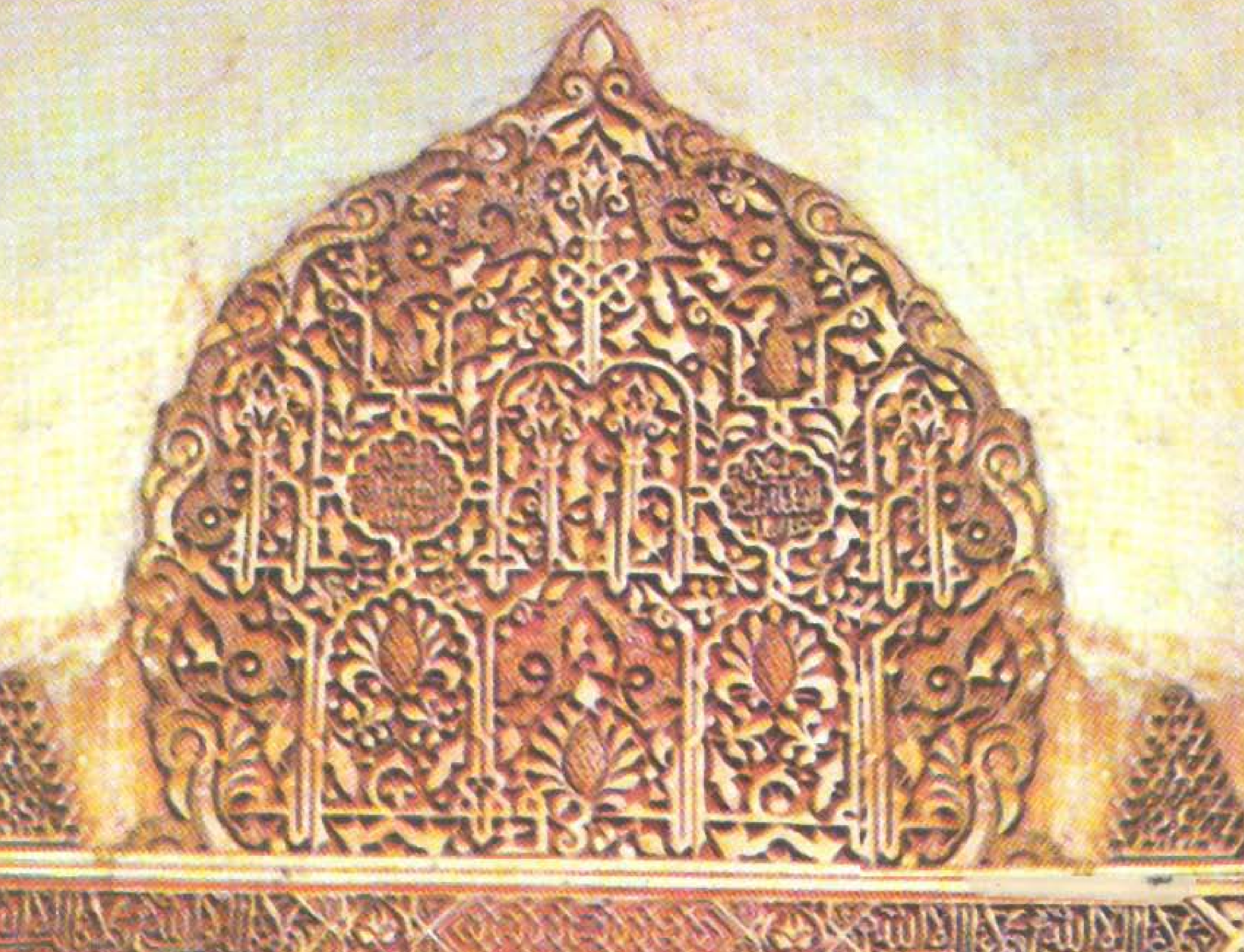
صالح الوردانى

أهل السنة

شعب الله المختار



مدبولى الصغير

ناشــر : **مكتبة مدبـولى الصغير**

٤٥ شـارع البطـل أحمـد عبد العزيـز

تليفون : ٣٤٧٧٤١٠ ـ ٣٤٤٢٢٥٠

ميدان سفنكس ت : ٣٤٦٣٥٣٥

أهل السنة شعب الله المختار

رقـم الإيـداع : ٥٦٨٨ / ٩٦

الترقيم الدولى : 4 - 007 - 285 - 977

الطبعة الأولى : ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م

أهل السنة

شعب الله المختار

دراسة

فى فساد عقائد

أهل السنة

صالح الوردانى

الناشر : مدبولى الصغير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾

سورة التوبة اية رقم ٣١

صدق الله العظيم

لأصحاب العقول فقط :

من كان بيته من زجاج فلايقذف الناس بالطوب ..

تقديم

ابسط ما يقال في عقيدة أهل السنة انها عقيدة حكومية، عاشت في أحضان الحكام منذ نشأتها وحتى اليوم وأخذت من هؤلاء الحكام الدعم والشرعية التي أتاحت لها الاستمرار والانتشار والبقاء..

وهذا هو العامل الوحيد الذى جعل هذه العقيدة في مركز الصدارة وجعل منها عقيدة الأغلبية اذ هى في حقيقتها لاتملك أية مقومات تكفل لها البقاء والانتشار..

إن عقيدة أهل السنة في حقيقتها عقيدة هشة خلقت لمجاراة الواقع وإضفاء المشروعية عليه وكان يمكن لها أن تنتهى بانتهاء هذا الواقع لولا احتضان الحكام لها . .

ولقد قدر لعقائد كثيرة ان تصبح فى ذمة التاريخ على الرغم من كونها تحمل الكثير من المقومات التى تكفل لها الاستمرار والبقاء وسبب ذلك يعود الى معاداة الحكام لها وسعيهم الدائم لاستئصالها...

ونتيجة لحالة الامن والدعم التى واكبت عقيدة أهل السنة منذ نشأتها فى العصر العباسى وحتى الآن...

ونتيجة لالتفاف الجماهير حولها وتحولها الى عقيدة الاغلبية...

ونتيجة للدعاية الواسعة التى واكبتها

ونتيجة لحالة الكبت والبطش والتنكيل التى لاحقت وطوقت العقائد والاتجاهات الاخرى المنافسة لها والتى ادت فى النهاية الى القضاء عليها وانحسار بعضها فى ركن مظلم ومحاصر بشتى الفتاوى الارهابية..

نتيجة لهذا كله وضعت عقيدة اهل السنة فى مقام عال بعيد عن الشبهات

واعتبرت امتداد لعقيدة الرسول (ص) والسلف الصالح مما نتج عنه بالتالي اعتقاد كونها عقيدة الفرقة الناجية من النار من التزم بها وسار على دربها نجا من عذاب النارومن تخلف عنها وخالف منهجها كان من اصحاب دار البوار...

وعاش المسلمون في هذا الوهم الذي باركه الحكام وفقهاء السلاطين تحت حراسة كم هائل من الروايات والفتاوى المختلفة

من هنا لم يجرؤ أحد على الخوض في هذه العقيدة أو المساس بها حيث انها أعتبرت جزء من الدين والمساس بها يعتبر مساسا بالدين.. وظلت العقائد والاتجاهات الأخرى محل نقد وطعن وتشويه على مر الزمان بينما بقيت عقيدة اهل السنة في برج عال تحيط بها هالة من القداسة والعصمة لاتتيح لأحد أن يقترب منها.

وما نسعى لتوكيده في هذا الكتاب هو ان عقيدة أهل السنه كغيرها من العقائد والاتجاهات لاتخرج عن كونها نتاج اجتهادي وضعي يخضع للأخذ والرد وفيها حق وفيها باطل وفيها خطأ وفيها صواب وليس هناك مايميزها عن الآخرين بل ان العقائد الأخرى تتميز عليها..

ولقد استفزتني تلك الكتابات التي تصدر ما بين الحين والأخر عن طريق بعض التيارات الاسلامية وبعض الرموز العاملة في ميدان الدعوة الاسلامية وكذلك بعض فقهاء السعودية والتي تحكم بفساد عقائد الاخرين وتنشر الارهاب الفكري بين المسلمين على أساس عقيدة أهل السنة مصورة هذه العقيدة وكأنها الاسلام مانحه نفسها الحق في محاكمة الاخرين وزندقتهم..

وكان من الضروري التصدي لهذه الكتابات بحكم الواجب العلمي ومن أجل تصحيح التراث الاسلامي والتفريق بين النص والرجال او بين النص والاجتهاد وتنقية النصوص مما علق بها على مر الزمان من اثار السياسة...

إن اهل السنة يعتقدون أنهم يمثلون الحق وينطقون بلسانه وقد ولد هذا الاعتقاد في نفوس المسلمين نزعة التعصب والعداء للمخالفين تلك النزعة التي لها أكبر الأثر في حالة التطرف والانحراف السائدة في الواقع الاسلامي اليوم..

والحق انه يجب الاشارة الى ان الفتن العقائدية التي تسببت في تصدع صف الامة وظهور التعصب وخلق الصدامات الدموية يعود سببها الى الخط الحنبلي.

وقد يكون ابن حنبل بريئاً من هذه الفتن الا انه المؤكد ان الحنابلة من بعدة حملوا راية الصدام واثاروا الفتن ناسبين إليه الكثير من الفتاوى والاقوال ثم هم في النهاية قد استولوا على عقيدة أهل السنة وأصبحوا المتحدثين بلسانها بدعم من القوى الحاكمة في العصر العباسي وعصور أخرى ثم في العصر الحديث بدعم الحكم السعودي الذي يتبنى الخط الوهابي وليد الخط الحنبلي...

ان المواجهة بيننا وبين عقيدة اهل السنة إنما هي مواجهة مع الخط الحنبلي خط ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب على وجه الخصوص ذلك الخط الذي تلحف بالسلف وتستر به وما نتج عن هذا الخط من نتائج سيئة ومؤلة لاتزال تكتوي الأمة بنارها حتى اليوم.

وأخطر نتائج هذا الخط هو ظهور تلك التيارات والجماعات المعوجة التى تسود الواقع الاسلامى اليوم وترفع راية الصدام والتكفير والاستحلال..

المواجهة بيننا وبين عقيدة اهل السنة ليست مواجهة مع السلف فعقيدة أهل السنة شيء والسلف شيىء آخر وهو ما نلقى عليه الضوء فى هذا الكتاب

صالح الوردانى
القاهرة
ص.ب ١٦٣ / ١١٧٩٤
رمسيس - القاهرة

من هم أهل السنة ..؟

متى ظهر لفظ أهل السنة والجماعة. ومتى ظهرت عقيدتهم..؟

ان الاجابة على هذين السؤالين لاوجود لها عند أهل السنة، أو بمعنى أصح هم يجيبون عنهما إجابة مبهمة وغير مقنعة محاولين إلصاق أنفسهم بالرسول (ص) وبالصحابة لأجل اضفاء الشرعية على عقيدتهم وإعطائها الامتداد التاريخي العميق الذي يبدد صورة الشك من حولهم..

وليس من السهل الحكم بان الصحابة في زمن الرسول (ص) وبعده كانوا يسيرون على نهج واحد ويلتزمون بعقيدة واحده فهذا أمر لاتؤيده النصوص القرآنية والنصوص الواردة على لسان الرسول (ص) تلك النصوص التي تؤكد وجود قطاع من المنافقين وقطاع من القبليين وقطاع من المتشيعين لعلى بن أبي طالب..[1]

وأهل السنة يؤكدون على الدوام ان الامة في زمن الرسول (ص) وبعده كانت صفا واحداً تلتزم بعقيدة واحدة وأن الذين انشقوا عن هذا الصف هم شرائم قليلة من أهل الزيغ والاهواء والبدع أو من يطلقون عليهم الروافض والقدرية والجهمية وغيرهم..

ان اهل السنة لم يستطيعوا البرهنة على كونهم امتداد لخط الرسول (ص) وانهم الفرقة الناجية وأصحاب الحق. وإلافما معنى تسمية أنفسهم بأهل السنة والجماعة، هل يعنى هذا أن الآخرين بلا سنة وبلا جماعة.. ؟

وأنهم الذين تلقفوا الدين والسنة من الرسول (ص) دون غيرهم.. ؟

إذا اعتبرنا أن القران والسنة هما ركنى الدين فهذا يعنى أن من حق المسلمين التناول من هذين الركنين والاجتهاد على ضوئهما وان التناول هو حق شرعى لهم كما ان الاجتهاد حق شرعى لهم أيضاً وليس حكراً على أحد أو فئة دون فئة إلا ان اهل السنة يصورون لنا من خلال مواقفهم وتصوراتهم أنهم الجهة الوحيدة المؤهلة

لإحتكار القرآن والسنة والتحدث بلسانهما..

وكما ان لأهل السنة روايات ينسبونها للرسول (ص) فللإتجاهات الاخرى روايات يتبنونها وينسبونها للرسول (ص)...

وكما ان لأهل السنة تفسيرهم للقرآن فللأتجاهات الأخرى تفسيراتها وكما ان لاهل السنة جماعة فللآخرين جماعاتهم..

والفارق الوحيد بين الطرفين هو ان جماعة اها السنة تحالفت مع الحكام فأخذت دعمها وامتدادها منهم بينما حرمت الجماعات الأخرى من الشرعية..

اما الكتاب والسنة فهو ملك للجميع..

فالشيعة تلتزم بالكتاب والسنة..

والمعتزلة تلتزم بالكتاب والسنة..

وكذلك الإتجاهات الأخرى ومكمن الخلاف بينهم ينحصر فى كيفية التناول وطريقة النقل وإعتماد الروايات الواردة عن الرسول..

والقضية بإختصار هى أن أهل السنة يريدون إلزام الآخرين بنهجهم وتفسيراتهم وطريقة نقلهم للرواية والروايات التى تبنوها وإلا أصبحوا من الفرقة الهالكة ولن يشموا رائحة الجنة..

وحتى تتضح لنا الصورة سوف ننقل هنا أقوال فقهاء السنة حول تعريف أهل السنة وتاريخهم..

يعرف ابن تيمية أهل السنة بقوله: أن أهل السنة والجماعة هم السلف الصالح أهل الكتاب والسنة العاملون بهدى الرسول (ص) المتبعون لآثار الصحابة والتابعين وأئمة الهدى المقتدى بهم فى الدين لم يبتدعوا ولم يبدلوا ولم يحدثوا فى دين الله ماليس منه..(٢)

ويعرف ابن تيمية عقيدة أهل السنة بقوله: هذا إعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة..(٣)

وقد أعتبر فقهاء السلف أن أهل الحديث (الرواية) هم أهل السنة والجماعة

والطائفة المنصورة والفرقة الناجية..

فقال أحمد بن حنبل: ان لم يكونوا ـ أى أهل السنة الناجين المنصورين ـ أهل الحديث فلا أدرى من هم..[٤]

وقال القاضى عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث..[٥]

ويقول عمرو بن قيس الملائى: إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه. وإذا رأيته مع أهل البدع فييئس منه فإن الشاب على أول نشوئه..(٦)

وقال أيوب السجستانى: ان من سعادة الحدث والاعجمى أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة..[٧]

وقال الفضيل بن عياض: ان لله عباداً يحيى بهم البلاد وهم اصحاب السنة..[٨]

وينقل أهل السنة على لسان ابن عباس قوله فى تفسير آية: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.. آل عمران/ ١٠٦ قال: فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأما الذين اسودت وجوههم فاهل البدع والضلالة..[٩]

ويقول ابو أيوب السجستانى لعمارة بن زادان: يا عمارة اذا كان الرجل صاحب سنة وجماعة فلا تسأل عن أى حال كان فيه..[١٠]

ويقول سفيان الثورى: إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب فأبعث إليهما بالسلام وادع لهما ما أقل أهل السنة والجماعة..[١١]

ويقول ابن سيرين: لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم. فينظر أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى اهل البدع فلا يؤخذ حديثهم..[١٢]

ويقول ابو أيوب السجستانى: ان الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون..[١٣]

ويعتمد أهل السنة على قول الرسول(ص) عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى..[١٤]

وقوله: خير القرون قرني ثم الذى يليه ثم الذى يليه..[١٥]

وقد اعتبروا هاتين الروايتين الاساس الشرعي الذى يستمدوا منه الاستمرار والرصيد التاريخي باعتبار أنهم الفئة الوحيدة التى تلتزم بنهج الخلفاء الراشدين وتلتزم بسنتهم وتابعيهم باحسان من الجيل الثاني والثالث..

واساس تسمية أهل السنة كما تشير كثير من أقوال فقهاء السلف انهم الفئة التى تصدت لجميع روايات السنة والحفاظ عليها والتمسك بها..

ويقول ابن تيمية عن أهل السنة والجماعة: وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة وإن كان لفظ الجماعة قد صار إسماً للقوم المجتمعين..[١٦]

ويعتبر اهل السنة أنهم امتداد لجماعة الحق التى هى جماعة الصحابة ويستدلون على ذلك بحديث على لسان الرسول (ص) يقول: لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة أبداً.. يد الله مع الجماعة. فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ فى النار..[١٧]

ومن هذا النص يستدلون على أن الحق بجانب الكثرة التى يعبرون عنها بالسواد الأعظم وهم سائر الصحابة والتابعون وأئمة الدين والهدى المقتدى بهم ومن اتبع سبيلهم ولا عبرة بأكثرية الفرق لأنها هالكة وإنما العبرة بمن كان على الحق وهم الفرقة الناجية..[١٨]

وكما يطلقون لفظ الجماعة على الصحابة والتابعين يطلقونه أيضاً على أهل العلم والفقه وأهل الحديث العاملين بالسنة ومن سلك منهجهم وأتبع سبيلهم فهؤلاء هم المقتدون بالنبى وأصحابه الذين هم جماعة المسلمين الأولى وكل جماعة على الحق هى امتداد لهم وهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم واتباعهم أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية. التى نوه عنها النبى بقوله فى الحديث: وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة..[١٩]

يقول البغدادى شارحاً عقيدة أهل السنة ومعرفاً بها فى عدة بنود:

أولاً: من أحاطوا العلم بأبواب التوحيد والنبوة وأحكام الوعد والوعيد والثواب والعقاب وشروط الاجتهاد والامامة والزعامة وسلكوا فى هذا النوع من العلم طرق

الصفاتية من المتكلمين الذين تبرأوا من التشبيه والتعطيل ومن بدع الرافضة والخوارج وسائر اهل الأهواء الضالة.

ثانياً: ائمة الفقه من أهل الراى والحديث الذين تبرأوا من القدر والاعتزال واثبتوا رؤية الله بالابصار من غير تشبيه ولا تعطيل وسائر العقائد في الخلفاء وطاعة الامراء والمسح على الخفين وتحريم المتعة ووقوع الطلاق الثلاث..

ثالثاً: الذى احاطوا علماً بطرق الاخبار والسنن المأثورة عن النبى (ص) وميزوا بين الصحيح والسقيم منها وعرفوا أسباب الجرح والتعديل ولم يخلطوا علمهم بذلك بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة..

رابعاً: الذين أحاطوا علماً باكثر ابواب الادب والنحو والصرف ولم يخلطوا علمهم بشيء من بدع القدرية أو الرافضة أو الخوارج..

خامساً: الذى أحاطوا علماً بوجوه قراءات القران ووجوه تفسير آياته وتأويلها وفق مذهب أهل السنة دون تأويلات أهل الاهواء الضالة..

سادساً: الزهاد والصوفية وبينهم التوحيد ونفى التشبيه ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه والإعراض عن الاعتراض عليه..

سابعاً: المرابطون فى ثغور المسلمين يحمون الوطن الإسلامى ويظهرون فى ثغورهم مذهب أهل السنة والجماعة..[٢٠]

وسئل عبدالله بن المبارك عن الجماعة فقال: ابو بكر وعمر، فقيل له مات أبو بكر وعمر فقال ففلان وفلان.. قيل مات فلان وفلان. قال: ابو حمزة السكرى وجماعته..[٢١]

ويعرف البخارى الجماعة بأنها أهل العلم وانهم الجماعة التى أمر المسلمون بلزومها.

وعلق ابن حجر على قوله هذا فى شرحه للبخارى قائلاً: فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم فى أمر الدين..[٢٢]

وتفسر أهل السنة الجماعة أيضاً بالسواد أو جمهور المسلمين المتمسكين بالسنة

اذا اجتمعوا على أمر من أمورهم ومصالح المسلمين في الدين والدنيا كالامامة والجهاد ويستدلون على ذلك بالروايات التي ينقلونها عن الرسول (ص) والتي توجب طاعة الأمير أو الحاكم وإن جار وظلم وأخذ مالك وجلد ظهرك على حد تعبير الحديث..[٢٤]

وأهل السنة يبيحون دم المفارق للجماعة حسب مفاهيمهم وحجتهم في هذا الحكم مجموعة من الروايات التي ينقلونها عن الرسول والتي تنص على قتل المفارق للجماعة والخارج عليها كائناً من كان وقد ربطوا بين الخروج على الدين والخروج عل الجماعة حسب نص الحديث الذي يقول: لايحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة..[٢٥]

وبالإضافة إلى ماسبق يطلق أهل السنة لفظ الجماعة على أهل الحل والعقد من العلماء والأمراء والقضاة والأعيان أو بعضهم إذا أجتمعوا أو غالبهم على أمر من مصالح المسلمين كتولية إمام وبيعته أو عزله..[٢٦]

وينقل الشاطبي قول أحد الفقهاء: ان السواد الأعظم هم الناجون من الفرق فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق ومن خالفهم مات ميتة جاهلية سواء خالفهم في شيئ من الشريعة أو في امامهم وسلطانهم فهو مخالف للحق..[٢٧]

ويقول الشاطبي: ويدخل في الجماعة مجتهدوا الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها ومن سواهم داخلون في حكمهم لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذي شذوا وهم نهبة الشيطان. ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة لم يدخلوا في سوادها بحال..[٢٨]

وعلى ضوء ما سبق يعتبر أهل السنة أن المبتدعة وأصحاب الأهواء والحدثات في الدين وإتباع الفرق والإتجاهات الاخرى مثل القدرية والجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج والفلاسفة والمتكلمين والصوفية كذلك الخارجون على ائمة المسلمين أي الحكام جميع هؤلاء مفارقون للجماعة أي خارجون على نهج أهل السنة مجانبين لعقيدتهم ومصيرهم الميتة الجاهلية..[٢٩]

وسئل سهل بن عبدالله التستري: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة..؟

فقال: إذا عرف عن نفسه عشرة خصال: لايترك الجماعة ولايسب الصحابة ولايخرج على هذه الأمة بالسيف ولا يكذب بالقدر ولا يشك في الإيمان ولايماري في الدين ولايترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بذنب ولايترك المسح على الخفين ولايترك الجماعة خلف كل وال جار أو عدل.[٣٠]

ثم قام الاشعري بعد ذلك بتدوين العقيدة وقد أعتمد في تدوينها على اتاحة مساحة للعقل والموازنة بينه وبين النقل إلا أن الحنابلة هاجموه وشككوا في عقيدته وطرحه باعتبار انه يسير على النهج الكلامي المنبوذ عند أهل السنة..[٣٢]

وتعد رسالة الثغر أو أصول أهل السنة والجماعة من أشهر وأدق ما دون الأشعري حول عقيد أهل السنة..[٣٣]

وجاء من بعد ذلك الطحاوي الحنفي فدون عقيدته الطحاوية في منتصف القرن الثالث وقام بشرحها القاض صدر الدين في منتصف القرن الثامن لتصبح من أشهر كتب العقائد المنتشرة بين المسلمين..[٣٤]

ومن بعد هؤلاء برز ابن تيمية فدون عقيدته الواسطية التي حوكم بسببها وأخذت انتشارها بين المسلمين على يد الحركة الوهابية ودعم الدولة السعودية التي أسهمت في إبراز العقيدة الوهابية التي تعد أحدث صورة من عقيدة أهل السنة التي ظهرت على ساحة الواقع..

ان المتتبع لنشأة فكرة أهل السنة والجماعة يتبين له أن أول من وضع حجر الأساس لها هو احمد بن حنبل ثم حمل رايتها الحنابلة من بعده وبدعم من الدولة العباسية في مرحلة مابعد المأمون الذي كان ينتهج نهج المعتزلة والشيعة..[٣٥]

أما الرموز الفقهية الكبرى كأبي حنيفة ومالك والشافعي فلم ترد على خاطرهم هذه الفكرة ولا وجود لها في أطروحاتهم..[٣٦]

ولقد أخذت عقيدة الأشعري عدة دفعات قوية من القوى الحاكمة - الدولة السلجوقية والأيوبية والمملوكية - كفلت لها الانتشار والتمكن في بقاع كثير إلا أن الدفعات التي أخذتها عقيدة الحنابلة كانت اكبر كذلك نالت عقيدة الماتريدي بعض الدعم من الحكام إلا انه بجعل عقيدة الحنابلة التي سميت بعقيدة أهل السنة -

العقيدة السائدة بين الشعوب الإسلامية بتأثير الحقبة النفطية اليوم توارت العقائد السنية الأخرى..[٣٧]

ويبدو من الواضح تاريخيا ان عقيدة أهل السنة مرت بخمسة مراحل:

الأولى: على يد أحمد بن حنبل..

الثانية: على يدى الأشاعرة والماتريدية..

الثالثة: على يد الحنابلة..

الرابعة: على يد ابن تيمية..

الخامسة: على يد الوهابيين فى العصر الحديث..

وباختفاء عقيدة الأشاعرة والماتريدية لم يبق فى الساحة سوى خط الحنابلة ليمثل أهل السنة فجميع الكتب المتداولة بين المسلمين اليوم خاصة التيارات الإسلامية العاملة فى ميدان الحركة الإسلامية والمتعلقة بعقيدة أهل السنة تتركز حول طرح الحنابلة وابن تيمية..[٣٨]

والملاحظ عند قراءة كتب العقائد الخاصة بأهل السنة أن هذه الكتب دونت كرد فعل للإتجاهات الأخرى ولم تدون بدافع إبراز عقيدة أهل السنة أو الحفاظ عليها وهذا الموقف ان دل على شىء فإنما يدل على أن المسألة وضيعة وليست شرعية أى اجتهادية وليست نصية..[٣٩]

ان أبرز الأدلة على وضعية عقيدة أهل السنةكوننا نبحث فى تاريخها ونشأتها ونعرض للخلافات التى دارت حولها فلو كانت هذه العقيدة نصية بمعنى انها المعبر الوحيد عن الإسلام كما يؤكد ذلك فقهاؤها لما كان هناك أدنى خلاف حولها ولما كانت هناك حاجة للبحث عن نشأتها وبروزها فى واقع المسلمين إذ هى فى هذه الحالة بصفتها الطائفة الناجية المنصورة التى ربط مصير المسلمين بها فى الدنيا والآخرة ولا يجوز أن تكون خافية أو مبهمة إذ يجب أن تكون واضحة وضوح الشمس..

وسوف تتضح فكرة الوضعية اكثر فى عقيدة أهل السنة حين نعرض فى الفصول القادمة نصوص هذه العقيدة كما وردت فى كتب العقائد المعتمدة عندهم تلك الكتب

التى لا تشير من قريب أو بعيد إلى نشأة عقيدة أهل السنة وتاريخها إنما تقوم بطرح مجمل هذه العقيدة وكأنها معصومة ومسلم بها..

ومما عرضنا سابقاً يمكن أن نخرج بالنتائج التالية:

١ـ إن عقيدة أهل السنة خليط من أفكار سياسية وأفكار فقهية وأفكار دفاعية..

أما الأفكار السياسية فتتلخص فى التركيز على طاعة الحاكم والجهاد معه براً كان أوفاجراً وظالماً. وضرورة الإيمان بالترتيب الرباعى للخلفاء من بعد الرسول: ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.. وموالاة معاوية.

وأما الأفكار الفقهية فهى المسح على الخفين وتحريم زواج المتعة والطلاق ورفض التأويل والإلتزام بطرق الرواية والأحاديث التى صححوها وإعتمدوها مع تبنى القواعد التى ابتدعوها فيما يتعلق بالإجتهاد والصحابة وتفسير القرآن..

وفيما يتعلق بالأفكار الدفاعية فهى تشكل أغلب أفكار الطرح السنى فى مجال العقيدة فإعتقادهم فى الأسماء والصفات رد فعل لإتجاه التيارات الأخرى..

وكذلك إعتقادهم فى رؤية الله..

وقضية خلق القران..

وسائر القضايا الكلامية التى أثيرت في العصر العباسى وتصدى لها الحنابلة ودونوا الردود عليها. تلك القضايا التى كانت السبب المباشر في ظهور عقيدة أهل السنة وتدوينها ودخولها فى صدام مع التيارات الأخرى ثم تحالفها مع القوى الحاكمة وتحقيقها للإنتشار والإستمرار بدعمهم..

٢ـ إن عقيدة أهل السنة هى نتاج الخط الحنبلي وحده فمن ثم هى لا تمثل المذهب والتيارات الأخرى مثل المذاهب الأربعة والأشاعرة وغيرهم..

ذكر التاج السبكى فى طبقاته (طبقات الشافعية): أن أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة لم يخرج منهم عن عقيدة الأشعرى إلا من لحق بأهل التجسيم وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم..

٣ـ أن عقيدة أهل السنة تعتمد على ثلاثة قواعد:

أ) تقديم النقل على العقل..

ب) رفض التأويل..

جـ) عدم التفريق بين القرآن والروايات..

٤ـ أن أهل السنة والجماعة أجتمعوا على الروايات والخلفاء الثلاثة وأختلفوا في علي ثم أجتمعوا على الحكام بداية من معاوية ويزيد وحتى آل سعود اليوم..

ويعتقد أهل السنة أن معنى أهل السنة والجماعة هو ما يقابل الشيعة وما يقابل المبتدعة وأهل الأهواء وهو المعنى الأكثر إستعمالاً وعليه كتب الجرح والتعديل عندهم، فإذا قالوا عن الرجل إنه صاحب سنة أو كان سنياً أو من أهل السنة ونحوها فالمراد أنه ليس من إحدى الطوائف البدعية كالخوارج والمعتزلة والشيعة وليس صاحب كلام وهوى وقد قال أحمد بن حنبل وابن المديني على أن من خاض في شيء من علم الكلام لايعتبر من أهل السنة وإن أصاب بكلامه السنة حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص..

هوامش

(١) أنظر لنا كتاب: السيف والسياسة.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٣ / ١٥٧ ..

(٣) أنظر العقيدة الوسطية

(٤) أنظر فتح الباري شرح البخاري جـ ١٣ / ٣٩٣ . والترمزى حديث رقم ١٠٥٠٤ جـ٤ ..

(٥) شرح البخاري. كتاب التوحيد جـ٢ / ٢٣٨ / للشيخ الغنيمان..

(٦) أنظر الشرح والابانة ص١٣٣ ..

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة. اللالكائي جـ١ / ٦٠ ..

(٨) المرجع السابق جـ ١ / ٦٥ ..

(٩) الشرح والابانة ص ١٣٧ ..

(١٠) اللالكائي جـ١ / ٦٠ ..

(١١) المرجع السابق ١ / ٦٤ ..

(١٢) أنظر مقدمة مسلم..

(١٣) اللالكائي ١ / ٦١ ..

(١٤) أنظر مسند أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والبيهقى..

(١٥) رواه البخاري..

(١٦) العقيدة الواسطية..

(١٧) انظر الترمذى وكتب السنن..

(١٨) أنظر اللالكائي والشرح والإبانة وشرح عقائد أهل السنة ومفهوم أهل السنة لناصر العقل. ط القاهرة والسعودية..

(١٩) أنظر أبو داود ومسند أحمد وابن ماجه..

(٢٠) الفرق بين الفرق..

(٢١) شرح السنة للبغوى..

(٢٢) فتح البارى حـ ١٣ / ٣١٦ ..

(٢٣) المرجع السابق حـ ١٣ / ٣٧ ..

(٢٤) مفهوم أهل السنة والجماعة..

(٢٥) أنظر البخارى كتاب الديات. ومسلم حديث رقم ١٦٧٦ ..

(٢٦) فتح البارى حـ ١٣ / ٣١٦ ..

(٢٧) الاعتصام حـ ٢ / ٢٦٠ ..

(٢٨) المرجع السابق حـ ٢ / ٢٦١ ..

(٢٩) أنظر كتب العقائد. والفصول القادمة من الكتاب..

(٣٠) مقدمة كتاب مفهوم أهل السنة والجماعة..

(٣١) أنظر ملحق الكتاب..

(٣٢) أنظر لسان الميزان لابن حجر ترجمة الأشعرى وأنظر فصل عقيدة أهل السنة فى الحكام..

(٣٣) أنظر ملحق الكتاب..

(٣٤) أنظر ملحق الكتاب..

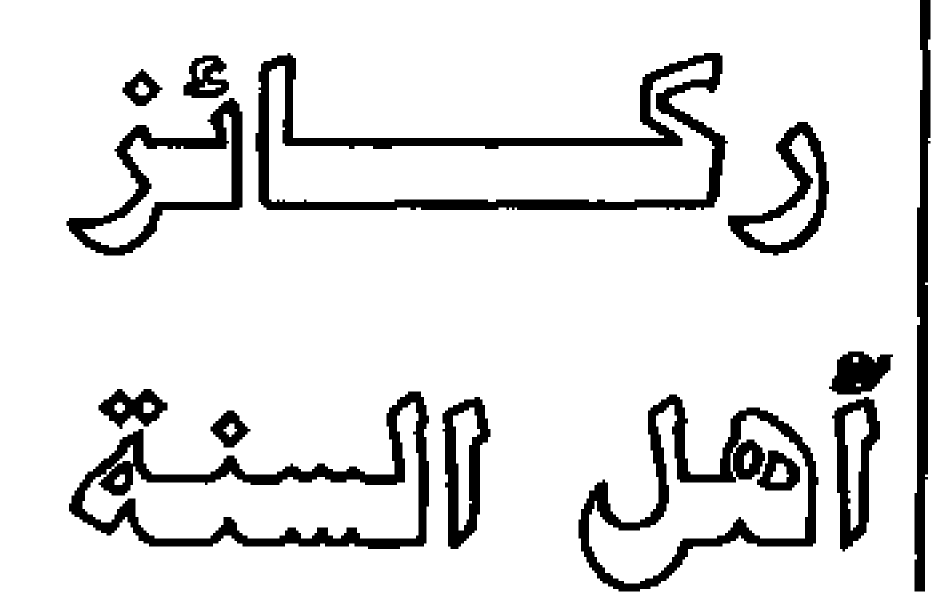
(٣٥) أنظر سيرة المتوكل العباسى مع أهل السنة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى وكتب التاريخ..

(٣٦) الصواب أن أهل السنة هم الذى تلحفوا بأئمة المذاهب الأربعة لأن عقيدة أهل السنة ظهرت بعد المذاهب الثلاثة مع طرح الحنابلة..

(٣٧) نصرت الدولة السلجوقية الأشاعرة. كذلك الدولة الأيوبية فى مصر. ودعمت الدولة العباسية من قبل خط الحنابلة المسالم للدولة والمتطرف فى مواجهة الآخرين.. انظر تاريخ السلاجقة والوزير نظام الملك وتاريخ الأيوبيين.

(٣٨) أنظر لنا الحركة الإسلامية فى مصر.. وأنظر فصل أهل السنة بين الماضى والحاضر من هذا الكتاب..

(٣٩) أنظر متون هذه العقائد فى ملحق هذا الكتاب..



- الروايات
- التأويل والتبرير
- الرجال



تقوم عقيدة أهل السنة على ركائز ثلاثة هى:

- الروايات..

- التأويل والتبرير..

- الرجال..

أما الروايات فتعد الركيزة الأساسية للعقيدة حيث يعتمد عليها فى مواجهة التيارات الأخرى المناهضة لأهل السنة. كما يعتمد عليها فى تثبيت المفاهيم والاجتهادات التى تقوم على اساسها..

ويبدو أن اهتمامهم البالغ بالروايات هو السبب المباشر في تسميتهم بأهل السنة أى أهل الحديث. فهم قد تسلحوا بالروايات في مواجهة حركة الاحياء الفكرى والعقلى التى برزت في الساحة الإسلامية على يد الشيعة والمعتزلة وغيرهم..

ومن الواضح أن أهل السنة يسرفون فى استخدام الروايات إلى الحد الذى يوقعهم فى حرج عقائدى فى مواجهة خصومهم. فإن الرواية مهما قويت حجتها تظل تدور فى دائرة الظن والأخذ والرد. فمن ثم لايمكن أن يبنى عليها حكم يقينى..

ولعل هذا ما دفع بأهل السنة إلى إضفاء صفة القداسة المطلقة على كتابى الحديث الأول عندهم: البخارى ومسلم وإعتبارهما أصح الكتب بعد كتاب الله. فهم بهذه الرؤية قد أضافوا لأنفسهم مصدراً جديداً يدعم أطروحتهم ولا يتطرق إليه الشك من جهة اتباعهم ويمكن أن يستخدم كسلاح فى مواجهة الخصوم..

إلا أن المأزق الذى وقع فيه أهل السنة هو أن اسرافهم فى استخدام الروايات واهمالهم العقل جاء في النهاية على حساب القرآن وناسخ لأحكامه فى بعض الحالات..

وسوف يتضح لنا هذا من خلال إستعراض عقيدتهم فى الله وفى الرسول وفى

القرآن في الفصول القادمة..

وحتى يتمكن أهل السنة من تحصين أنفسهم بالروايات والحيلولة دون هدمها أسسوا علم الرواية عندهم على جواز نقد السند دون نقد المتن..

وعلى ضوء هذه القاعدة وضعوا علم الجرح والتعديل وهى قاعدة خاصة بالرواة ومعرفة أحوالهم أى نقد سلسلة الرواية دون متنها. وحتى نقد السلسلة يظل مباحاً وجائزاً فى حدود التابعين وغيرهم من الرواة دون الصحابة فلا يجوز نقد الصحابى وتجريحه عندهم وإنما النقد والتجريح يطول من هو دونه. فحسب قاعدتهم: من ثبت صحبته.. ثبتت عدالته..

أما المتن فلايجوز رفضه ولو كان مخالفاً للقرآن وقضية المخالفة هى من توهم غيرهم ممن يستخدمون العقل. أما هم فلا يرون أن هناك روايات تخالف القرآن وفى حالة الشك فى ذلك يقومون بعملية توفيق بين الرواية والنص القرانى..

وقد ذهب الشافعى وغيره من المحدثين إلى أن الحديث إذا كان صحيحاً على شرط المحدثين لايكون مخالفاً للكتاب ابداً..(١)

ويقول الجوينى: لو حلف إنسان بطلاق إمرأته: ان مافى الصحيحين - البخارى ومسلم - مما حكما بصحته من قول النبى (ص) لما الزمته الطلاق لإجماع علماء المسلمين على صحته..(٢)

وقال ابن تيمية: ان جمهور ما فى البخارى ومسلم مما يقطع بأن النبى (ص) قاله. لأن غالبه من هذا ولأنه قد تلقاه أهل العلم بالقبول والتصديق والأمة لاتجتمع على خطأ..(٣)

ويقول ابن القيم: فإن ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين ولاعبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين..(٤)

وينقل عن أهل السنة إجماعهم على أن رجلا لو حلف بالطلاق ان جميع ما فى كتاب البخارى مما روى عن رسول الله (ص) قد صح عنه ورسول الله قاله.. لاشك فى أنه لايحنث والمرأة بحالها فى حبالته..(٥)

ويطلق أهل السنة على الراوى العدل العالى القدرات فى الحفظ والنقل لفظ: ثبت.

ويفسر ابن حنبل معنى كلمة (ثبت) بقوله ان الراوى لايكاد يخطىء فى حديثه. اى ضبطه قريب جداً من الكمال..(٦)

والمتأمل فى علم الحديث عند أهل السنة يتبين له أنهم قد وضعوا قواعد كثيرة تتركز جميعها حول ضبط حال الراوى وتجريحه أو تعديله وما شابه ذلك وكلها تدور حول الراوى والسند ولاتدور حول المتن: فلا يعرف عندهم مسألة ضبط المتن أو عرضه على القرآن فما دام قد ثبت أن رجال الرواية رجال الصحيح صحت عندهم دون ضبط متنها مع القرآن وإنما الأمر كله يقوم على الجهد الذاتى لعدد من الرجال تصدوا لضبط حال الرواة أمثال يحيى بن معين وشعبه بن الحجاج ويحيى بن سعيد القطان وعلى بن المدينى وغيرهم وهؤلاء حكام على الرواة وقولهم الفصل. فإذا قالوا فلان ثقة كان ثقة وإذا قالوا كذاب أو ليس بشىء كان كذلك..

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا: من الذى وثق هؤلاء..؟

ويروى مسلم عن ابن سيرين قوله: لم يكونوا - أى أهل السنة - يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلايؤخذ حديثهم..(٧)

والمقصود بأهل البدع هنا هم الإتجاهات الأخرى المناهضة لأهل السنة مثل الشيعة والمعتزلة فهؤلاء لايعتد بهم.. ومثل هذا الموقف يقوم على أساس مذهبى وليس على أساس شرعى أو موضوعى.. وهو يكشف لنا من جانب آخر أن روايات أهل السنة إنما هى تعبر عنهم وعن خطهم وأطروحاتهم لاعن الإسلام..

ومفهوم عدالة الراوى عند أهل السنة يثير الكثير من علامات الإستفهام فهم يشترطون فى الراوى شرطين:

الأول: العدالة..

الثانى: الضبط

والأول يقصد به الإسلام والبلوغ والعقل والسلامة من الفسق وخوارم المروءة..

والثانى يقصد به سماعه للحديث على الوجه الذى حدده المحدثون فى كيفية السماع وحفظه والثبات عليه حتى يرويه..

ولاشك أن مثل هذين الشرطين من الممكن توافرهما في أى شخص. إلا أنه فى حركة التطبيق تجاوز أهل السنة هذين الشرطين بل زاد الطين بلة حين قبلوا روايات رجال الحكم والعسكر الذى تقطر ايديهم بدماء المسلمين..

فعمر بن سعد بن أبى وقاص قاد الجيش الذى ذبح الحسين وأبناء الرسول فى كربلاء وروى له البخارى..(٨)

ويسر بن أرطأة رجل معاوية الذى أرتكب الكثير من المجاذر الوحشية وشن حملات الأبادة والتصفية الجسدية لخصوم معاوية فى الحجاز واليمن روى له أبو داود والترمزى والنسائى وطارق بن عمر والمكى القاضى مولى عثمان بن عفان كان والياً على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان ويعرف عنه الجور روى له مسلم وأبو داود..

وعمرو بن سعيد بنالعاص الأموى المعروف بالأشدق ولى المدينة من قبل معاوية ويزيد وكان جائراً روى له مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه..

وعمران بن حطان شاعر الخوارج الذى القى شعراً يمدح فيه عبدالرحمن بن ملجم قاتل الإمام على روى له البخارى وأبو داود والنسائى..(٩)

إن أهل السنة لايعتبرون مثل هذه المواقف والجرائم والإنتهاكات لحقوق الإنسان من خوارم المروءة ونواقص العدالة.. فما دام قد ثبت صدق الراوى ولم يعهد عليه الكذب فهذا يكفى للثقة فى الراوى والنقل عنه..

- **التأويل والتبرير:**

رغم أن أهل السنة اعتمدوا كما هائلا من الروايات استندوا عليه فى دعم اطروحتهم إلا أنهم وقعوا فى مأزق حرج فى مواجهة عدد من الرويات التى تبنوها والتى تمثل فى مضمونها خطرا على اطروحتهم. كذلك وقعوا فى حرج أمام الكثير من الأحداث ومن الوقائع التاريخية التى تتطلب اتخاذ موقف إيجابى تجاهها.

وأمام هذه الروايات أضطر أهل السنة إلى تبنى نهج التأويل..

وأمام الأحداث والوقائع التاريخية أضطروا إلى تبنى نهج التبرير..

فأمام ما رواه مسلم عن الرسول (ص): لايزال أمر الناس ماضيا ماوليهم اثنى

عشر رجلا وفى رواية أخرى: لايزال الإسلام عزيزا إلى اثنى عشر خليفة..[١٠]

حدد أهل السنة الاثنى عشر الذين أشارت إليهم الرويات فى الحكام الآتى ذكرهم:

أبو بكر..

عمر..

عثمان..

على..

معاوية..

يزيد..

ثم عبد المالك بن مروان وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز..[١١]

وجاء آخرون من فقهاء السنة مثل السيوطى فأطاح بيزيد من القائمة ووضع مكانه عبد الله بن الزبير ثم جعل الحسن بن على مكان عبد الملك بن مروان ورأى أن يضع المهدى العباس ثم المهدى المنتظر. واحتار فى الباقى كما احتار معه غيره..[١٢]

ومثل هذا التأويل لهذه الرواية الحرجة إنما الهدف منه هو ضرب الشيعة الذين يعتقدون فى الأئمة الاثنى عشر من بعد الرسول (ص) وحتى لا يستثمروا هذه الرواية لصالحهم كذلك وقف أهل السنة نفس الموقف من الروايات الأخرى التى تتحدث عن البيعة والإمامة مثل رواية:

من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية..[١٣]

ورواية: من فارق وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية..[١٤]

ورواية: من فارق الجماعة شبراً فمات فحيتته جاهلية..[١٥]

ورواية: إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به..[١٦]

وغير ذلك من الروايات فقد اضطر أهل السنة إلى ربطها بالحكام وتطبيقها عليهم..

ويبدو من الواضح أن هذه التأويلات تفوح منها رائحة السياسة وبرهان ضلالها

أن هؤلاء الحكام غير شرعيين وفرضوا على الأئمة بقوة السيف ولا يعقل - على فرض صحة هذه الروايات - أن يبشر الرسول (ص) بمثلهم. فمادام قد طلب من الأمة الطاعة لهم فيجب أن يكونوا مستحقين للطاعة والبيعة..

وفي مواجهة الرواية التي تقول: ألا وأني تارك فيكم ثقلين أحدهما: كتاب الله عز وجل. وهو حبل الله الذي من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة وعترتي أهل بيتي..[17]

فسر فقهاء أهل السنة أهل البيت بنساء النبي تارة. وبقريش تارة أخرى وبآل جعفر وآل العباس وبني عبد المطلب..

والهدف من هذا التأويل هو نفس الهدف السابق وهو تطويق الشيعة. حتى أنهم قدموا الصحابة على آل البيت على ما سوف نبين..

وفيما يتعلق بالتبرير فقد وقف أهل السنة أمام الأحداث التاريخية الشائكة والتي من الممكن أن تكشف للمسلمين الكثير من الحقائق التي تعينهم على فهم دينهم: تلك الأحداث التي بدأت مع وفاة الرسول (ص) وانتهت بتسلم يزيد بن معاوية الحكم - وقف أهل السنة موقفاً تآمريا سطح حركة التاريخ. وعوم أحداثه..

فقد بررروا ما حدث في سقيفة بن ساعدة بين المهاجرين والأنصار منحازين إلى جانب المهاجرين متسلحين بكم من الروايات التي تدعم أبو بكر ضد خصومه..[18]

وبرروا انتزاع أبو بكر لميراث الرسول (ص) من فاطمة ابنته متذرعين برواية تقول: إنا لا نورث وما تركناه صدقة..[19]

وبرروا منكرات عثمان وانحرافاته متذرعين بروايات تضفي عليه المشروعية وتعطيه الحق في كل ما صنع. منزلين لعناتهم على قتلته ومن ثاروا عليه..[20]

وبرروا جرائم معاوية واخترعوا له الروايات التي ترفع من قدره وتضعه في مساواة الإمام علي وفي مصاف الفقهاء المجتهدين..[21]

وبرروا جرائم يزيد ومنكراته وذبحه للحسين وأبناء الرسول (ص) واخترعوا له رواية تقول: أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له.. مدعين أن أول جيش كان تحت قيادة يزيد كما ذكروا روايات أخرى تنفي علمه بقتل الحسين أو أمره بقتله..[22]

إن هدف أهل السنة من هذه التبريرات هو تطويق الاتجاهات الأخرى التى تستند إلى هذه الأحداث فى مواقفها تجاه الانحرافات التى وقعت بعد وفاة الرسول تلك الانحرافات التى انعكست على الإسلام ذاته..

ومن جهة أخرى يهدف أهل السنة من وراء تبريراتهم هذه إلى تثبيت اتباعهم وطمأنتهم حتى لا تثاورهم الشكوك فى أطروحتهم الحكومية. فمن ثم هم اصدروا قراراتهم بنبذ اية كتب تعرض لهذه الأحداث والوقائع من خارج دائرتهم..(٢٣)

وقام بعضهم بتأليف كتاب أسماه (العواصم من القواصم) فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول (ص) حشد فيه مئات التبريرات والروايات التى تخفى مساوىء القوم وتتستر على الإنحرافات وتنفى نفياً قاطعاً وقوع خطأ من جانبهم. مهدداً المسلمين وزاجراً لهم عن الخوض فى مثل هذه الأحداث وإعمال العقل فيها..(٢٤)

الرجال:

ان المتأمل فى أطروحة أهل السنة يتبين له أن الرجال لهم الدور البارز فى هذه الأطروحة بحيث نراهم وكأنهم طغوا على النصوص بل هم طغوا عليها وتجاوزوها بالفعل..

من هنا يمكن القول أن عقيدة أهل السنة تقوم على الرجال ولا تقوم على النصوص وسوف نبرهن على ذلك من خلال نصوصهم المعتمدة..

والرجال الذين تقوم عليهم عقيدة أهل السنة أصناف ثلاثة:

- الخلفاء : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى..
- السلف : الصحابة والتابعين..
- الفقهاء : المذاهب الاربعة وغيرهم..

يقول ابن تيمية عن أهل السنة:.. وذلك انهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ابوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. ومن طعن فى خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله..(٢٥)

ويقول الطحاوى: ونثبت الخلافة بعد رسول الله (ص) أولاً لابى بكر تفضيلاً له

وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب، ثم لعثمان، ثم لعلي بن ابي طالب. وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون..[٢٦]

ويقول ابن قدامة المقدسي: وأفضل أمته - أي الرسول - ابوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.. وهو - أي أبي بكر - أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي.. ثم من بعده عمر لفضله وعهد أبي بكر إليه. ثم عثمان لتقديم أهل الشورى له ثم علي وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون..[٢٧]

ويقول النسفي: وخلافتهم - أي الأربعة - ثابتة على هذا الترتيب..[٢٨]

وحول الإلتزام بنهج السلف يقول الأشعري: لايجوز لأحد أن يخرج عن أقاويل السلف فيما أجتمعوا عليه وعما اختلفوا فيه أو في تأويله لأن الحق لايجوز أن يخرج عن أقاويلهم..[٢٩]

ويقول ابن تيمية: والاجماع هو الأصل الثالث - بعد القران والسنة - الذي يعتمد عليه في الدين والعلم. وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط هو ماكان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الامة..[٣٠]

ويقول صاحب جوهرة التوحيد: وكن كما كان خيار الخلق حليف حلم تابعاً للحق فكل خير في إتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف..[٣١]

ويقول الطحاوي: وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لايذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل..[٣٢]

ويتبنى أهل السنة في الصحابة عقيدة خاصة تميزوا بها عن سواهم وقد قادتهم في النهاية إلى تقديمهم على النصوص وإضفاء العصمة عليهم..

فهم أولا يعرفون الصحابي بما يلي:

يقول علي بن المديني شيخ البخاري: من صحب النبي (ص) أو راه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي..[٣٣]

ويقول البخاري: من صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه..[٣٤]

ويقول ابن حجر: وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقى النبي (ص) مؤمناً به ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو. ومن غزا معه أو لم يغز. ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى، فيدخل في قولنا مؤمناً به كل مكلف من الجن والانس..[٣٥]

وعلى هذا إجماع أهل السنة. ولا شك أن مثل هذا التعريف يثير الكثير من الشكوك إذ يدخل في دائرة الصحبة كل من هب ودب من الناس. إلا أن مكمن الشك يتركز حول إطلاق صفة العدالة على جميع الصحابة دون تمييز..

يقول السفاريني: والذى أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل واحد تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم والإعتقاد بنزاهتهم وأنهم أفضل جميع الأمة بعد نبيهم.. هذا مذهب كافة الأمة ومن عليه المعول من الائمة..[٣٦]

ويقول ابن الصلاح: للصحابة بأسرهم خصيصة وهى أنه لايسئل عن عدالة أحد منهم بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم معدلين بنصوص الكتاب والسنة والاجماع..[٣٧]

ويقول ابن الأثير مستثنياً الصحابة من الجرح والتعديل: فإنهم كلهم عدول لايتطرق إليهم الجرح لأن الله عز وجل زكاهم وعدلهم وذلك مشهور لا نحتاج لذكره..[٣٨]

ويقول ابن عبدالبر: فهم خير القرون وخير أمة أخرجت للناس ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله. ولا أعدل ممن أرتضاه الله بصحبة نبيه ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولا تعديل أكمل منها..[٣٩]

ويقول القرطبي: فالصحابة كلهم عدول. أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته ممن خلق بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة والذى عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهبت شرذمة لامبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم فيلزم البحث عن عدالتهم..[٤٠]

ويدافع ابن تيمية عن هذه الرؤية مبدأ الشبهات التى من الممكن ان تثار حولها بقوله على لسان أهل السنة: إن هذه الآثار المروية فى مساوئهم - أى الصحابة -

منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه.. والصحيح منه هم فيه معذورون..

وهم مع ذلك لايعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الاثم وصغائره بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة. ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر..

حتى أنهم يغفر لهم من السيئات مالا يغفر لمن بعدهم. لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات مما ليس لمن بعدهم..

وقد ثبت بقول الرسول (ص) انهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان افضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم..

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه. أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد (ص) الذى هم أحق الناس بشفاعته أو أبتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه..

فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف في الأمور التي كانوا فيها مجتهدين ان أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور..

ثم القدر الذى ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح..

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم. وانهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الامم واكرمها على الله..[٤١]

والمتأمل في كلام ابن تيمية هذا يتضح له انه خلق من المبررات الوهمية فضلاً عن النتائج التي بلا مقدمات ما يؤدى في النهاية إلى الحكم بعصمة جميع الصحابة..

ولقد إضطر أهل السنة في مواجهة خصومهم إلى جعل تصوراتهم ورؤيتهم في الرجال خلفاء وصحابة وسلف من أصول الإعتقاد. فمن ثم اكتظت كتب العقائد

لديهم بالنصـوص التي تفرض على المسلم قبول هذه الرؤية وارهابه من الحيدة عنها..

يقول ابن قدامة المقدسي: ومن السنة تولى أصحاب رسول الله (ص) ومحبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم وإعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم.. ومعاوية خال المؤمنين وكاتب الوحي أحد خلفاء المسلمين..[٤٢]

ويقول الأشعري: وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة إلا بخير ما يذكرون به. وعلى انهم أحق ان تنشر محاسنهم وتلتمس لأفعالهم افضل المخارج. وأن يظن بهم أحسن الظن وأحسن المذاهب ممثلين في ذلك قول الرسول (ص): اذا ذكر اصحابي فأمسكوا.. وأجمعوا على أن ما كان بينهم من الأمور الدنيوية لايسقط حقوقهم كما لا يسقط ما كان بين أولاد يعقوب (عليه السلام) من حقوقهم..[٤٣]

ويقول الطحاوي: ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله (ص) وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برىء من النفاق..[٤٤]

ويقول ابن حنبل: تحدثوا بفضائلهم وأمسكوا عما شجر بينهم..[٤٥]

ويقول ابن تيمية: ويتبرءون - أى أهل السنة - من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم.. ويمسكون عما شجر بين الصحابة..[٤٦]

ويقول ابن حنبل: وخير هذه الأمة بعد نبيها (ص) - أبوبكر وخيرهم بعد أبي بكر - عمر وخيرهم بعد عمر - عثمان وخيرهم بعد عثمان - على رضوان الله عليهم - خلفاء راشدون مهديون. ثم أصحاب محمد (ص) بعد هؤلاء الأربعة. لايجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولايطعن على أحد منهم. فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له ان يعفو عنه. بل يعاقبه ثم يستتيبه فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة. وجلده في المجلس حتى يتوب ويرجع..[٤٧]

هوامش

(١) انظر الأم وكتب أصول الفقه..

(٢) تدريب الراوى ١ / ١٣١ . ومسلم شرح النووى حـ ١ / ١٩ ..

(٣) مقدمة فى أصول التفسير..

(٤) انظر مختصر الصواعق لابن القيم ٢ / ٣٧٣ ..

(٥) انظر مقدمة ابن الصلاح..

(٦) انظر العلل ومعرفة الرجال ١ / ١٢٢ ..

(٧) مسلم . المقدمة..

(٨) انظر حادثة كربلاء فى كتب التاريخ أحداث عام ٦١ هـ. وانظر طبقات ابن سعد..

(٩) انظر هدى السارى مقدمة شرح البخارى لابن حجر. وميزان الاعتدال فى علم الرجال للذهبى..

(١٠) رواه مسلم. كتاب الامارة..

(١١) انظر شرح العقيدة الطحاوية..

(١٢) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى. المقدمة..

(١٣) انظر الحاكم والترمذى وكتب السنن..

(١٤) انظر المراجع السابقة..

(١٥) انظر البخارى ومسلم كتاب الإمارة..

(١٦) انظر كتب السنن..

(١٧) مسلم. باب فضائل الامام على..

(١٨) انظر لنا كتاب السيف والسياسة فى الإسلام وانظر كتاب العواصم من القواصم لابن العربى والمراجع التاريخية. فترة وفاة الرسول (ص). ومن أهم النصوص التى تسلح بها القوم فى مواجهة الأنصار رواية: الأئمة فى قريش..

(١٩) أنظر حادثة فدك والخلاف بين فاطمة وأبي بكر في البداية والنهاية لابن كثير وكتب التاريخ..

(٢٠) أنظر العواصم من القواصم والبداية والنهاية..

(٢١) أنظر المرجعين السابقين. وأنظر نيل كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي.

(٢٢) أنظر العواصم من القواصم والبداية والنهاية..

(٢٣) من الكتب المنبوذة عند أهل السنة التي يحذرون من قراءتها: كتاب صفين لنصر بن مزاحم ومروج الذهب للمسعودي. والأغاني للأصفهاني..

(٢٤) طبع هذا الكتاب عشرات الطبعات في مصر بتوجيه ودعم من السعودية وهو منتشر بين التيارات الإسلامية في مصر وغيرها. ويذكر أن هذا الكتاب موجه إلى الشيعة على وجه الخصوص..

(٢٥) العقيدة الواسطية..

(٢٦) العقيدة الطحاوية..

(٢٧) لمعة الإعتقاد..

(٢٨) العقيدة النسفية..

(٢٩) رسالة الثغر أو أصول أهل السنة والجماعة. ط القاهرة..

(٣٠) العقيدة الواسطية..

(٣١) أنظر متن جوهرة التوحيد..

(٣٢) العقيدة الطحاوية..

(٣٣) فتح الباري جـ ٧ / ٤ ..

(٣٤) البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي..

(٣٥) الاصابة في تمييز الصحابة جـ ١ / ٧ ..

(٣٦) الدرة المضيئة وشرحها ـ عقيدة سفاريني جـ ٢ / ٣٣٨ ..

(٣٧) علوم الحديث ص ٢٦٤ ..

(٣٨) أسد الغابة حـ ١ / ط القاهرة..

(٣٩) الاستيعاب فى معرفة الاصحاب. هامش الاصابة..

(٤٠) الجامع لاحكام القرآن الكريم حـ ١٦ / ٢٩٩ / ٣٢٢ ..

(٤١) العقيدة الواسطية..

(٤٢) لمعة الاعتقاد..

(٤٣) رسالة الثغر..

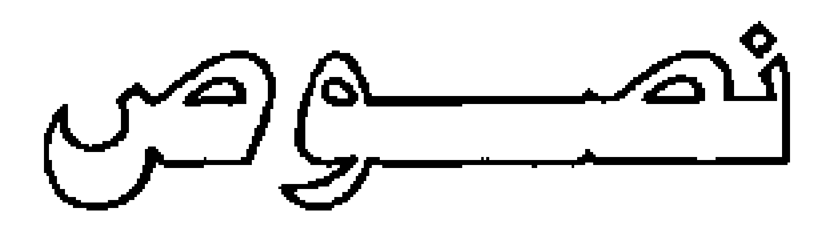
(٤٤) العقيدة الطحاوية..

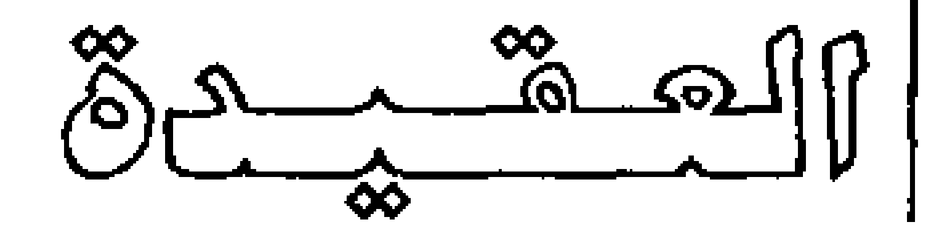
(٤٥) عقيدة أهل السنة..

(٤٦) العقيدة الواسطية..

(٤٧) أنظر عقيدة أهل السنة وأنظر كتابنا الخدعة. فصل تضخيم الرجال ط بيروت.
وأنظر ابواب فضائل الصحابة في كتب السنن وأنظر ملاحق الكتاب..

(٤٨) انظر تراجم الثلاثة فى كتب السنن. وكتب التاريخ..





عقيدتهم في الله..

عقيدتهم في الرسول..

عقيدتهم في القرآن..

عقيدتهم في الحكام..

● عقيدتهم فى الله :

جاء رد فعل أهل السنة تجاه الشيعة والمعتزلة ومن اسموهم بالجهمية والقدرية والمرجئة وتجاه رؤيتهم حول أسماء الله وصفاته وأفعاله ـ معاكساً للحقيقة وأوقعهم فى متاهة التشبيه والتجسيم ونسبة الظلم إلى الله سبحانه..

يقول ابن حنبل فى عقيدته: والله عز وجل قضى قضاءه على عباده لايجاوزون قضاءه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له واقعون فيما قدر عليهم لامحالة وهو عدل منه عز وجل..

والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك بالله عز وجل والذنوب والمعاصى كلها بقضاء وقدر الله عز وجل من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجة بل الله عز وجل الحجة البالغة على خلقه لايسأل عما يفعل وهم يسألون..

وعلم الله عز وجل ماض فى خلقه بمشيئة منه قد علم من أبليس ومن غيره ممن عصاه من لدن عصاه ابليس إلى أن تقوم الساعة ـ المعصية وخلقهم لها وعلم الطاعة من اهل الطاعة وخلقهم لها. فكل يعمل بما خلق له وصائر إلى ما قضى الله عليه منه. لم يعدوا أحد منهم قدر الله ومشيئته والله فعال لما يريد..

ومن زعم ان الله شاء لعباده الذين عصوا الخير والطاعة وان العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية ويعملون على مشيئتهم فقد زعم ان مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله فأى افتراء على الله أكبر من هذا..؟

ومن زعم أن الزنا ليس بقدر قيل له: أرأيت هذه المرأة حملت بزنا وجاءت بولد هل شاء الله أن يخلق هذا الولد..؟ وهل مضى ذلك فى سابق علمه؟ فإن قال: لا. فقد زعم أن مع الله تعالى خالقاً وهذا هو الشرك صريحاً..

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام: ليس بقضاء. فقد زعم ان

هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره. وهذا يضارع قول المجوسية. بل كل رزقه الله. وقضى الله أن يأكله من الوجه الذى أكله..

ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله. وأى كفر أوضح من هذا؟ بل كان ذلك بقضاء الله وقدره. وكل ذلك بمشيئته فى خلقه. وتدبيره فيهم وما جرى من سابق علمه فيهم وهو العدل الحق الذى يفعل ما يريد.. ومن أقر بالعلم لزمه الاقرار بالقدر والمشيئة..

ثم يقول: والماء فوق السماء السابعة وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق الماء والله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة.. والله تعالى يضحك ويفرح ويحب ويكره وينزل كل ليلة من السماء إلى السماء الدنيا.. وخلق الله آدم بيده ويخرج قوماً من النار بيده وينظر أهل الجنة إلى وجهه ويرونه فيكرمهم ويتجلى لهم فيعطيهم..(1)

ويقول الأشعرى فى رسالة أهل الثغر ناقلاً إجماع أهل السنة على أن صفات الله حقيقة لامجازاً: واستدلوا على ذلك بأنه ـ سبحانه ـ لو لم يكن له فعل لم يكن فاعلاً فى الحقيقة. ومن لم يكن له إحسان لم يكن محسناً. ومن لم يكن له كلام لم يكن متكلماً فى الحقيقة. ومن لم يكن له إرادة لم يكن فى الحقيقة مريداً. وان وصف بشىء من ذلك مع عدم الصفات التى توجب هذه الاوصاف له لا يكون مستحقاً لذلك فى الحقيقة وإنما يكون وصفه مجازاً أو كذباً.. وذلك أن هذه أوصاف مشتقة من أخص أسماء هذه الصفات ودالة عليها. فمتى لم توجد هذه الصفات لمن وصف بها كان وصفه بذلك تلقيباً أو كذباً فإذا كان الله عز وجل موصوفاً بجميع هذه الأوصاف فى صفة الحقيقة وجب اثبات الصفات التى أوجبت هذه الأوصاف له فى الحقيقة وإلا كان وصفه بذلك مجازاً..

وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى وان له تعالى يدان مبسوطتان وان الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوازاً وان يديه تعالى غير نعمته. وقد دل على ذلك تشريفه لآدم(ع) حيث خلقه بيده..

وأجمعوا على أنه عز وجل يرضى عن الطائعين له. وان رضاه عنهم ارادة لنعيمهم وأنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم وان غضبه ارادة لعذابهم وأنه لايقوم لغضبه شىء. وأنه تعالى فوق سموات على عرشه دون أرضه.

وان له عز وجل كرسياً دون العرش وجاءت الأحاديث عن النبى (ص) ان الله تعالى يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه..

وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة بأعين وجوههم. وقد بين ذلك النبى ورفع كل إشكال فيه..[٢]

وأجمعوا على أن الله كان قادراً على أن يخلق جميع الخلق فى الجنه متفضلاً عليهم بذلك لأنه تعالى غير محتاج إلى عبادتهم وأنه قادر أن يخلقهم كلهم فى النار ويكون بذلك عادلاً عليهم لأن الخلق خلقه والأمر أمره..

وجاء فى العقيدة الطحاوية: ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لم أعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معين يضاف إلى الربوبية - بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين ومن لم يتوق التشبيه زل ولم يصب التنزيه فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس فى معناه أحد من البرية وتعالى عن الحدود والغايات والاركان والاعضاء والادوات لاتحويه الجهات الست كسائر المبتدعات.. والعرش والكرسى حق. وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شىء وفوقه.. وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد وكل شىء يجرى بمشيئة وعلمه وقضائه وقدره غلبت مشيئته المشيئات كلها وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً.. والخير والشر مقدران على العباد..[٣]

ويقول صاحب لمعة الإعتقاد: وكل ما جاء فى القرآن أوضح عن المصطفى (ص) من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول وترك العرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله ونجعل عهدته على ناقله إتباعاً لطريق الراسخين فى العلم الذين أثنى الله عليهم فى كتابه..

ونقول كما قال - سبحانه - ونصفه بما وصف به نفسه لانتعدى ذلك ولا يبلغه وصف الواصفين نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول وتثبيت القرآن..

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله..

وأنه ـ سبحانه ـ يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه. ويأذن لهم فيزورونه. والمؤمنين يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه.. وفيما نقل من علامات النبي (ص) وأصحابه في الكتب المتقدمة: (أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء..[٤]

ويقول ابن تيمية: ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه من غير تحريف في كتابه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل.. وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك.. فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه بائن على خلقه.. وكل هذا الكلام الذي ذكره الله ـ من أنه فوق العرش وأنه معنا ـ حق على حقيقته لايحتاج إلى تحريف..

وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله الايمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحواً ليس بها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر لايضامون في رؤيته يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى.. والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم..[٥]

ويقول النسفي: ورؤية الله تعالى جائزة في العقل واجبة بالنقل وقد ورد الدليل السمعي بإيجاب رؤية المؤمنين الله تعالى في دار الآخرة فيرى لافي مكان ولا على جهة من مقابلة أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله تعالى.. والله تعالى خالق لأفعال العباد من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان وهي كلها بإرادته ومشيئته وحكمه وقضيته وتقديره وللعباد أفعال أختيارية يثابون بها ويعاقبون عليها والحسن منها برضاء الله تعالى.. والقبيح منها ليس برضائه تعالى..[٦]

ويقول ابن القيم في نونيته:

جهم بن صفوان وشيعته الألى ... جحدوا صفات الخالق الديان

بل عطلوا منه السموات العلى ... والعرش أخلوه من الرحمن

يا أيها الرجل المريد نجاته ... اسمع مقاله ناصح معوان

واضرب بسيف الوحى الوحى كل معطل ... ضرب المجاهد فوق كل بنان

وأتى فريق ثم قارب وصفه ... هذا ولكن جد فى الكفران

فاسر قول معطل ومكذب ... فى قالب التنزيه للرحمن

إذ قال ليس بداخل فينا ولا ... هم خارج عن جملة الاكوان

كلا ولافوق السموات العلى ... والعرش من رب ولارحمان

ولقد اتانا عشرة أنواع من المنقول فى فوقية الرحمن

مع مثلها أيضاً يزيد بواحد هانحن نسردها بلا كتمان

هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التفسير بـ (استولى) لذى العرفان(٧)

قد افردت بمصنف لإمام هذا الشأن بحر العالم الحرانى(٨)

ـ نصوص القرآن:

هناك الكثير من الآيات القرانية الخاصة بصفات الله سبحانه والتى دار حولها الخلاف بين أهل السنة والاتجاهات الأخرى..

وسوف نورد هنا بعض هذه الآيات ثم نورد بعدها الروايات التى تبناها أهل السنة وانعكست على هذه الآيات بالسلب وكانت أساس الخلاف بينهم وبين الآخرين من الشيعة والمعتزلة والمتكلمين وحتى الأشاعرة والخلف من أهل السنة.

يقول سبحانه: وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا. بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء..

ويقول: وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى..

ويقول: أننى معكما اسمع وأرى..

ويقول: الرحمن على العرش استوى..

ويقول: يا عيسى انى متوفيك ورافعك إلى..

ويقول: أمنتم من فى السماء ان يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور. أم أمنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصباً. فستعلمون كيف نذير..

ويقول: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم ولاادنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا..

ويقول: لاتحزن ان الله معنا..

ويقول: وكلم الله موسى تكليماً..

ويقول: وجوه يومئذ ناضرة.. إلى ربها ناظرة..

ويقول: قل نزله روح القدس من ربك بالحق..

ويقول: ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام

ويقول: كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا..

ويقول: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير..

ويقول: ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله أن الله واسع عليم..

ومثل هذه النصوص وغيرها وقف منها السلف موقف المفوضة..

ووقف منها الخلف موقف المؤولة..

ووقف منها أهل السنة موقف المشبهة..

ووقف منها الحنابلة موقف المشبهة والمجسمة..

وسوف نبين هذه المواقف بشيء من التفصيل..

يقول محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة: اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والاحاديث التى جاءت بها الثقات عن رسول الله (ص) فى صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه. فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبى (ص) وفارق الجماعة. فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن افتو بما فى الكتاب والسنة ثم سكتوا..(٩)

وقال ابن حنبل عن أحاديث الصفات (ان الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا)

(وأن الله يرى) (وأن الله يضع قدمه) وما أشبه هذه الروايات: نؤمن بها ونصدق بها بلا كيف ولا معنى ولا نرد منها شيئاً. ونعلم أن ما جاء به الرسول(ص) حق إذا كان بأسانيد صحاح. ولا نرد على الله قوله. ولا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه لاحد ولاغاية. ليس كمثله شيء..[10]

وروى عن الماجشون قوله: .. فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ما سواه لاهذا ولا هذا. لاتجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يوصف..[11]

نصوص الروايات:

يستند أهل السنة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله سبحانه ومجمل معتقداتهم على الروايات أكثر من اعتمادهم على نصوص القرآن..

وسوف نعرض هنا لبعض الروايات التى يتبنونها ويؤمنون بصحتها فيما يتعلق بعقيدتهم فى الله. تلك الروايات التى بنوا على أساسها موقفهم من المخالفين لهم وحملوها على وجه الحقيقة كما حملوا نصوص القرآن واعتمدوا عليها فى دعم تفسيراتهم لتلك النصوص واعتبروا الإيمان بها كالإيمان بنصوص القرآن..

وأول هذه الروايات القول المنسوب للرسول (ص): ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا..[12]

والقول: يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة..[13]

والقول للجارية: أين الله؟ قالت: فى السماء..؟ قال: أعتقها فهى مؤمنة..[14]

والقول: إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته..[15]

والقول: لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن التائب من أحدكم براحلته..[16]

والقول: عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره. ينظر إليكم ازلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب..[17]

والقول: لاتزال جهنم يلقى فيها وهى تقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله

وفى رواية: عليها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض فتقول قط قط..[١٨]

والقول: اذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصقن قبل وجهه ولا عن يمينه. فإن الله قبل وجهه ولكن عن يساره أو تحت قدمه..[٢٠]

والقول: يقول الله تعالى يا ادم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار..[٢١]

والقول : ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه وليس بينه وبينه ترجمان..[٢٢]

والقول: ان قلوب بنى ادم بين إصبعين من أصابع الرحمن..[٢٣]

والقول: ان الله خلق آدم على صورته..[٢٤]

والقول: يدى الله ملأى سماء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما فى يمينه..[٢٥]

والقول : إن ربكم ليس بأعور..[٢٦]

والقول: ان الله كتب كتاباً.. فهو عنده فوق العرش..[٢٧]

والقول: يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن..[٢٨]

والقول : يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه. فيتبعون ما كانوا يعبدون وتبقى هذه الأمة بمنافقيها. فيأتيهم الله تعالى فى غير الصورة التى يعرفون. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله تعالى منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا. فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم فى الصورة التى يعرفونها. فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا..[٢٩]

والقول: لاشخص أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ولاشخص أحب إليه المدحة من الله..[٣٠]

والقول يدنى المؤمن من ربه فيضع عليه كنفه فيقول: تعرف ذنب كذا؟..[٣١]

والقول ان الله لاينام ولاينبغى له أن ينام. يخفض القسط ويرفعه. حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما إنتهى إليه بصره من خلقه..[٣٢]

والقول: يامحمد أن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع. والأرضين على

أصبع والجبال والشجر على أصبع ثم يهزهن..[٣٣]

والقول: يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى. ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون..[٣٤]

والقول: عن الله سبحانه: كان فى عماء ما تحته هواء ولافوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء[٣٥]

والقول: أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض..[٣٦]

والقول: إن الله جميل يحب الجمال..[٣٧]

والقول : الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما عزبته..[٣٨]

والقول: لما قضى الله تعالى الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش.. أن رحمتى غلبت كل غضبى.. وفى لفظ سبقت..[٣٩]

والقول: من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب فإن الله يتقبلها بيمينه. فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل..[٤٠]

والقول: أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى.. وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً وأن آتانى يمشى أتيته هرولة..[٤١]

والقول: خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال: مه

قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب. قال: فذاك..[٤٢]

والحقو الكشح أى مابين الخاصرة إلى الضلع الخلف. والكشحان جانبا البطن من ظاهر وباطن..[٤٣]

والقول: ضحك ربنا من قنوت عباده وقرب غيره.. قلت يا رسول الله أيضحك الرب؟ قال (ص) نعم. قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً..[٤٤]

إن مكمن مأزق الاعتقاد عند أهل السنة يكمن فى كونهم طرحوا العقل جانباً وأحلوا محله الروايات وجعلوا من هذه الروايات حكماً على نصوص القرآن فى أدق

وأخطر القضايا الاعتقادية وأكثرها حساسية وهى قضية الاعتقاد فى الله..

ولقد كان السبب المباشر فى تحصن أهل السنة بالروايات هو سد العجز السائد عندهم فى مسألة الاستدلال حيث أنهم وقفوا عاجزين أمام نصوص القرآن عموماً ونصوص الصفات خصوصاً معطلين عقولهم رافضين الميل إلى آراء الآخرين..

وعلى أساس هذه الروايات حكموا بالضلال والزندقة على الإتجاهات الأخرى وأعتبروا أنفسهم الفرقة الناجية المباركة من قبل الله تعالى..

أن حكم أهل السنة بتضليل الآخرين وزندقتهم إنما ينبنى على أساس مخالفة أفكارهم ومعتقداتهم لا على أساس مخالفة نصوص القرآن أى أنهم جعلوا أفكارهم ورأيهم مقياس الحق والباطل وهم بهذا أنزلوه منزلة النص القرآنى الذى هو النص الوحيد الذى لا يأتيه الباطل ولايختلف حوله.. وتلك هى متاهة التكفير..

ومثل هذا الحكم إنما أستمد من موقفهم من الروايات وإعتقادهم فيها..

وحينما يقولون بصحة الروايات المتعلقة بصفات الله ويوجبون على المسلمين الإيمان بها وتخويفهم وإرهابهم من الحيدة عنها وطرحها، هم بهذا يساوونها بنصوص القرآن وهذا فى ذاته قمة الضلال. إذ أن الروايات هى محل أخذ ورد وترك وقبول فكيف تبلغ بهم الجرأة أن ينسبوا لله صفة على أساس رواية ليست محل تسليم مطلق..

ومثل هذا التصور الفاسد إنما يوحى بأن طرق نقل الرواية التى اعتمدها أهل السنة هى طرق معصومة مع أن الحقيقة غير ذلك تماماً. فقد تدخلت السياسة والهوى فى عملية النقل على ماهو واضح فى كتبهم..(٤٥)

وماذا يضير أهل السنة لو تمسكوا بنصوص القرآن ونزهوا الله سبحانه عن المتشابهات؟ ولماذا يزندقون الذين يرفضون هذه الروايات الغريبة المنافية للقرآن وللعقل والتى تنسب إلى الله ما لا يليق به سبحانه..؟

ولماذا يرفضون المجاز ويصرون على جعل صفات الله حقيقة..؟

وإنى لأعجب من جرأة هؤلاء القوم على الله برفضهم التأويل الذى هو عمل عقلى يهدف إلى تنزيه الله سبحانه عن التشبيه والتجسيم وتبنيهم حمل صفات الله على

الحقيقة دون خوف ولا خشية مستندين إلى مجموعة من الروايات محل شك ولا تخرج عن كونها إسرائيليات تلك الروايات التى تصور أهل السنة وكأنهم شعب الله المختار المدللون من قبل الله سبحانه..

وإذا ما قدر لأهل السنة أن يتنازلوا عن هذه الروايات أو يفتحون باب القبول والرفض لها حينئذ سوف يتساوون بالآخرين ويفقدوا قداستهم التى تمنحهم إياها هذه الروايات وطالما تمسكوا بها فسوف يظلوا فى طور التميز على الآخرين..

ويأتى الخلاف بين الخلف والسلف فى مسألة الصفات ليقدم لنا دليلاً ساطعاً على أن الأمر لايخرج عن كونه مجرد آراء لايجوز أن يبنى على أساسها موقف اعتقادى يربط به مصير المسلم فى الآخرة كما يحاول أن يصور ذلك أهل السنة، بل أن تمرد الخلف على السلف وإتجاههم لتأويل النصوص المتعلقة بالصفات إنما هو دليل آخر على أن إضفاء الحقيقة على صفات الله هو ضد القرآن والعقل وإلا ما دفع بالخلف إلى اعمال عقولهم فى هذه النصوص؟

وأمام إصرار أهل السنة على موقفهم من صفات الله وأفعاله وقضايا أخرى فى العقيدة سوف نعرض لها فيما بعد هاجمتهم التيارات الأخرى وأطلقت عليهم تسميات كثيرة تعكس طرحهم ومواقفهم وآرائهم..

فالبعض أطلق عليهم المشبهة..(٤٦)

والبعض أطلق عليهم النواصب..(٤٧)

والبعض أطلق عليهم المجبرة..(٤٨)

والبعض أطلق عليهم الشكاكون..(٤٩)

والبعض أطلق عليهم الحشوية..(٥٠)

ولاشك أن مثل هذه التسميات لم تأت إدعاء ولم تخلق من فراغ وإنما قامت على أساس أفكار وتصورات أهل السنة فى العقيدة وأن المتعمق فى عقائدهم سوف يتبين له أن هذه الإتهامات أو التسميات لها ما يبررها..

ولقد وقع أهل السنة فى تناقض خطير أوقعهم فى مأزق عقائدى حول صفات الله سبحانه وأفعاله ففى الوقت الذى يؤكدون فيه أن موقفهم من الصفات بلا تكييف ولا

تعطيل ولاتمثيل يؤكدون في نفس الوقت أن الله له مكان وله يد وله عين وينزل ويصعد وخلق آدم على صورته ووضعه رجله في النار إلى غير ذلك من التشبيهات التي يأخذونها على حقيقتها ويرفضون تأويلها كما يرفضون المجاز. فكيف يستقيم نفي التشبيه مع الإقرار بحقيقة الصفات وضرورة الإيمان بالروايات التي جاءت فيها..؟

ان السؤال الذي يفرض نفيه على أهل السنة هنا هو:

هل تنزيه الله أولى أم الإعتقاد في رواية تتناقض مع هذا التنزيه؟

الايمكن التضحية بهذه الروايات في سبيل تنزيه الله سبحانه..؟

لقد ألف ابن الجوزي كتاباً إسمه (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه) رد فيه على الذين يأخذون بظاهر الآيات والروايات ويدعون أن هذا هو مذهب السلف مؤكداً أن الأخذ بالظاهر هو صورة من صور التجسيم والتشبيه على أساس أن ظاهر اللفظ هو ما وضع له فلا معنى لليد إلا الجارحة.. وهكذا. محدداً ان مذهب السلف ليس هو الأخذ بظاهر هذه النصوص ولكن السكوت عن البحث فيها..(٥١)

وقام ابن خزيمة بتأليف كتاب، في الصفات أسماه كتاب (التوحيد) قال عنه فخر الرازي هو في الحقيقة كتاب الشرك، وقد بوبه فقال: باب اثبات اليد. باب إمساك السموات على أصابعه. باب اثبات الرجل وان رغمت المعتزلة..

إن المتأمل في الخلافات والأطروحات المتعددة والمتناقضة حول مسألة الصفات بين مختلف الفقهاء والمتكلمين في دائرة السلف والخلف يتبين له أن أهل السنة لايمثلون في الحقيقة أي من الطرفين - السلف أو الخلف - وإنما هم يمثلون في الحقيقة إتجاهاً لقيطاً برز من خلال المدرسة الحنبلية في بغداد وأخذ دعمه لأسباب سياسية في عدة فترات زمنية حتى أستوى على ساحة الواقع اليوم في الحقبة النفطية بدعم الحكم السعودي وجهود فقهاء النفط..(٥٢)

ونخرج مما سبق عرضه من نصوص أهل السنة السابقة إلى مايلي:

- أن النصوص المتعلقة بصفات الله سبحانه تؤخذ على ظاهرها حقيقة لا مجاز ولا تأويل سواء كانت واردة في القرآن أو في الروايات..

- إن لله مكاناً فوق العرش..

- ان الله يضحك ويفرح ويعجب ويضع رجله في النار..

- أن الناس سوف ترى الله يوم القيامة..

- أن الله ينزل إلى الدنيا كل ليلة..

- أن الله جائز في حقه أن يدخل المطيع النار ويدخل العاص الجنة..

- إن صورة آدم هي صورة الله..

- ان الله سوف يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه ويزورونه..

- إن محاولة تأويل نصوص الصفات توهم وهوى لا يجوز الإقدام عليه..

- ان هناك ثلاثة تيارات مختلفة حول الاسماء والصفات:

تيار السلف وهم المفوضة..

وتيار الخلف وهم المؤولة

وتيار أهل السنة وهم المشبهة والمجسمة..

- أن أهل السنة يرفضون التأويل فيما يتعلق باسماء الله وصفاته بينما يبيحونه فيما يتعلق بالصحابة والحكام..

الهوامش

(١) أنظر عقيدة أهل السنة.. وأنظر نصوص العقيدة بملاحق الكتاب..

(٢) أصول أهل السنة والجماعة المسماة رسالة الثغر ط / القاهرة ـ أنظر ملاحق الكتاب.

(٣) أنظر متن الطحاوية فى ملحق الكتاب..

(٤) أنظر ملحق الكتاب

(٥) العقيدة الواسطية. أنظر ملحق الكتاب..

(٦) متن العقيدة النسفية. أنظر ملحق الكتاب..

(٧) نونية ابن القيم تحوى (٥٩٤٩) بيتاً وهو يسير فيها على نهج استاذه ابن تيمية منكراً المجاز ومردداً أقوال أستاذه مما دفع الفقهاء للرد عليه، أنظر السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل ط/ القاهرة..

(٨) المقصود بهذا البيت ابن تيمية الذى ينتسب لبلدة حران بالشام..

(٩) أنظر اللالكائى وكتب العقائد.. والأحناف يلتزمون بعقيدة الماتريدى بينما يلتزم الشافعية بعقيدة الأشعرى..

(١٠) الصواعق المرسلة لابن القيم ١ / ٢٦٥ .

(١١) أنظر اللالكائى وكتب العقائد..

(١٢) أنظر البخارى كتاب التوحيد ومسلم ومسند أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى..

(١٣) البخارى ومسلم والمراجع السابقة..

(١٤) مسلم والمراجع السابقة..

(١٥) البخارى ومسلم والمراجع السابقة..

(١٦) المراجع السابقة..

(١٧) المراجع السابقة..

(١٨) المراجع السابقة..

(١٩) المراجع السابقة..

(٢٠) البخارى كتاب الصلاة ومسلم وأنظر المراجع السابقة..

(٢١) المراجع السابقة..

(٢٢) المراجع السابقة..

(٢٣) رواه الترمذى حـ ٤ وأنظر ابن ماجه حـ١..

(٢٤)رواه البخارى ومسلم / باب النهى عن ضرب الوجه

(٢٥) رواه البخارى وابن ماجه

(٢٦) رواه البخارى ومسلم

(٢٧) البخارى ومسلم وقد رد الأوزعى - فقيه الشام ت ١٥٧ هـ - على منكرى كون الله فوق عرشه بقوله: كنا والتابعون متوافرون نقول أن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات.. انظر الأسماء والصفات للبيهقى..

(٢٨) البخارى كتاب التفسير

(٢٩) أنظر كتب السنن..

(٣٠) البخارى كتاب التوحيد.. وأنظر كتب السنن..

(٣١) البخارى ومسلم..

(٣٢) ابو داود والترمزى وأنظر كتب السنن الأخرى..

(٣٣) البخارى ومسلم

(٣٤) البخارى كتاب التوحيد وابن ماجه حـ١ وأنظر كتب السنن..

(٣٥) أنظر سنن ابن ماجه حـ١ .. والترمذى حـ ٤ ..

(٣٦) أنظر كتب السنن..

(٣٧) أنظر البخارى ومسلم وكتب السنن..

(٣٨) انظر المراجع السابقة..

(٣٩) أنظر البخارى وكتب السنن..

(٤٠) أنظر المراجع السابقة..

(٤١) البخارى كتاب التوحيد وأنظر كتب السنن..

(٤٢) البخارى كتاب التفسير..

(٤٣) أنظر البخارى ومسلم..

(٤٤) رواه ابن ماجه حـ ١ ..

(٤٥) أنظر ميزان الاعتدال فى علم الرجال للذهبى. وهدى السارى مقدمة شرح البخارى لابن حجر. ولسان الميزان..

(٤٦) الذين أطلقوا عليهم أهل السنة المشبهة هم المعتزلة..

(٤٧) والذين أطلقوا عليهم النواصب هم الشيعة. ونواصب جمع ناصبى وهو من ناصب آل البيت العداء..

(٤٨) والذين أطلقوا عليهم المجبرة هم القدرية..

(٤٩) والذين أطلقوا عليهم الشكاكون هم المرجئة..

(٥٠) والذين أطلقوا عليهم الحشوية هم الخوارج

(٥١) طبع هذا الكتاب فى القاهرة..

(٥٢) أنظر فصل الوهابيون والجماعات الإسلامية من الكتاب.. وأنظر لنا فقهاء النفط.

● عقيدتهم فى القرآن :

يعتقد اهل السنة ان القران هو كلام الله المنزل على محمد (ص) بلسان عربى مبين..

وان هذا القران محفوظ من قبل الله لقوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) غير انهم يتبنون عدد من الروايات التى تتناقض مع هذا الاعتقاد وتشكك فى هذا القران كما يتبنون بعض المواقف التى تؤدى الى نتيجة الشك فى كتاب الله..

وسوف نعرض لرؤية اهل السنة وعقيدتهم فى القرآن من خلال جانبين:

الأول : جانب الروايات ..

الثاني : مصحف عثمان..

أما الروايات فقد اكتظت كتبهم بعشرات الروايات التى تشير إلى تحريفه وزيادته ونقصانه وتقصير الرسول (ص) فى جمعه والاهتمام به..

يروى البخارى أن عمر قال لابى بكر: أن القتل قد استحر يوم القيامة بقراء القران وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن . وإنى ارى أن تأمر بجمع القران..

قال أبو بكر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله؟

قال عمر: هذا والله خير..

قال ابو بكر : فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك..

ومثل هذه الرواية تشير إلى أن الرسول (ص) مات وترك القرآن مشتتاً بين صدور الصحابة ومهدد بالضياع وهو بهذا الموقف يكون قد أهمل واجبه الاساسى الذى بعث لأجله خاصة انه لا نبى بعده.. فهل يجوز ذلك فى حق الرسول؟

يروى البخارى أن أبا بكر قام بتكليف زيد بن ثابت بجمع القرآن بقوله : أنك رجل شاب عاقل لانتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله (ص) فتتبع القران فاجمعه.

قال زيد: فتتبعت القران أجمعه من العب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت

آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الانصارى لم أجدها مع أحد غيره. فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر..

ومن الواضح أن هذه الطريقة فى جمع القرآن تثير الشك وتدفع الى القول بتحريف القرآن: فكيف بشخص واحد - شاب - يقوم بهذه العملية وحده وهى عملية خطيرة يرتبط بها مستقبل الدين..؟

أين كبار الصحابة . أين على بن أبى طالب وأين مسعود وأبى ابن كعب وهؤلاء كانوا من كتاب الوحى ولهم شهرتهم ومكانتهم. ولماذا لم يستعن بهم أبو بكر..؟

وكيف لا توجد آيات التوبة إلا عند واحد فقط. إلا يعنى هذا اتهام الرسول بالتقصير فى تبليغ القرآن للناس..؟ والا يعنى أنه من الممكن أن تكون هناك آيات قد فقدت ثم كيف بالمصحف أن يحتكر بعد جمعه فى حوزة أبى بكر ثم عمر ثم ابنته حفصة أهو ميراث خاص بهم..؟ وإذا ما استسغنا حكر أبو بكر وعمر للمصحف بحكم امساكهما للسلطة فكيف نستسيغ حكر حفصة له..؟ وكيف لنا أن نتقبل عقلاً تلك الخلافات التى وقعت بين زيد والآخرين حول آيات القرآن والتى دفعت بأبى بكر الى استحضار شاهدين يشهدان على صحة الآية..؟

ثم أننا بعد ذلك كله نتساءل أين دور أبو بكر وعمر فى هذا الجمع؟ أين ما حفظاه من كتاب الله عن الرسول..؟

ويروى أهل السنة فى كتبهم أن هناك آيات نزلت من القرآن ثم رفعت وبقى حكمها وآيات بقيت ونسخ حكمها..

ومن الآيات التى رفعت: والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة..[١]

: بلغوا عنا قومنا انا قد لقينا ربنا..[٢]

وقال ابن كعب : كانت سورة الاحزاب قدر البقرة..[٣]

وقال حذيفة: ما يقرؤن ربعها اى سورة براءة..[٤]

ويروى عن ابن عمر انه كان يكره أن يقول رجل قرأت القرآن كله. ويقول أن منه قرآنا قد رفع..[٥]

ويقول أبو موسى الاشعرى : إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها فى الطول والشدة

ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب..[٦]

وقال عمر: لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله لكتبتها: الشيخ والشيخة فارجموها البتة..[٧]

وفي مسند أحمد عن أبي واقد الليثي قال : كنا نأتي النبي (ص) إذا أنزل عليه فيحدثنا . فقال لنا ذات يوم أن الله عز وجل قال : إنا انزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون له ثان. ولو كان له واديان لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب..

وروى الطبراني والبيهقي أن من القرآن سورتين الأولى منهما: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك..

والثانية منهما: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد ونصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجد إن عذابك بالكفار ملحق..

وعن ابى بن كعب قال : أن رسول الله (ص) قرأ عليه (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب وفيها أن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيراً فلن يكفره..[٨]

وقال زيد بن ثابت : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله (ص) يقرأ بها. فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الانصاري وهي (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فألحقناها بالمصحف..[٩]

ويروى ابن عباس أن عمر قال وهو على المنبر: أن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله اية الرجم. فقرأناها وعقلناها ووعيناها. فلذا رجم رسول الله (ص) ورجمنا من بعده. فأخشى أن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد اية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال . ثم إنا كنا نقرأ من كتاب الله : ان لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو أن كفرا بكم أن

ترغبوا عن آبائكم..[١٠]

ويروى عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كانت سورة الاحزاب تقرأ فى زمن النبى مئتى آية. فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر إلا ما هو الآن..[١١]

وتأتى بعد تلك الروايات قصة جمع عثمان للمصحف وما تثيره من شكوك وعلامات استفهام حول القرآن..

يروى أهل السنة أن عثمان لما أراد جمع القرآن أرسل الى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إلى عثمان..[١٢]

والسؤال الذى يطرح نفسه إذا كان عثمان قرر جمع القرآن ووجد أمامه ما يوجب فعل ذلك. فلماذا اختار مصحف حفصة الذى جمعه زيد بن ثابت بأمر ابى بكر وعمر وقرر احراق المصاحف الأخرى..؟

أن هذا الحدث يكشف لنا حقيقة هامة وهى أن هناك مصاحف أخرى كانت موجودة فى زمن أبى بكر وعمر غير مصحف حفصة وهى المصاحف التى كانت بحوزة الصحابة قبل عملية احراقها وإلزام الأمة بمصحف عثمان..

وهنا يطرح سؤال اخر: إذا كانت هذه المصاحف موجودة بعد وفاة الرسول (ص) فما الذى دفع بابى بكر وعمر إلى جمع مصحف اخر؟ ولماذا صور عمر أن القرآن مهدد بالضياع ولا وجود له إلا فى صدور القراء الذين يقاتلون فى اليمامة..؟

إن أهل السنة أمام فعلة عثمان بين أمرين:

إما أن يقروا بأن القرآن لا وجود له إلا فى حوزة حفصة التى ورثته عن عمر وأبيها وإما أن يقروا بأن هناك مصاحف أخرى كانت موجودة فى زمن الرسول وبعد وفاته:

فعلى ضوء الأمر الأول يبرر فعل عثمان..

وعلى ضوء الأمر الثانى يكون فعل عثمان لا مبرر له..

والمعروف أن أهل السنة يعتقدون أن جمع القرآن من أعظم فعال عثمان وهم بهذا يهملون الروايات الأخرى الواردة فى كتبهم والتى تؤكد أن الصحابة كانت لديهم مصاحف أخذوها عن الرسول (ص) وأن هذه المصاحف لم يتعرض لها أبو بكر أو

عمر ولم يقرر احراقها كما فعل عثمان..

كان هناك مصحف على بن ابى طالب..

وكان هناك مصحف ابن مسعود..

وكان هناك مصحف ابى بن كعب..

وكان هناك مصحف ابن عباس..(١٣)

وإذا كان ابو بكر وعمر استعانا بزيد بن ثابت فى جمع مصحفهما ولم يستعينا باى من هؤلاء الاربعة . فإن عثمان فعل نفس الشئ واستعان بزيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله ابن النزى..(١٤)

ان مثل هذه الروايات تقودنا إلى أن موقف عثمان هو امتداد لموقف ابى بكروعمر.

وتقودنا من جانب أخر إلى الشك فى دور الخلفاء الثلاثة تجاه القرآن. بل تقودنا بالإضافة إلى ذلك إلى الشك فى القرآن ذاته..

وإذا كانت المصادر التى بين أيدينا لم تكشف لنا عن أية معارضة لما فعله أبو بكر وعمر فإن مصادر أهل السنة كشفت لنا أن هناك معارضة شديدة لما فعلة عثمان..

يروى البخارى: خطبنا ابن مسعود فقال : والله لقد اخذت من فى رسول الله (ص) بضعاً وسبعين سورة. والله لقد علم اصحاب النبى أنى من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم..

ويروى أبو داود والنسائى : خطبنا ابن مسعود فقال : قال سبحانه (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) غلوا مصاحفكم . وكيف تأمروننى أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت من فى رسول الله (ص)..

وفى رواية يقول ابن مسعود: إنى غالٍ مصحفى فمن أستطاع إن يغل مصحفه فليفعل..

وفى رواية: والله لا أدفعه - يعنى مصحفه - لعثمان. اقرأنى رسول الله..

ومثل هذا الموقف من ابن مسعود تجاه عثمان يكشف لنا أن عمل عثمان لم يكن

محل اجماع الصحابة. وان هناك هدف آخر من وراء حرق المصاحف . حتى أن بعض الصحابة أطلق على عثمان: حراق المصاحف..[١٥]

ويكشف لنا موقف ابن مسعود من جهة أخرى أن هناك مواقف تجاه مصحف حفصة الذى جمع على يد أبي بكر وعمر. حيث أن مصحف عثمان الذى رفض من قبل ابن مسعود وغيره هو نفسه مصحف حفصة..

وكان عثمان هو الذى قام بحذف بسم الله الرحمن الرحيم من سورة التوبة ووصلها بسورة الانفال مدعياً أن رسول الله (ص) قبض ولم يبين أمر البسملة وقد وصل السورتين ببعضهما لتشابههما..[١٦]

يروى البخارى أن جبريل كان يعرض على النبي (ص) القرآن كل عام مرة. فعرض عليه فى العام الذى قبض مرتين..[١٧]

وهذه الرواية تتناقض مع الروايات السابقة التى تتصل بالخلفاء الثلاثة وهى تؤكد من جهة أخرى أن القرآن كان موضع أهتمام جبريل والرسول..

الهوامش

(١) انظر فتح البارى جـ ٨ / ٢٦ . ومسلم جـ ٥ / ,١١٦ وانظر كتب تاريخ القرآن.. وانظر مستدرك الحاكم والاتقان فى علوم القران للسيوطى.

(٢) انظر المراجع السابقة..

(٣) انظر المراجع السابقة..

(٤) انظر المراجع السابقة..

(٥) انظر المراجع السابقة..

(٦) رواه مسلم باب الزكاة وانظر مسند أحمد وموطأ مالك.

(٧) مستدرك الحاكم وانظر الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى..

(٨) مسند أحمد. وانظر المراجع السابقة.

(٩) أنظر فتح البارى حـ ٩ .. كتاب فضل القرآن..

(١٠) فتح البارى جـ ٨ / ٢٦ . ومسلم جـ ٥ / ١١٦ .. وانظر مسند أحمد..

(١١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى..

(١٢) انظر فتح البارى جـ ٩ وكتب تاريخ القرآن..

(١٣) انظر الاتقان وكتب تاريخ القرآن..

(١٤) انظر المراجع السابقة..

(١٥) فتح البارى جـ ٩ .. وأنظر كتب التاريخ فترة مصرع عثمان ..

(١٦) انظر المرجع السابق وكتب تاريخ القرآن..

(١٧) البخارى باب كان جبريل يعرض القران على النبى ..وأنظر فتح البارى جـ٩ ..

● عقيدتهم فى الرسول (ص) :

تقوم عقيدة أهل السنة فى رسول الله (ص) على ما يلى:

- أن الرسول له جانبان : جانب معصوم وجانب غير معصوم..
- أن الرسول يضيف على القرآن..
- أن الرسول يعشق النساء..
- أن عمر ينازع الرسول فى أمر الوحى..

وبالنسبة لأمر العصمة فأجماع أهل السنة على جواز وقوع النسيان من الرسول (ص) لكنهم أختلفوا فيما يكون النسيان. هل ينسى فى التبليغ عن الله ما يتعلق بالأحكام والأفعال..؟

ويقول ابن حزم: والسهو منهم - أى الأنبياء - قد ثبت بيقين وأيضاً فإنه ندب الله تعالى لنا إلى التأسى بهم لا يمنع من وقوع السهو منهم لأن التأسى بالسهو لا يمكن إلا بسهو منا.

إننا مأمورون إذا سهونا أن نفعل كما فعل رسول الله (ص) إذا سها..[١]

وقال الاشاعرة يجوز على الانبياء الكبائر والصغائر إلا الكفر والكذب وعلى هذا طوائف أخرى من أهل السنة..

ويؤكد ابن تيمية أن أنكار السهو من الغلو فى عصمة الأنبياء ، وأن هذا القول لم يوافق عليه أحد من أهل السنة..[٢]

وينقل عن أهل السنة قولهم عن الرسول (ص) : أما السهو فممتنع عليهم فى الأخبار البلاغية وغير البلاغية وجائز عليهم فى الأفعال البلاغية. أما النسيان فهو ممتنع فى البلاغيات قبل تبليغها قولية كانت أو فعلية . أما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر الله تعالى أما نسيان الشيطان فمستحيل عليهم. ويجوز على ظواهرهم ما يجوز على البشر مما لا يؤدى إلى نقص وأما بواطنهم فمنزهه عن ذلك متعلقة بربهم..[٣]

ويقول ابن تيمية: والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر فى ذلك خطأ

باتفاق المسلمين، وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع، ومتنازعون في أن العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها؟ أم هل العصمة إنما هي الاقرار عليها لا في فعلها؟ أم يجب القول بالعصمة إلا في التبليغ فقط؟ وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث أم لا.. ؟ والقول الذي عليه جمهور المسلمين وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقاً..[٤]

ويرد ابن تيمية على القائلين بالنفي أي نفي وقوع المعاصي على الأنبياء بقوله: وكذلك ما احتجوا به من أن الذنوب تنافي الكمال أو أنها مما عظمت عليه النعمة أقبح أو أنها توجب التنفير أو نحو ذلك من الحجج العقلية فهذا إنما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع، وإلا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه. كما قال بعض السلف كان داود (ع) بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة..

ثم قال : لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه..[٥]

ويقول أهل السنة مبررين موقفهم من قضية العصمة: وليس في ذلك حط من منصبه العظيم الذي أكرمه الله به لأن منصب النبوة منصبٌ على العلم بالأمور الدينوية من الاعتقاد في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والأمور الشرعية . أما إذا اعتقد أن فلاناً مظلوم فإذا هو ظالم أو أن دواءاً معينا يشفي من مرض معين فإذا هو لا يشفي منه. أو أن تدبيراً زراعياً أو تجارياً أو صناعياً يؤدي إلى هدف معين فإذا هو لا يؤدي إليه. أو يؤدي إلى عكسه. أو أن تدبيراً عسكرياً أو ادارياً سينتج مصلحة معينة. أو يدفع ضرراً معيناً فإذا هو لا يفعل . فإن ذلك الاعتقاد لا دخل له بالنبوة. بل هو يعتقده من حيث هو انسان له تجاربه الشخصية وتأثراته بما سبق من الحوادث وما سمع إو رأى من غيره مما أدى إلى نتائج معينة . فكل ذلك يؤدي إلى أن يعتقد كما يعتقد غيره من البشر ثم قد ينكشف الغطاء فإذا الأمر على خلاف ما ظن واعتقد..[٦]

وقد أعتمد أهل السنة في رؤيتهم هذه ـ كما هي عادتهم ـ على عدد من الروايات التي صححوها بطريقهم..

وأول هذه الروايات رواية تقـول : قـدم النبى (ص) إلى المدينة فـإذا هم يأبرون النخل فقال: مـا تصنعون..؟ قالوا: كنا نصنعه. قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً . فتركوه.

فنفضت. فذكروا ذلك له. فقال: إنما أنا بشر. إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به. وإذا أمرتكم بشئ من رأيى فإنما أنا بشر..[7]

وفى رواية أخـرى قـال لهم الرسـول بعـد أن نفض النخل: أنتم أعلم بأمـور دنياكم..[8]

وتأتى هذه الروايات ـ رواية تقول على لسان الرسول (ص) : إنما أنا بشر وانكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فاقتضى له على نحو مـا أسـمـع . فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما اقطع له قطعة من النار..[9]

وفى روايةاخرى: إنما أنا بشر، وأنه يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فاقضى له بذلك..[10]

وعن عائشـة قالت: سحـر النبى (ص) رجل صـار من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله (ص) يخيل إليه أنه كان يفعل الشئ وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندى لكنه دعا ودعا ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى. فقـال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب. قال من طبه قال لبيد بن الأعصم. قـال فى أى شئ . قال فى مشط ومشاطة وجف طلع نخله ذكر قال: وأين هو؟ قال فى بئر ذروان .فأتاها رسول الله (ص) فى ناس من أصحابه فجاء فقال : يا عائشة كـأن سـاءها نقاعه الحناء أو كـأن رؤوس الشيـاطين. قلت يا رسـول الله افـلا استخرجته قال : قد عافانى الله فكرهت أن اثير على الناس فيه شراً فأمر بها فدفنت..[11]

وذهب جمهور أهل السنة إلى جواز وقوع السحر على رسول الله وأن ذلك لا يخالف العصمة ولا ينافى قوله تعالى : (والله يعصمك من الناس) لأن سحر النبى

(ص) كان من جنس ما كان يعتريه من الأسقام والأوجاع وهو مرض من الأمراض وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما يدل له قوله (ص) في آخر الحديث (قد عافاني الله)..[١٢]

وقال القاضي عياض: والسحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه (ص) كأنواع الأمراض مما لاينكر ولا يقدح في نبوته، وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشئ ولم يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخله في شئ من صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث لسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أنه يخيل إليه من أمورها ما لاحقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان فكان غاية هذا السحر فيه(ص) إنما هو في جسده وظاهر جوارحه لا في عقله وقلبه ولذلك لم يكن يفتقد صحة ما خيل إليه أنه خيال لا حقيقة له . ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض .. [١٣]

ومثل هذه الروايات يستند إليها أهل السنة في دعواهم بأن شخصية الرسول (ص) لها جانبان : جانب دنيوي غير معصوم من الممكن لخصومه وخصوم الرسالة أن ينالوا منه ويتآمروا عليه ويخدعوه ويسحروه، وهو في هذا الجانب من الممكن ان يرتكب حماقات البشر مثل التطفل كما هو واضح من رواية النخل التي ذكرناها والتي تفرض علينا التساؤلات التالية: هل كان رسول الله لا يفقه في النخل..؟

وإذا كان لا يفقه فيه فكيف يطلب من أصحابه ترك تأبيره..؟

الا يعد ذلك تطفلاً من الرسول وتدخلاً فيما لا يعنيه..؟

هل يجوز ذلك في حق الرسول..؟

وإذا كان أصحاب النخل اطاعوا الرسول فعلى أي أساس أطاعوه وتركوا النخل ليفسد فلا شك أنهم أطاعوه لكونه رسول لا ينطق عن الهوى..؟

الا يعني هذا تشكيكاً في الوحي حيث أن الرسول قال كلاماً لم تثبت صحته..؟

أليست مثل هذه الحادثة فرصة للمنافقين المتربصين بالرسول والدعوة في المدينة لينالوا من الرسول ومن الوحي..؟

ثم إن أهل السنة يصورون الرسول بصورة المخدوع بلحن القول وقوة الحجة حتى أنه يصدر حكماً ظالماً على هذا الأساس وإذا كان من الممكن لشخص ما أن يخدع الرسول بزخرف القول ويصور له الحق باطلاً والباطل حقاً. فـــأين دور الوحي..؟

كيف يترك الرسول يصدر هذا الحكم الظالم وهو قد أرسل لتحقيق العدل بين الناس..؟

إن هذا الأمر من صميم الدين فكيف يفصل عن الوحي ويترك لبشرية الرسول. مثل هذا التصور إنما يعني أن الوحي لا دور له، وما دام هذا الأمر لا صلة له به وهو متروك لاجتهاد الرسول حسب تصورهم .

وتأتي قضية السحر لتؤكد لنا مدى هامشية شخصية الرسول في نظر أهل السنة ومدى إهمال الوحي له حتى أن بعض السحرة يسحرونه ويسيطرون عليه فيفعل الشئ ولا يفعله أي يتخيل فعل الشئ وهذا يعني أن الساحر قد هيمن على الرسول نفسياً ومن الممكن أن يقول على لسانه ما يشاء. ومرة أخرى يطرح السؤال: أين دور الوحي..؟

ومن هذا المنظور الذي يفصل بين شخصية الرسول النبوية وشخصيته الدينوية لم يتورع أهل السنة في نسبة عشق النساء إليه وولعه بهن بل وفضح علاقاته الجنسية بزوجاته فذلك مبرر عندهم ما دام في الجانب الدنيوي من شخصية الرسول..

يروي البخاري عن انس قوله: أن النبي (ص) كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة..[١٤]

وفي غزوة خيبر أعجب الرسول بصفية بنت حيي وكانت من السبي وقد زينها له القوم فانتزعها من صاحبها وأعطاه جارية مكانها ثم اقام بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبني عليه بصفية وأقام وليمة..[١٥]

وتروي أم سلمة زوج الرسول (ص) : بينما أنا مضجعة مع رسول الله في الخميلةإذ حضت فانسللت فأخذت ثياب حيضتي . فقال الرسول: أنفست؟ قلت:

نـعـم. فدعاني فاضـجعت معه في الخميلة وكانت هي والرسول يغتسلان في الأناء الواحد من الجنابة..[١٦]

وتروى ميمونة زوج النبى (ص): كان رسول الله يضجع معى وأنا حائض وبينى وبينه ثوب..[١٧]

وتروى عـائشـة : كـانت أحدانا إذا كـانت حـائضـاً أمرها رسـول الله فـتـأتزر ثم يباشرها..[١٨]

وتروى كتب السنن أن رسول الله عقد على عائشة وهى بنت ست سنين ودخل بها وهى أبنة تسع..[١٩]

ويروى الصحابة عن الرسول قولهم: كنا نتحدث أن له - أى الرسول - قوة عشرون رجلاً فى الجماع..[٢٠]

ويروى البـخـارى أن رسـول الله (ص) قـال لنسـائه: لا تؤذيني في عـائشـة ، فـإنه والله ما نزل على الوحى وأنا في لحاف إمرأة منكن غيرها..[٢١]

ويروى ابن كثير أن رسـول الله (ص) أراد مـفـارقـة سـودة بنت زمـعـة لكبـر سنها فقالت:

يا رسول الله لا تفارقنى وأنا أجعل يومى لعائشة فتركها الرسول وصـالحها على ذلك..[٢٢]

ويروى مسلم أن رسول الله (ص) كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت. فدخل عليها رسول الله يوما فأطعمته ثم جلست تفلى رأسه فنام . أى نام فى حجرها..[٢٣]

ويروى البخارى أن نساء النبى بعثن إليه بفاطمة تقول : أن نساءك ينشدنك العدل فى بنت ابى بكر. فكلمـتـه . فقال : يا بنية الا تحبين مـا أحب؟ قالت: بلى . فرجـعت فـأخـبـرتهن. فقلن إرجعي إليه فـأبت أن ترجع . فـارسلن زينب بنت جـحش فـأتته فأغلظت وقالت أن نسـاءك ينشدنك الله العدل فى بنت ابن ابى قحافة. فرفعت صـوتها حتى تناولت عـائشة وهى قاعدة فسبتها. حتى أن النبى لينظر إلى عائشـة هل تكلم؟ قال فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها..[٢٤]

وروى مسلم عن عائشة أن رجلاً سأل النبى (ص) عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل - أى لاينزل - هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة. فقال رسول الله: انى لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل..(٢٥)

وغير هذه الروايات كثير مما تكتظ به كتب القوم تلك الروايات التى أسهمت ولازالت تسهم فى تشويه صورة الرسول وفتح الباب أمام أعداء الإسلام للطعن فى النبى وتشويهه..

والباحث فى كتب أهل السنة لايجد واحداً منهم منح عقله بعض الحرية ونظر لهذه الروايات نظرة الناقد دفاعاً عن الرسول (ص) وصيانة لشخص نبيه. بل يجد تبريرات وتأكيدات لمثل هذه السلوكيات التى لا تجوز فى حق نبى فضلاً عن كونها لا تجوز عقلاً..

يقول النووى عن حديث طواف الرسول على نسائه فى ليلة واحدة ويغسل واحد: وأما طواف الرسول (ص) على نسائه بغسل واحد فيحتمل أنه كان يتوضأ بينهما.. وقد جاء فى سنن أبى داود أنه (ص) طاف على نسائه ذات ليلة يغتسل عند هذه وعند هذه وهو محمول - أى الطواف - على أنه كان برضاهن أو برضى صاحبة النوبة ان كانت نوبة واحدة..(٢٦)

ويقول القاضى عياض: إن الحكمة فى طوافه عليهن فى الليلة الواحدة كان لتحصينهن. وكأنه أراد به عدم تشوفهن للأزواج. إذ الاحصان له معان منها الاسلام والحرية والعفة. والذى يظهر ذلك إنما كان لارادة العدل بينهن فى ذلك وان لم يكن واجباً..(٢٧)

ويعلق ابن حجر على قول القاضى عياض: وفى التعليل الذى ذكره نظر لأنهن - أى نساء النبى - حرم عليهن التزويج بعده وعاش بعضهن بعده خمسين سنه فما دونها وزادت آخرهن موتاً على ذلك..(٢٨)

ويعلق النووى على الرواية التى تقول: ان رسول الله رأى امرأة - فوقعت فى نفسه - فأتى امرأته زينب وهى تمعس منيئة لها فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال: ان المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم إمرأة

فليأت أهله فإن ذلك يرد ما فى نفسه.. يقول النووى: فيه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها - أى النساء - لما جعله الله تعالى فى نفوس الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن فهى - أى المرأة - شبيهة بالشيطان فى دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له..(٢٩)

ويروى مسلم: إن رجلاً كان يتهم بأم ولد الرسول (ص) فقال رسول الله لعلى: اذهب فأضرب عنقه. فأتاه على فإذا هو فى ركى يتبرد فيها. فقال له على: أخرج. فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر. فكف على عنه ثم أتى النبى فقال يا رسول الله أنه المجبوب ما له ذكر..(٣٠)

ان مثل هذه الروايات تمثل أكبر اهانة لشخص الرسول (ص) وان موقف أهل السنة منها لهو اهانة أكبر. وهو إن دل على شىء فإنما يدل على ان القوم ألغوا عقولهم وطمسوا بصيرتهم حتى انهم لم يعوا مدلول قوله تعالى فى الرسول (وإنك لعلى خلق عظيم) وإن هذا الخلق العظيم الذى وصفه به الله سبحانه ليتنافى مع ما هو اقل مما يلصقونه به عن طريق هذه الروايات.. ومثل هذه الروايات إنما تفوح منها رائحة السياسة والهدف منها تبرير سلوك الحكام مع النساء.. وهى تطرح أمامنا عدد من التساؤلات لا نجد لها إجابة عند أهل السنة..

هل كان الرسول يطوف على نسائه علانية..؟

وهل كان لديه الوقت الكافى لذلك؟

وكيف يصدق مثل هذا الكلام إذا ما كانت الحقائق التاريخية تؤكد أن عدداً من نساء النبى كن كبيرات ثيبات لا أرب لهن وقد تزوجهن النبى لأسباب أخرى..؟

واذا كان الناس يتحدثون عن طواف الرسول على نسائه وان له قوة عشرون رجلاً فى الجماع الا يعنى هذا أن الحياة الجنسية للنبى مفضوحة ومكشوفة على الملأ..؟

وهل يعقل أن يقبل مسلم مثل هذا الكلام على نبيه حتى ولو كان عن طريق السمع لا الرؤية..؟

وما معنى ان ينتزع الرسول سبيه من صاحبها ويأخذها لنفسه ثم يدخل بها فى الطريق دون أن ينتظر العودة إلى المدينة..؟

هل يمكن ان يتصور مثل هذا الأمر مع قائد في ميدان الحرب فضلاً عن نبي..؟

وهل سيطرت الشهوة الجنسية على النبي إلى هذا الحد..؟

ثم كيف بنبي يضاجع زوجاته أثناء الحيض..؟

هل نسي النص القرآني الذي ينهي عن ذلك..؟ أم غلبته الشهوة..؟

وكيف لنساؤه أن يكشفن مثل هذه العلاقة وهذا الفعل الشائن..؟

وما معنى أن يعقد الرسول على طفلة عمرها ست سنوات ويدخل بها وهي ابنة تسع؟

هل انقرضت نساء العرب ولم تكن توجد سوى عائشة..؟[٣١]

وماذا يفعل نبي بطفلة تلهو بالدمى..؟[٣٢]

وهل يتلائم مثل هذا السلوك مع نبي خاتم يشغله أمر الأمة ومستقبل الدعوة..؟

وهل نزول الوحي في لحاف عائشة مباركة من الله لهذا الزواج..؟

وكيف يهبط الوحي على الرسول في هذا الموضع المنعدمة فيه الطهارة..؟

وهل يعقل أن يقوم الرسول بتطليق امرأته سودة لمجرد كونها لاتلبي رغباته الجنسية هل يجوز مثل هذا التصور في حق نبي..؟

وكيف للرسول أن يدخل على امرأة متزوجة وينام في حجرها وتفلي له رأسه..؟

وهل الرسول متفرغ لخلافات النسوة وغيرتهن. وكان هواه وقلبه مع عائشة دون غيرها من الزوجات..؟

ألا يدل ذلك على الظلم؟ وهل يمكن للرسول أن يظلم ولا يعدل بين زوجته؟

وهل هان الرسول في نظر القوم إلى الحد الذي يصورونه تثيره امرأة في الطريق وتدفع به إلى الإسراع لمواقعة زوجته إطفاءً لنار الشهوة..؟

وهل النساء في ذلك الزمان كن يسرن عاريات..؟

أما رواية المجبوب فلا تحتاج إلى تعليق..

وليت القوم وقفوا عدن هذا الحد لكنهم تجاوزوه إلى ما هو أضل.. بأن جعلوا لعمر دوراً مشاركاً للوحي ومنازعاً للرسول صلى الله عليه وسلم في نبوته حتى بدا

وكأنه يوجه الرسول ويذكره بالأحكام الشرعية..

يروى البخارى أن النبى قال: لقد كان فيمن قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء. فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر..(٣٣)

ويروى على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: لو كان بعدى نبى لكان عمر..(٣٤)

ويعلق ابن حجر على هذه الرواية بقوله: والسبب فى تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الموافقات التى نزل القرآن مطابقا لها..(٣٥)

ويقول عمر عن نفسه: وافقت ربى فى ثلاث: فى مقام إبراهيم. وفى الحجاب. وفى أسارى بدر.(٣٦)

ويعلق ابن حجر قائلا: والمعنى وافقنى ربى فأنزل القرآن على وفق ما رأيت، ولكن لرعاية الأدب اسند الموافقة إلى نفسه..(٣٧)

ويروى مسلم أنه لما توفى عبد الله بن أبى سلول جاء ابنه عبد الله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه أباه فأعطاه. ثم سأله أن يصلى عليه. فقام الرسول ليصلى عليه. فقام عمر فأخذ بثوب الرسول فقال: يارسول الله أتصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه. فقال الرسول: إنما خيرنى الله. فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم أن تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على سبعين قال عمر: إنه منافق.. فصلى عليه الرسول وانزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره..

ويروى مسلم عن عائشة قالت: إن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يخرجن باليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح. وكان عمر يقول لرسول الله: أحجب نساءك. فلم يكن رسول الله يفعل. فخرجت سوده بنت زمعة زوج النبى ليلة من الليالى عشاء ـ وكانت امرأة طويلة ـ فنادها عمر ألا قد عرفناك ياسودة حرصاً على أن ينزل الحجاب. قالت عائشة: فأنزل الله الحجاب..

وفى رواية يقول عمر لسودة: والله ما تخفين علينا فأنظرى كيف تخرجين.

فرجعت سودة أخبرت الرسول بقول عمر..

وقال القسطلاني: فيه - أي الحديث السابق - منقبة عظيمة ظاهرة لعمر. وفيه تنبيه أهل الفضل والكبار على مصالحهم ونصيحتهم وتكرار ذلك..[٣٨]

وقال ابن حجر : والحاصل أن عمر وقع في قلبه نفرة من إطلاع الأجانب على الحريم النبوي حتى صرح بقوله له صلى الله عليه وسلم: أحجب نساء. وأكد ذلك إلى أن نزلت آية الحجاب..[٣٩]

أن مثل هذه الروايات إنما تضع عمر ندا للرسول ومشاركا له في أمر النبوة والتشريع. إذ كيف لعمر أن يوافق الوحي. ولماذا لا يوافقه الرسول وهو المبعوث لهذا الدور؟

وهل يمكن للرسول أن يغفل أمر الوحي إلى هذا الحد فيذكره به عمر؟..

والمتأمل في التبريرات التي يسوقها فقهاء السنة لمثل هذه المواقف المناقضة لحقيقة النبوة والرسالة يتبين له أن القوم قد زادوا الطين بلة وأضفوا على عمر قداسة نازعت قداسة الرسول بل جعلوا من أمر تدخله في الوحي مشروعا..

ورواية صلاة الرسول على زعيم المنافقين ابن سلول تضعنا أمام التساؤلات التالية:

هل حقا صلى الرسول على ابن سلول..؟

إذا كان الرسول قد فعل ذلك يكون قد خالف نص القرآن الذي نهاه عن الصلاة والقيام على قبر ابن سلول.. فهل يجوز في حق النبي مخالفة القرآن..؟

أن الرواية التي بين أيدينا تؤكد أن الرسول خالف القرآن وصلى على ابن سلول..؟

وقد يعترض معترض قائلا أن نص النهي عن الصلاة نزل بعد صلاة الرسول عليه ولم ينزل قبله وبهذا يكون الرسول غير مخالف للنص..؟

وإنا سلمنا بصحة هذا التصور فيجب طرح السؤال التالي: إذا كان الرسول لم يعلم بأمر النهي فكيف علم به عمر بقوله: أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟

إن الإجابة على هذا السؤال تضعنا بين خيارين:

إما أن يكون عمر يشارك الرسول فى أمر الوحى..

وإما أن يكون عمر هو الرسول..

وكلا الخيارين ينقلان من الملة والأولى رفض الرواية من أساسها.. إلا أن القوم يتمسكون بها ويؤكدون صحتها.. وهنا يكمن مأزق أهل السنة..

ثم أن كيف للعقل أن يقبل تدخل عمر السافر فى شئون البيت النبوى ومطالبته الدائمة للرسول بتحجيب نساءه، ثم يصل به الأمر إلى اعتراض نساء النبى وهن خارجات للخلاء لقضاء حاجتهن ليلا والتعريض بهن..؟

مثل هذا السلوك لا ينم عن وعى أو خلق وهو يمثل أكبر إهانة لشخص الرسول الذى تصوره الرواية وقد أهمل نساءه وترك لهن الحبل على الغارب مغفلا أمرهن حتى ذكره عمر فنزل الوحى موافقا له..

- الرسول يضيف على القرآن:

يتبنى أهل السنة الكثير من الروايات التى تتناقض مع القرآن فى مجال العقيدة والأحكام والأخلاق. وينسبون إلى الرسول (ص) أحكاماً لا توجد فى القرآن ومعنى هذا أن الرسول يضيف أحكاماً فوق أحكان القرآن..

وتنبع هذه الرؤية من اعتقادهم أن الرسول يجتهد ويخطأ وأن هناك دائرة أخرى غير دائرة الوحى يمكن أن تصدر احكاماً وهى دائرة النبوة..

إلا أن القرآن يؤكد لنا أن مهمة الرسول تنحصر فى دائرتين:

الأولى : التبليغ..

الثانية : التبيين..

ويبدو ذلك واضحا من خلال قوله تعالى: ما على الرسول إلا البلاغ..

وقوله : وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون..

وحين يحدد القرآن حكم الزانى بالجلد مائة جلدة يأتى أهل السنة بحكم رجم الزانى المحصن (المتزوج) على أساس رواية منسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم مدعين فوق هذا أن هناك آية مرفوعة من القرآن تقول بالرجم..

وقد ذكر الله أصناف المحرمات من النساء في القرآن وحددهن ثم قال سبحانه: (وأحل لكم ما وراء ذلكم)..[٤٠]

وجاء أهل السنة فتبنوا رواية تقول: لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها..[٤١]

وبنوا على أساسها تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وهو تحريم لم يرد بين أصناف النساء المحرمات في القرآن ولم يأت ذكره في الآية فمن ثم هو يقع في دائرة قوله تعالى (وأحل لكم ما وراء ذلكم).

وفي الوقت الذي يحدد فيه القرآن صراحة حرية الاعتقاد بقوله تعالى:

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر).

وقوله (لست عليهم بمسيطر)

وقوله (لا إكراه في الدين).

وقوله (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين).

وقوله (ومن يرتدد منكم عن دينه ويمت وهو كافر).

يأتي أهل السنة برواية تتحدى هذه النصوص القرآنية الصريحة تقول: من بدل دينه فاقتلوه..[٤٢]

حتى أنهم في رواية أخرى ربطوا الردة بمفارقة الجماعة برواية تقول: لا يحل دم المرء المسلم إلا بإحدى ثلاث.. أحداهن: التارك لدينه المفارق للجماعة..[٤٣]

وحين يقول الله سبحانه في كتابه: (وورث سليمان داود).

وقوله: (رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب).

يأتي أهل السنة بروايات تقول أن الأنبياء لا يورثون. وإن الرسول (ص) ميراثه صدقة من حق فقراء المسلمين..

يروى قوله الرسول (ص): إنا لا نورث وما تركناه صدقة..[٤٤]

وفي رواية أخرى: إنا معاشر الأنبياء لا نورث.

وفوق هذا يأتي أهل السنة برواية يبررون بها موقفهم هذا تقول:

أوتيت القرآن ومثله معه..[٤٥]

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: هل بعث الرسول بقرآنين؟

وإذا كان قد بعث بقرآن واحد. فما معنى مثله معه..؟

وإذا كان أهل السنة يفسرون (مثله) بالسنة فإن هذا يعنى أنها مثل القرآن..؟

لكن السنة غير القرآن..

القرآن كلام الله..

والسنة كلام البشر..

وإذا كان أهل السنة يعتبرون السنة هى المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن فإن هذا يعنى أنها أقل من القرآن. والقرآن هو الأساس وهو المهيمن عليها.

فكيف إذن تعلو السنة على القرآن وتضيف أحكاما جديدة فوق أحكامه..

ويبدو أن أهل السنة أرادوا سد باب التفكر وإعمال العقل فى هذا الأمر فجاءوا برواية تحسم القضية وتدرء الشبهات تقول: لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر بما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدرى ما وجدناه فى الكتاب اتبعناه..[٤٦]

وأمام هذه الرواية يطرح السؤال التالى: هل من حق الرسول أن يأمر وينهى وينسب الأمر والنهى لنفسه كما تقول الرواية..؟

وتأكيداً لما طرحنا حول عقيدة أهل السنة فى الرسول (ص) نورد عدداً من الروايات المتداولة عندهم والتى تدعم رؤيتهم بالإضافة إلى ما ذكرنا..

تروى عائشة قالت: سمع النبى (ص) رجلاً يقرأ فى المسجد. فقال: رحمة الله أذكرنى كذا وكذا اية أسقطتهافى سورة كذا وكذا..[٤٧]

وفى رواية أنسيتها بدلاً من أسقطتها..

وتروى عائشة قالت: لددناه - أى النبى - فى مرضه فجعل يشير أن لا تلدونى. فقلنا كراهية المريض للدواء. فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدونى؟ قلنا كراهية المريض للدواء. فقال: لا يبقى فى البيت أحد إلا لدَّ. وأنا انظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم..[٤٨]

ويروى: اللهم إنما محمد بشر. يغضب كما يغضب البشر. وإني قد اتخذت عندك عهداً لم تخلفينه. فأيما عبد آذيته أو سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها كفارة وقربة تقربها إليك..(٤٩)

ويروى : أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياما فخرج إلينا رسول الله (ص) فلما قام في مصلاه ذكر انه جنب فقال مكانكم. ثم رجع فاغتسل ثم رجع إلينا ورأسه يقطر فكبر فصلينا معه..(٥٠)

ويروى أن رسول الله (ص) لقى زيد بن عمر وبن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على رسول الله الوحي. فقدم رسول الله سفره فيها لحم فأبى - عمرو - أن يأكل منها. ثم قال: إن لا آكل مما تذبحون على انصابكم ولا اكل إلا مما ذكر اسم الله عليه..(٥١)

ولم ينحصر أمر تداول هذه الروايات عند أهل السنة في محيط شخص الرسول بل تجاوزه إلى المساس بالأنبياء..

يروى : قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله..(٥٢)

ويروى عن موسى أن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يوما وحده. فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل. فلما فرغ اقبل إلى ثيابه ليأخذها وأن الحجر عدا بثوبه. فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر. ثوبي حجر. حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن مما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ بثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله أن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا..(٥٣)

ويروى أن موسى لما أرسل له ملك الموت صكه - أى ضربه - فرجع إلى ربه. فقال ارسلتني إلى عبد لا يريد الموت. فرد الله عينه وكان قد اطاح بها موسى. وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ماغطت يده بكل شعرة سنة. قال أى رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت.

قال : فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر..(٥٤)

ويروى أن سليمان بن داود قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله. فقال له الملك: قل إن شاء الله. فلم يقل إن شاء الله. فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. والذى نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون..(٥٥)

ويروى: لم يكذب إبراهيم النبى قط إلا ثلاث كذبات. ثنتين فى ذات الله.

قوله إنى سقيم. وقوله بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة فى شأن سارة.

فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس. فقال لها: إن هذا الجبار أن يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك. فإن سألك فأخبريه أنك أختى فإنك أختى فى الإسلام. فإنى لا أعلم فى الأرض مسلما غيرك وغيرى.

فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه، فقال: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغى لها أن تكون إلا لك فأرسل إليها فأتى بها. فقام إبراهيم إلى الصلاة. فلما دخلت لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت قبضة شديدة. فقال لها: ادعى الله أن يطلق يدى ولا أضرك..(٥٦)

الهوامش

(١) الفصل فى الملل والنحل حـ٤ / ٢ ..

(٢) الفتاوى حـ ٢ / ٢٨٢ وما بعدها..

(٣) المرجع السابق وأنظر الفصل ومقالات الإسلاميين للأشعرى..

(٤) المراجع السابقة..

(٥) المراجع السابقة..

(٦) المراجع السابقة..

(٧) أنظر البخارى..

(٨) المرجع السابق..

(٩) المرجع السابق..

(١٠) المرجع السابق وأنظر مسلم..

(١١) أنظر تجريد الاعتقاد للمقريزى ط القاهرة.. وزار المعاد لابن القيم..

(١٢) أنظر المرجعين السابقين

(١٣) أنظر البخارى وأنظر لنا كتاب الخدعة فصل الرسول والنساء..

(١٤) أنظر البخارى..

(١٥) أنظر البخارى ومسلم كتاب الحيض..

(١٦) المرجعين السابقين..

(١٧) المرجعين السابقين..

(١٨) البخارى باب فضائل عائشة.. وأنظر كتب السنن وطبقات ابن سعد..

(١٩) البخارى..

(٢٠) البخارى..

(٢١) أنظر مسلم..

(٢٢) البداية والنهاية حـ ٧ / ١٤٤ ..

(٢٣) أنظر البخارى ومسلم باب فضل عائشة..

(٢٤) أنظر شرح النووى على مسلم كتاب الطهارة..

(٢٥) المرجع السابق..

(٢٧) أنظر فتح البارى والنووى..

(٢٨) أنظر شرح النووى..

(٢٩) مسلم كتاب

(٣٠) أنظر مناقشة هذه القضية فى كتابنا الخدعة.. وأنظر لنا كتاب السيف والسياسة فى الإسلام..

(٣١) هناك الكثير من الروايات التى تدور حول طفولة عائشة ولهوها وهى في حجر الرسول(ص) حتى أن يوم زواجها بالسول كانت تلهو على أرجوحة.. أنظر البخارى ومسلم باب فضل عائشة..

(٣٢) أنظر البخارى ومسلم.. باب مناقب الصحابة.. وأنظر كتب السنن..

(٣٣) أنظر المراجع السابقة..

(٣٤) أنظر فتح البارى جـ٧ .. وانظر النووى..

(٣٥) انظر فتح البارى..

(٣٦) أنظر مسلم والبخارى..

(٣٧) أنظر فتح البارى جـ ٧ ..

(٣٨) أنظر شرح القسطلانى هامش مسلم طبعة استانبول .كتاب فضائل الصحابة.

(٣٩) فتح البارى جـ ٧ ..

(٤٠) أنظر تفسير سورة النساء كتب التفسير . وأنظر فتح البارى كتاب النكاح..

(٤١) انظر البخارى كتاب النكاح ..

(٤٢) انظر البخارى ومسلم ..

(٤٣)انظر البخارى وكتب السنن ..

(٤٤) انظر البخارى وأنظر البداية والنهاية لابن كثير فترة وفاة الرسول ومابعدها وأنظر لنا السيف والسياسة ..

(٤٥) أنظر كتب السنن ..

(٤٦) أنظر مسند أحمد وكتب السنن ..

(٤٧) البخارى كتاب الدعوات ومسلم - كتاب فضائل القرآن.

(٤٨) البخارى كتاب الدبات. ومسلم كتاب السلام.

(٤٩) البخارى كتاب الدعوات ومسلم كتاب السير والصلة.

(٥٠) البخارى كتاب الغسل ومسلم كتاب الصلوة.

(٥١) البخارى باب ما ذبح على النصب.

(٥٢) البخارى كتاب فضل الجهاد والسير ومسلم كتاب قتل الحيات.

(٥٣) البخارى كتاب الغسل. ومسلم باب فضائل موسى.

(٥٤) البخارى كتاب الجنائز. ومسلم باب فضائل موسى..

(٥٥) البخارى كتاب الجهاد. ومسلم كتاب الإيمان..

(٥٦) البخارى كتاب بدء الخلق. ومسلك كتاب الفضائل..

● عقيدتهم فى الحكام :

تنص عقدة أهل السنة على اسمع الطاعة للحكام موالاتهم ولو كانوا فجاراً فاسقين ظالمين مغتصبين للحكم غير جديرين به...

تقول العقيدة الطحاوية : ولا نرى الخروج على ائمتنا وولاة امورنا وإن جاروا ولاندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية. وندعوا لهم بالاصلاح والمعافاة ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة..

ويقول الأشعرى : واجمعوا - أى أهل السنة - على السمع والطاعة لأئمة المسلمين وعلى ان كل من ولى شيئاً من امورهم عن رضى أو غلبة من بر وفاجر لا يلزمهم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل أن يغزوا معهم العدو ويحجج معهم وتدفع إليهم الصدقات اذا طلبوها .

ويصلى خلفهم الجمعة والاعياد ..

ويقول ابن تميية : ثم هم - أى أهل السنة - يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة . ويرون إقامة الحجج والجهاد والجمع والاعياد مع الأمراء . أبراراً كانوا أو فجاراً ويحافظون على الجماعات ويدينون بالنصيحة للأمة..(١)

ويقول ابن قدامة المقدسي: ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم مالم يأمرو ا بمعصية الله فلا طاعة لأحد فى معصية الله. ومن ولى الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين..(٢)

ويقول النسفى : والمسلمون لابد لهم من إمام ولا يشترط فى الامام أن يكون أفضل أهل زمانه ولا ينعزل الامام بالفسق والجور..(٣)

ويقول أبو يعلى: ولا نرى الخروج على ائمتنا وولاة أمورنا وأن جاروا . ولاندعو لهم ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة.. وأما لزوم طاعتهم وان جاروا فلأنه

يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم . بل فى الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا..[٤]

وينقل الباقلانى عن جمهور أهل السنة قولهم : لا ينخلع الامام بفسقه وظلمه بغصب الاموال وضرب الابشار وتناول النفوس المحرمة وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود . ولا ينخلع بهذه الأمور ولا يجب الخروج عليه بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته فى شئ مما يدعو إليه من معاص الله . واحتجوا لذلك بأخبار كثرة متظافرة عن النبى والصحابة فى وجوب طاعة الأئمة وان جاروا أو استأثروا بالأموال..[٥]

ويقول التفتازانى: وإذا مات الامام وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير استخلاف . وقهر الناس بشوكته. انعقدت الخلافة له وكذا إذا كان فاسقاً أو جاراً على الأظهر إلا أن يعصى بما فعل. ويجب طاعة الامام مالم يخالف حكم الشرع سواء كان عادلاً أو جائراً ولا ينعزل الإمام بالفسق..[٦]

ويقول ابن حنبل: ويدفع الصدقات والاعشار والخراج والفئ والغنائم الى الامراء عدلوا فيها أو جاروا. والانقياد لمن ولاه الله عز وجل امركم لا تنزع يداً من طاعته. ولا تخرج عليه بسيفك ويجعل الله فرجاً ومخرجاً. ولا تخرج على السلطان بل تسمع وتطيع . فإن أمرك السلطان بأمر - هو لله عز وجل معصية - فليس لك ان تطيعه - وليس لك ان تخرج عليه. ولا تمنعه حقه. ولا تعن على فتنة بيد ولا لسان. بل كفف يدك ولسانك. وهواك. والله عز وجل المعين..[٧]

وقال البربهارى فى كتابه شرح السنة: لايحل لأحد أن يبيت ولايرى أنه ليس عليه امام براً كان أو فاجراً.. ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجى قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميتته جاهلية.. وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة.. أمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ولم نؤمر أن ندعو عليهم..

ويقول النووى: وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم..

وقد أفاض النووى فى شرحه لمسلم بالكثير من القول والنقولات حول طاعة الحكام وعدم الخروج عليهم (حـ٢)..

ويؤمن أهل السنة بنصح الحكام سراً لاعلناً خوفاً على مشاعرهم ولأجل ذلك لم نعرف في تاريخهم مواقف معلنة ضد الحكام..

وهم يتحصنون فى هذا الموقف بقول منسوب للرسول نصه: من أراد أن ينصح لذى السلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه..) رواه ابن أبي عاصم حـ ٢ / ٥٢١ ..

ولقد ارتكز أهل السنة فى عقيدتهم هذه تجاه الحكام الى عدد من الروايات المنسوبة الى لرسول (ص) وإلى مواقف بعض الصحابة..

ومن هذه الروايات رواية تقول : من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن عصى الأمير فقد عصانى..[٨]

وأخرى تقول : على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة..[٩]

وأخرى تقول : لا ما أقاموا فيكم الصلاة - أى الحكام - إلا من ولى عليه وال فراه يأتى شيئاً معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزع يداً من طاعة..[١٠]

وأخرى: من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات. فميتته جاهلية..[١١]

وفى رواية أخرى : فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه..[١٢]

ويروى مسلم: من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. ومن خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له..[١٣]

ويروى مسلم : أنه ستكون هنات وهنات. فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان..[١٤]

ويروى البخارى ومسلم: تسمع وتطيع للأمير وأن ضرب ظهرك واخذ مالك فاسمع وأطع..[١٥]

ويروى البخارى ومسلم: وستكون خلفاء فتكثر . قالوا: فما تأمرنا. قال : فوبيعة الأول فالأول وأعطوهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم..[١٦]

أن هذه الروايات وهذه العقيدة هي التي خلفت فقهاء السلاطين وخلقت الحكام الطغاة الظالمين في تاريخ المسلمين وتسببت في تعويق مسيرة الإسلام وفرض التخلف والجهل على الأمة ولولا هذه الروايات وهذه العقيدة ما هيمنت القبلية والاموية والعباسية على واقع المسلمين. فإن جميع الحكومات التي قامت من بعد الرسول (ص) اعتمدت هذه الروايات في دعم سلطانها ونفوذها واضفاء المشروعية عليها..

والمتأمل في عقيدة أهل السنة يتبين له أن هذه الروايات تعد السبب المباشر في ربط الحكام بهذه العقيدة وارتباط أهل السنة بالحكام. تلك الرابطة المصيرية التي كتبت لها الدوام الى قيام الساعة..

فلا أهل السنة سوف يستغنون عن الحكام..

ولا الحكام يستغنون عن أهل السنة..

فكلاهما يرتكز على الآخر..

ولم يحدث في تاريخ أهل السنة أن أصطدم أحد منهم بالحكام دفعاً للظلم عن الناس وأقصى ما اتخذوه من مواقف تجاههم لا يخرج عن دائرة النصح المزخرف المشوب بالرهبة. وإن الذين اصطدموا بالحكام قادوا الثورات في مواجهتهم كانوا من الشيعة والخوارج وغيرهم ممن لا ينتمون لأهل السنة..

وأهل السنة بهذا الموقف إنما يؤكدون أن عقيدتهم عقيدة حكومية. وإن أكبر رموزهم من الصحابة وهو ابن عمر هادن الحجاج السفاح وكان يصلى وراءه وطالب أهل المدينة بالاستسلام لجيش يزيد حين ثاروا عليه وخلعوا واليه عليهم بعد وقعة كربلاء..

يروى البخارى: أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد ابن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال : إني سمعت رسول الله (ص) يقول : ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة.. وإناقد بايعنا هذا الرجل - يقصد يزيد - على بيع الله ورسوله. وإني لا أعلم

عذراً اعظم من ان نبايع رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال . وإنـي لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع فى هذا الأمر إلا كنت الفيصل بينى وبينه..[١٧]

وتروى كتب التاريخ أن جيش يزيد اقتحم المدينة واستباحها ثلاثة أيام حتى حملت الف إمرأة سفاحاً

ان تاريخ هؤلاء الحكام الذين باركهم أهل السنة وجرائمهم ومنكراتهم توجب منا منابذتهم شرعاً وعقلاً. إلا أن هذه الجرائم والمنكرات كان يتغاضى عنها أهل السنة فى مقابلة مباركة الحاكم لعقيدتهم ودعمها والتنكيل بالتيارات الأخرى المناهضة لهم..

وحين جاء المتوكل العباسى الى الحكم وأعلن إبطال دعوة خلق القرآن التى كان ينادى بها المعتزلة بمساندة من المأمون عام ٢٣٤ هـ وناصر الحنابلة أعداء المعتزلة والمحدثين من أهل السنة وفتح أمامهم الأبواب لنشر دعوتهم واكرمهم وأجزل لهم العطاء فأخذوا يدعون له على المنابر ويكثرون من مدحه والثناء عليه على الرغم من سوء فعاله وطغيانه وظلمه بل أنهم تجاوزا هذا الحد وأعلنوا الحرب على المعتزلة وخصومهم والتنكيل بهم..

وحين ينادى أهل السنة بطاعة الحاكم الذى يجلد ظهور الناس ويسلبهم أموالهم هم بهذا يفقدون الاسلام أهم خصائصه ومقوماته المتمثلة فى العدل وحفظ النفس والمال...

والحاكم الذى يجلد الناس ويسلب أموالهم إنما هو قاطع طريق وليس من المعقول أن يبشر الرسول (ص) بمثل هؤلاء الطغاة ويدعو الناس الى طاعتهم والاستسلام لهم وهو الذى بعث بالحق لنصرة المستضعفين وكسر شوكة المستكبرين..

إلا أن أهل السنة لا تعنيهم الرعية إنما يعنيهم الحكام فهم الذين يأمنون دعوتهم ويدعمون عقيدتهم ويستأصلون خصومهم ثم فى النهاية يكرهون الناس على اعتناقها كما حدث ايام الملك السلجوقى (طغرلبك) والسلطان (الب ارسلان) وصلاح الدين والملك (الاشراف) الايوبى ومن بعدهم حكام المماليك والعثمانيين حتى يومنا هذا..

وأهل السنة حين يربطون الطاعة بالمعصية بقولهم لا طاعة في معصية إنما يربطون الممكن بالمستحيل. فالحاكم لا يأمر بالمعصية ولا يتبين يوماً ما يوجب كفره فهذا أمر لم يحدث ولن يحدث على يد أي حاكم إلا أن يكون مجنوناً . وهم بهذا ينفون فكرة الخروج على الحاكم نفياً قاطعاً ويحولون بينها وبين المسلمين بشتى السبل والوسائل المتمثلة في الفتاوى والروايات.. وعلى الرغم من أن حكام بني امية والعباسيين وغيرهم ارتكبوا من المعاصي وصور الفساد والفسق ما يوجب الخروج عليهم ونبذهم إلا أن أهل السنة اعتبروا أن الحكم لا يعزل بالفسق ويكفيه انه يقيم الصلاة. ومثل هذه الموبقات والانحرافات التي ارتكبها الحكام في زمانهم لا تعد أمر بالمعصية. ونحن نعيش موقفاً حياً لأهل السنة اليوم يتمثل في ارتباطهم بآل سعود وتحالفهم معهم وقد سئل ابن حنبل : الامام الفاجر القوى افضل أم الامام التقي الضعيف..؟

فأجاب : الفاجر القوى .. لأن فجوره على نفسه وليس على الرعية. أما الآخر فتقواه لنفسه وضعفه على الرعية..[18]

ومن أبرز مواقف أهل السنة الموالية للحكام موقفهم من يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف : فكلاهما بورك من قبل فقهاء القوم وحتى من الصحابة..

لقد خطأ فقهاء القوم الحسين لخروجه على يزيد ورفضه مبايعته ومرو على ماسأة كربلاء مرور الكرام وكأنها حادثة لا تعنيهم بل عملوا على تبرئة يزيد منها..

يقول ابن تيمية مهاجماً الحسين لخروجه على يزيد : أنه لم يكن في الخروج مصلحة لا في دين تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شئ بل زاد الشر بخروجه وقتله ونقض الخير بذلك وصار سبباً لشر عظيم. وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن..[19]

ثم دافع ابن تيمية عن يزيد وبدد الشبهات المثارة عليه وشكك في الروايات التي تطعن فيه وتقلل من شأنه..[20]

وقام بالدفاع عن يزيد الكثير من فقهاء السنة حتى أن ابن حنبل روى عنه في كتابه المسمى (الزهد)..[21]

وقال السيوطي: روى عن ابيه - معاوية - وعنه ابنه خالد وعبد الملك بن مروان.[22]

هوامش

(١) العقيدة الواسطية (٢) لمعة الإعتقاد (٣) العقيدة النسفية

(٤) أنظر الأحكام السلطانية ..

(٥) التمهيد للباقلانى (٦) العقائد النسفية..

(٧) كتاب السنة.. وأنظر طبقات الحنابلة. وترجمة احمد بن حنبل فى تاريخ الإسلام للذهبى..

(٨) مسلم. كتاب الامارة والبخارى كتاب الأحكام.

(٩) مسلم والبخارى وكتب السنن..

(١٠) مسلم والبخارى.. (١١) مسلم والبخارى..

(١٢) مسلم. وأنظر مسند أحمد وكتب السنن..

(١٣) مسلم كتاب الامارة. (١٤) مسلم كتاب الامارة..

(١٥) البخارى ومسلم..

(١٦) البخارى ومسلم.. (١٧) البخارى كتاب الفتن..

(١٨) انظر احداث عام ٢٣٤ هـ فى كتب التاريخ. وأنظر طبقات الحنابلة..

(١٩) أنظر مسند أحمد وترجمته فى تاريخ الإسلام للذهبى..

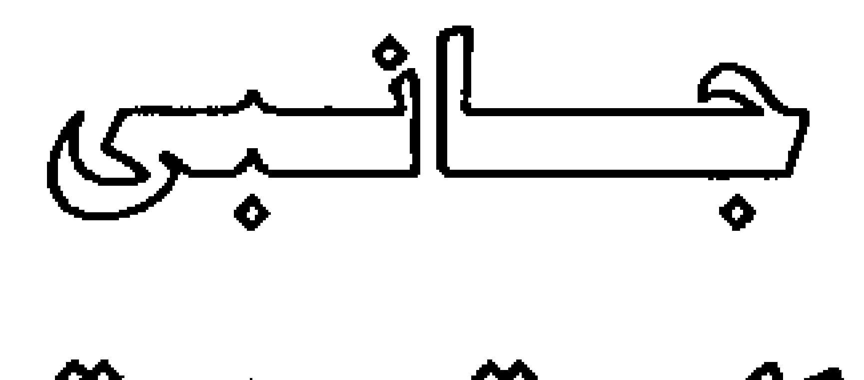
(٢٠) أنظر منهاج السنة. وأنظر العواصم من القواصم..

(٢١) أنظر فتاوى ابن تيمية. وأنظر المرجعين السابقين..

(٢٢) أنظر العواصم من القواصم. والبداية والنهاية لابن كثير.. وانظر تاريخ ابن خلدون..

(٢٣) تاريخ الخلفاء..





الجانب السياسى

الجانب المذهبى

هناك الكثير من القضاه التى تم حشو كتب العقائد بها لأغراض سياسية ومذهبية حتى تلزم الأمة بالسير فى خط أهل السنة وخط الحكام..

وسوف نعرض لهذه القضايا هنا من جانبين:

الأول : الجانب السياسى..

الثانى: الجانب المذهبى..

أولاً الجانب السياسى:

تأتى قضية الخلفاء لتكون فى مقدمة القضايا السياسية التى أدخلت فى صلب العقيدة بهدف تبرير الوضع القائم واضفاء المشروعية على الحكام..

تقول الطحاوية: ونثبت الخلافة بعد رسول الله (ص) أولاً لابى بكر ثم لعمر ثم لعلى..

وتقول الواسطية : ويقرون - أى ابى بكر - أحق خلق الله بالخلافة بعد النبى - ثم من بعده عمر. ثم عثمان ثم على..

ويقول ابن حنبل : وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وخيرهم بعد أبى بكر عمر وخيرهم بعد عمر عثمان وخيرهم بعد عثمان على .. فمن زعم أن علياً افضل من ابى بكر فقد رفض الكتاب والسنة..

وتقول النسفية: وأفضل البشر بعد نبينا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على وخلافتهم ثابتة وعلى هذا الترتيب..

ثم تأتى بعد الخلفاء قضية الصحابة والحكم بعدالتهم والنهى عن الخوض فى خلافاتهم . تليها قضية السلف والزام الأمة باتباع نهجهم ثم قضية الحكام..

- الخلفاء :

ولنبدأ بقضية الخلفاء متسائلين: ما هى شرعية هذا الترتيب الرباعى...؟

والاجابة ببساطة انه لا يوجد نص قرآني: أو رواية تؤكد هذا الترتيب . والدليل على ذلك هو ما حدث بعد وفاة الرسول (ص) فاختيار أبي بكر لم يكن مرتباً ولا منصوصاً عليه ويشهد بذلك الخلاف الذي وقع بسبب اختياره..

وجاء عمر فاخذها بوصية أبي بكر وكانت هذه أول وصية لولاية العهد في الإسلام. ومادام ابو بكر لم يستخلف بنص فكذلك عمر..

وحجتنا في هذا رواية عمر الشهيرة: أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله الأمة شرها. ومن عاد الى مثلها فاقتلوه..(1)

وعندما قتل عمر أوصى بالخلافة من بعده في دائرة ستة أشخاص حددهم بنفسه أتفقوا في النهاية على عثمان. وهم طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وعلي وعثمان..

وعندما قتل عثمان حمل أهل المدينة عليا الى الحكم حملا وقبله على كراهة..

أن وقائع التاريخ. تشهد أن هذا الترتيب جاء مصادفة ولم يكن مرتباً له بل جاء بعد خلافات وصدامات بين الصحابة.. كما تشهد بذلك الروايات المتدولة لدى أهل السنة..

ومن هنا يتبين لنا أن هذا الترتيب الذي جاء به أهل السنة هو من عند انفسهم وليس هو إلا محاولة لإضفاء الشرعية على الوضع القائم..

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هو الهدف من وراء هذا الترتيب..؟

أن هذا الترتيب ما هو إلا مقدمة لنتيجة هامة وهي سيادة الخط القبلي الذي اثمر في النهاية الخط الأموي ثم الخط العباسي الذي تولدت منها صورة الإسلام الحكومي الذي ساد واقع المسلمين منذ ذلك الحين وحتى اليوم..

لقد عاش الرسول (ص) وهو يحافظ على صورة الإسلام الرباني حتى ترثه الأمة نقياً صافياً كما أنزل . إلا أن أهل الاهواء والمصالح من المنافقين والمندسين عملوا على الانحراف بهذا الدين وتغيير مساره بمجرد وفاة الرسول..

وما كان معاوية ليستطيع أن يسود دون شرعية يستمدها من الخلفاء.

فهؤلاء الخلفاء الثلاثة هم الذين صنعوا معاوية وإضفوا عليه الشرعية.

فمعاوية ونهجه لم ينبت من فراغ وإنما هو وليد مرحلة ونهج . فقد مهد ابو بكر لعمر ومهد عمر لعثمان ومهد عثمان لمعاوية..[٢]

وجاء العباسيون من بعد ليقننوا الإسلام ويضفوا المشروعية على هذا الترتيب الذى ارتبط مصيرهم به ومصير الحكام من بعدهم..

ففى عهد العباسيين ظهرت كتب الروايات..[٣]

ففى عهد العباسيين ظهرت المذاهب الأربعة..

ففى عهد العباسيين ظهرت عقيدة أهل السنة..

أن هدم شرعية الخلفاء الثلاثة يعنى هدم شرعية الامويين والعباسيين وسائر الحكام وبالتالى هدم نموذج الإسلام الحكومى الذى ساد من خلالهم.

ونحن نقول الخلفاء الثلاثة دون الرابع لأن نموذج الامام على مخالف لنموذج الثلاثة ولا يعبر عنهم فى شئ فمن ثم هو ضد الحكام ولأجل هذا حاربه معاوية وعمل على استئصاله بشتى الوسائل والسبل..

ولدى أهل السنة رواية يستدلون بها على شرعية هذا الترتيب وإتباع الخلفاء ..

تقول الرواية : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ومن بعدى عضوا عليها بالنواجز . وأياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ظلالة..[٤]

وامام هذه الرواية هناك عدة ملاحظات:

الملاحظة الأولى : أن هذه الرواية تناقض القرآن والمهمة التى جاء الرسول لتنفيذها . فمهمة الرسول هى تبليغ القرآن للناس لا تبليغ سنته.

مهمة الرسول هى حصن الناس على القرآن لا على سنته.

لا يجوز للرسول أن يقول عليكم بسنتى لأن قوله هذا يعنى جعلها ندا للقرآن

الملاحظة الثانية: أن هذه الرواية ليست فى البخارى ومسلم الذى أجمع أهل السنة على صحتها. وكان الأجدر برواية مثل هذه يرتبط بها مستقبل الدين والأمة أن تكون لدى البخارى ومسلم وإلا تغيب عنهما..

الملاحظة الثالثة: أن الرواية لم تحدد من هم الخلفاء الراشدون..

الملاحظة الرابعة: أن هذه الرواية تشير وكأن السنة كانت مدونة ومعروفة فى عهد الرسول وهذا غير صحيح: إذ أن القرآن ذاته كان غير مدون ومعروف للجميع ـ كما نصت على ذلك رواياتهم ـ فكيف تكون السنة معروفة ومتداولة ويوصى بها الرسول.. ؟(٥)

الملاحظة الخامسة: أن الرسول تنبأ بالأئمة الاثنى عشر الذين يعز بهم الإسلام من بعده . وأهل السنة حددوا أن الخلفاء الأربعة منهم ثم احتاروا فى الباقى..

وهذه اشارة الى أن الرسول ـ على أضعف الإيمان ـ قصد اثنى عشر ولم يقصد أربعة..

الملاحظة السادسة: أن الرسول لا يأمر بسنة غير سنته. فإذا اعتبرنا أن سنته غير القرآن فكيف يأمر باتباع سنتين..؟

الملاحظة السابعة: على فرض التسليم بسنة الخلفاء. فأى سنة نتبع. وسنة كل خليفة تختلف عن الآخر..؟

الملاحظة الثامنة: على فرض التسليم بأن سنة الخلفاء واحدة وغير متناقضة فاننا نطرح أمام أهل السنة سؤالاً وهو : أين سنة على وهو الخليفة ارابع؟

إن المتأمل فى طرح أهل السنة يتبين له عدم وجود أثر لسنة الامام على وطرحه وهذا ناتج بالطبع من الموقف العدائى الذى يتبناه معاوية من الامام حتى بعد مقتله إذا استمر يسبه على المنابر ويعمل على محو علمه واطروحته وبقى هذا الموقف حتى عصر عمر بن عبد العزيز. ثم استمر بعد وفاة عمر..

وجاء العباسيون من بعد الامويين فواصلوا الحرب على الامام ونهجه وما بعثهم للروايات والمذاهب وعقيدة أهل السنة إلا لهذا الغرض..

وسوف نورد بعض الرويات التى يتداولها أهل السنة والتى تؤكد هذا الموقف ..

يروى أن رسول الله (ص) صعد أحد وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم. فقال اثبت أحد فإن عليك صديق وشهيدين..(٦)

ويروى أن رسول الله سئل : أى الناس أحب إليك؟ قال عائشة .. فقلت ـ أى السائل وهو عمر بن العاص ـ من الرجال؟ قال : أبوها. قلت ثم من ؟ قال : عمر.

فعد رجالاً..[٧]

ويروى : بينم راع فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة. فطلبه الراعى فالتفت إليه الذئب فقال : من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى؟

وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت اليه فكلمته فقالت : إنى لم أخلق لهذا([٨]) ولكني خلقت للحرث. فقال الناس : سبحان الله . قال النبى : فإني أؤمن بذلك وابو بكر وعمر..

ويروى : خير هذه الأمة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث..[٩]

ويروى : كنا لا نعدل فى زمن النبى بأبى بكر أحد ثم عمر ثم عثمان ثم نترك اصحاب رسول الله..[١٠]

ويروى أن ابا موسى الاشعرى قال: لأكونن اليوم بواب الرسول (ص)..

فجاء أبو بكر فدفع الباب . فقلت من هذا ؟ فقال ابو بكر . فقلت : على رسلك. ثم ذهبت فقلت يا رسول الله هذا ابو بكر يستأذن.. فقال: ائذن له وبشره بالجنة.. فأقبلت حتى قلت لابى بكر ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة.. ثم رجعت الى رسول الله فسلمت عليه فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذن. فقال ائذن له وبشره بالجنة. فجئت فقلت ادخل ورسول الله بشرك بالجنة.. ثم رجعت فجلست فقلت ان يرو الله بفلان خيراً يأت به. فجاء انسان يحرك الباب. فقلت من هذا؟ فقال : عثمان بن عفان. فقلت على رسلك . فجئت رسول الله فأخبرته. فقال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه..[١١]

ويروى: كان رسول الله مضجعاً فى بيت عائشة كاشفاً عن فخذه أو ساقيه فاستأذن ابو بكر فاذن له وهو على تلك الحال. ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك . فتحدث. ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوى ثيابه فسألته عائشة عن ذلك. فقال:

ألا استحى من رجل تستحى منه الملائكة..[١٢]

ثم نختتم هذه الروايات برواية عائشة التى تقول فى جواب لسؤال وجه إليها عن عمن يستخلف النبى (ص) لو استخلف. قالت: ابو بكر. فقيل لها ثم من بعد ابى

بكر قالت : عمر. ثم قيل لها من بعد عمر. قالت: ابو عبيدة بن الجراح..[١٣]

ويبدو من الواضح من خلال هذه الروايات أنه لاذكر لعلى فيها وهذه إشارة إلى أن القوم يجحدون الثلاثة ويهملون الرابع..

وجاءت رواية عائشة الاخيرة لتهدم فكرة الخلفاء الاربعة من أساسها وتضع ابى عبيدة مكان عثمان..

إن أعمال العقل في هذه الروايات يكشف لنا أن مسألة الترتيب هذه مسألة مختلقة وذلك للاسباب التالية:

- أن لغة الروايات لغة استجداء وأنتزاع فضيلة على لسان الرسول..
- أن الروايات ركزت على الثلاثة ولم تذكر الامام على ..
- أن عائشة نقضت فكرة الترتيب الرباعي..

أن سلوك الصحابة ومواقفهم بعد الرسول يؤكد عدم وجود مثل هذه الروايات وهذا الترتيب ..

والمستقرئ لأحداث فترة الصحابة يتبين له أن الصحابة الذين ساروا على نهج الثلاثة تحالفوا مع بنى أمية..[١٤]

والصحابة الذين تحالفوا مع الامام على رفضوا نهج بنى أمية..[١٥]

هوامش

(١) انظرالاصابة فى تمييز الصحابة والاستيعاب وتاريخ الخلفاء ..

(٢) انظر لنا كتاب السيف والسياسة ..

(٣) البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم ظهروا فى العصر العباسى ويذكر أن مالك كتب موطأة بتوجيه من الخليفة العباسى ابى جعفر المنصور..

(٤) مسند أحمد حـ ٤ / ١٢٦ وابو داود كتاب السنة والترمذى كتاب العلم وابن ماجه المقدمة..

(٥) هناك روايات متداولة عند أهل السنة تنهى عن كتابة السنة فى زمن الرسول والصحابة..

(٦) البخارى فى كتاب فضائل الصحابة..

(٧) المرجع السابق..

(٨) المرجع السابق..

(٩) مسند أحمد. والراوى هنا هو على. والثالث الذى لم يذكر هو عثمان بالطبع..

(١٠) البخارى..

(١١) البخارى ومسلم كتاب فضائل الصحابة..

(١٢) مسلم كتاب فضائل الصحابة..

(١٣) أنظر مسلم.. (١٤) من هؤلاء ابن عمر وأبوهريرة وعمرو بن العاص.

(١٥) من هؤلاء ابوذر الذى اصطدم بمعاوية وعثمان وابن مسعود وبلال والمقداد وعمار بن ياسر الذى قتل مع الامام على فى صفين.. وجابر بن عبدالله..

- قضية الصحابة:

يبدو لنا مما طرحنا من روايات وأقوال أهل السنة أن القوم يعتمدون اعتماداً كبيراً على الرجال وليس على النصوص .

ورؤية أهل السنة للصحابة إنما تزكى هذا الادعاء..

أن الإسلام لا يحول الناس إلى ملائكة ولم يكن مجتمع الرسول مجتمعاً ملائكياً. كما لم يكن مجتمع الخلفاء كذلك.. فكيف بأهل السنة يريدون أن يضيفوا صفة العدالة وهى الوجه الآخر للعصمة على جميع الصحابة..؟

كيف لهم أن يساووابين الجميع بهذه الصورة المستفزة للعقل والمناقضة للنص ؟

هل الذين هاجروا وجاهدوا وآووا ونصروا كمن آمن بعد الفتح بعد أن كسرت شوكة الشرك وهل الصحابة الذين واكبوا دعوة الرسول من بدايتها كمن رأى الرسول أو سلم عليه أو ولد فى حياته..؟

وإذا سلمنا بعدالة الصنف الأول فكيف نسلم بعدالة الصنف الثانى..؟

ثم كيف لنا أن نعرف المنافقين والمندسين فى صفوف المسلمين من بين هؤلاء إذا ما أضفينا عليهم جميعاً صفة العدالة..؟

أن تعريف الصحابى الذى ذكرناه سابقاً والذى هو محل اجماع ذوى أهل السنة إنما هو تعريف سياسى بحت ولا صلة له بالدين.. ولو قام أهل السنة بتصنيف الصحابة وأعطاء كل ذى حق حقه وأضفاء صفة العدالة على مستحقيها لأمكن طرح الكثير من الرجال الذين ادخلوا فى دائرة الصحابة وألبسوا علينا ديننا..

إلا أن تطبيق مثل هذه الخطوة يعنى هدم عقيدة أهل السنة وسقوط أطروحتهم إذ سوف يؤدى هذا التطبيق الى حرمانهم من الرجال الذين يعتمدون على رواياتهم فى دعم عقيدتهم واضفاء المشروعية عليها أو بصورة أخرى يعنى حرمان الحكام من المشروعية وتعريتهم أمام الجماهير..

أن أول نتائج هذا التطبيق هى نبذ العائلة الاموية بأكملها وعلى رأسها معاوية والتى دخلت الإسلام تحت السيف بعد الفتح. فهذه العائلة التى نابذت الرسول والإسلام العداء طوال أكثر من عشرين عاماً أضيفت عليها صفة الصحبة ودخلت

في دائرة العدالة حسب تعريف أهل السنة..

نتائج هذا التطبيق يعني سقوط أبو هريرة راوى أكبر كم من الرويات ..

ويعنى سقوط ابن عمر الفقيه الأول عند الصحابة عند أهل السنة..

ويعنى سقوط عمرو بن العاص..

ويعنى سقوط غيرهم ممن أدخلوهم في دائرة الصحبة كي يرووا على لسان الرسول ما يدعم مشروعية الإسلام الحكومي الذى فرض على الأمة بعد وفاة الرسول (ص).

ومثلما أراد أهل السنة إلزام المسلمين بعقيدتهم في الصحابة أرادوا أيضاً إلزامهم بعقيدتهم في السلف. فهم قد أضفوا العدالة على الصحابة وأرادوا أن يضفوها على السلف أيضاً..

والسلف في تعريف أهل السنة هم أهل القرون الثلاثة الأولى . وبعضهم يعتبرهم أهل القرون الخمسة..

ويعتمد أهل السنة فى رؤيتهم هذه على رواية تقول: خير القرون قرنى ثم الذى يليه ثم الذى يليه..[1]

وبالطبع فإن فترة القرون الثلاثة الأولى تضم الامويين والعباسيين . وهذا يعنى أن القرون التى تليهم قرون شر ولا تعبر عن خير أو عن الإسلام.

والهدف من وراء هذا التعريف كما هو واضح هو حصر دائرة التلقى فى حدود هذه القرون. فهذه القرون هى التى نشأ فيها الفقه وجمعت الروايات ودونت عقيدة أهل السنة. أما مرحلة الخلف الذين جاءوا من بعد السلف فهم أهل بدعة وفى محل شك طالما حاولوا الاجتهاد وخالفوا طرح أهل السنة..

وهذا يفسر لنا سر الحرب الشعواء التى شنها أهل السنة ولازالوا يشنونها على الخلف لكونهم تجرأوا وأولوا النصوص القرآنية الخاصة بصفات الله وأخذوها على وجه المجاز تنزيها لله سبحانه وفراراً من شبهة التجسيم..[2]

وأن المتتبع لسيرة أهل السنة مع السلف يتبين له أنهم قد انحازوا لرموز معينة من السلف ـ كما انحازوا الى رموز معينة من الصحابة مثلما أشرنا ـ ونبذوا رموزاً

أخرى كثيرة لها اطروحتها ونهجها المخالف لهم...

وعلى رأس هذه الرموز جعفر الصادق المعاصر للمنصور العباسي والذي علمه الآفاق وهو بينه وبين الرسول (ص) أربعة أعلام فهو ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . فهو قد قاطعته كتب الفقه والحديث والعقيدة ولم تأخذ شيئاً عنه لأنه يمثل نهجاً غير نهجهم أو بمعنى أدق لكونه يتبنى نهج الامام على المعادى للحكام..(٢)

وعلى هذا النهج سار أهل السنة في مواجهة جميع الرموز السلفية التي تمثل الاتجاهات الأخرى أو التي خرجت على الخط السائد ووصموها بالبدعة..

لقد آثر أهل السنة أن يتبعوا ويتلقوا ممن ساروا في ركاب الحكام وسلطت عليهم الأضواء مثل أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم من الفقهاء الذين التزموا بالجماعة واقروا بالطاعة ونابذوا أهل الاهواء والبدع (الاتجاهات الأخرى)..

وأمام هذه النصوص التي سبق ذكرها حول الصحابة والسلف هناك سؤال يفرض نفسه هو:

إذا كان الصحابة والسلف لهم هذه المكانة المقدسة التي يؤكدها أهل السنة. فلماذا هذا الحشد من النصوص والتبريرات للمسلمين من الخوض في أحداث التاريخ المرتبطة بهم وإعمال العقل فيها؟

أن العقل يقول إذا كان القرآن يقف الى جانب هذه الرؤية فليست هناك حاجة الى هذه الروايات والتبريرات والتأويلات والتحذيرات..

وهذا هو مربط الفرس. ان القرآن لا يقف الى جانب هذه الرؤية بل يناقضها وأن القوم تحت ضغط الحكام والسياسة والاتجاهات الأخرى المناهضة لهم اضطروا الى التسلح بهذه الروايات والتأويلات والتبريرات لدعم موقفهم الضعيف ويبدو أن هناك مصلحة سياسية من وراء فرض هذا التصور على الأمة إذ بسيادته تتحقق النتائج التالية:

- أتاحة الفرصة للمنافقين وأصحاب الاهواء والمصالح من الدخول في دائرة الصحبة والحصول على مرتبة العدالة وبالتالي امتلاك صلاحية التحدث بلسان

الرسول والرواية عنه..

- استثمار هذا القطاع الدخيل على الصحابة في دعم الانظمة الحاكمة واضفاء المشروعية عليها..

- استثمار الروايات التى يرويها هذا القطاع فى تشكيل رؤية جديدة للإسلام تكفل لهذه الانظمة الاستمرار والبقاء..

- تكوين جيل جديد من المسلمين على أساس هذه الروايات والتصورات بمعزل عن الصورة الحقيقية للإسلام..

- الاعتماد على هذا الجيل في مواجهة المعارضين للتيار الحكومى وتشويه الإسلام.. ولقد كان أهل السنة هم هذا الجيل الذى وقع فى فخ الحكام وتبنى الاطروحة الحكومية الزائفة على اساس انها الإسلام وانطلق ينسبها للرسول وللسلف ويبارى بها الآخرين مهدداً أو متوعداً من يحاول المساس بها أو الخروج عليها بدعم من الحكام .. ولو أردنا أبراز موقف أهل السنة من قضية الرجال بدقة فإننا نقول أنهم قد اعتمدوا نماذج معينة من الصحابة ومن التابعين كأسوة لهم ومصدر للتلقي وقاموا بتضخيم هذه النماذج على حساب الآخرين من الصحابة والتابعين الذين خرجوا على خط الحكام ثم تلحفوا فى النهاية بالإجماع حتى يوهموا المسلمين أنهم يمثلون الأمة والدين الحقيقي..

ويبدو هذا الأمر بوضوح فى تضخيمهم لابن عمر وابى هريرة على الصحابة ثم عائشة على زوجات النبى وتكثيف الرواية على لسانهم من دون الآخرين.. حتى انه يبدو وكأن الدين عندهم يقوم على هؤلاء الثلاثة..

ان تضخيم ابو هريرة وابنه عمر في مجال الرواية والنقل عن الرسول (ص) إنما يشكل ضربة للخلفاء الثلاثة ويظهرهم بمظهر الجهال الذين لم يتلقوا شيئاً من الرسول وهذا ما تؤكده كتب الأحاديث وفى مقدمتها البخارى أصح هذه الكتب عندهم.

فقد روى البخارى لأبى هريرة (٤٤٦) حديثاً..

وروى لابن عمر عدد (٢٧٠) حديثاً..

وروى لعائشة عدد (٤٤٢) حديثاً..

بينما روى لابى بكر عدد

وروى لعمر عدد

وروى لعثمان عدد

وروى للامام على عدد (٢٩) حديثاً..

وروى لفاطمة بنت الرسول (ص) حديث واحد..[٤]

وإذا كان ابو هريرة اسلم يوم خيبر سنة سبع..

وابن عمر ولد فى السنة الثالثة لبعثة النبى ومات الرسول وهو ابن عشرين وثلاث

وعائشة تزوجها الرسول وهى ابنة ست ومات عنها وهى ابنة ثمانية عشر..

فمن أين أتوا بكل هذا العلم عن الرسول..؟

وكيف تجاوز ابو هريرة وابن عمر كبار الصحابة..؟

وكيف تجاوزت عائشة نساء النبى وابنته فاطمة..؟

أن حقيقة هذا الأمر تتجلى بوضوح إذا ما تبين لنا أن هؤلاء الثلاثة كانوا من انصار الحكام وبنى أمية وكانوا معادين لخط الامام على وقد انحازوا الى جانب معاوية الذى استثمرهم أحسن استثمار لدعم شرعيته وتأسيس الاسلام الحكومى..

ابن عمر كما هو معروف بايع معاوية ولم يبايع عليا ثم بايع يزيد ومن تلاه من حكام ومن موقف ابن عمر اخترع أهل السنة فكرة طاعة الحكام والصلاة والحجج والجهاد معهم والصلاة وراء كل بر وفاجار على وجه العموم..[٥]

وأبو هريرة كان وزير الدعاية لمعاوية وقد روى فى كتب السنن آلاف الاحاديث على لسان الرسول وأصبح من اثرياء القوم بعد أن كان فقيراً يبيت الليالى على لحم بطنه فى زمن الرسول..[٦]

وعائشة مكثت مع الرسول اثنتا عشرة عاما حسب روايات القوم وعاشت بعده خمسون عاما تفتى وتروى على لسان الرسول..[٧]

يروى عن عائشة قالت : نزل - القرآن - بمكة وإنى لجارية ألعب ..[٨]

ومثل هذه الرواية تشير الى أن عائشة كانت فى سن لا تسمح لا باستيعاب القرآن وفهمه فى مكة ومع ذلك حملها أهل السنة كثير من الروايات التى تتحدث عن المرحلة المكية وعن بدء الوحي.

- قضية الحكام:

ما الذى يجعل أهل السنة يهتمون كل هذا الاهتمام بالحكام حتى يجعلوا وجوب طاعتهم وأن ظلموا وفجروا من اصول العقيدة..؟

وما الذى يجعلهم يتبنون هذا الكم الروايات التى تلزم المسلمين بطاعة الحكام حتى ولو كانوا قطاع طرق يسلبون الأموال وينتهكون الإعراض ويريقون الدماء أن مثل هذا الموقف ليس له سوى تفسير واحد هو أن عقيدة أهل السنة عقيدة اخترعتها السياسة لخدمة الحكام واخضاع الجماهير لهم..

وكان الأجدر بأهل السنة إذا ما تبنوا مثل هذه القضية أن يعزلوها عن مجال العقائد وإن يعتبروها مجرد مسألة اجتهادية تعبر عن الفقهاء ولا تعبر عن الإسلام. إلا أنهم بربط هذه القضية بروايات منسوبة للرسول (ص) جعلوا منها قضية دينية وابعدوا عنها شبهة السياسة..

وبالطبع لم يكن أهل السنة ليعلنوا عقيدتهم هذه بمعزل عن الروايات فهى سندهم الاساسى فى مواجهة الاتجاهات الأخرى..

وإذا كانت كتب العقائد لدى أهل السنة قد حرصت بوجوب طاعة الحكام كما أشرنا سابقاً فإن هناك من صرح بوجوب طاعة معاوية على وجه الخصوص بعد الخلفاء..

يقول ابن قدامة المقدس: ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحي الله أحد الخلفاء المسلمين..(٩)

ويذكر أهل السنة الكثير من الروايات المنسوبة للرسول والتى تزكى معاوية وحتى ولده يزيد وترفع من قدرهما إلا أن هذه الروايات محل خلاف عندهم..(١٠)

والبخارى جعل بابا اسماه ذكر معاوية غير أنه لم يورد فيه أية رواية على لسان الرسول فى معاوية سوى رواية عن ابن عباس تشهد له بالفقه..(١١)

وقال اسحاق بن راهوية استاذ البخارى : لم تصح فى معاوية منقبه..[١٢]

ورفض النسائي جامع السنن الاعتراف بمناقب معاوية وكان ذلك سبب مقتله..[١٣]

وقضية خال المؤمنين التى يتزعمها أهل السنة إنما ابتدعوها لمعاوية من أجل رفع مكانته على أساس أنه شقيق أم حبيبة زوج الرسول..

أما قضية كاتب الوحى فليست ثابتة والثابت عند أهل السنة أنه كتب بعض الرسائل للرسول لكنه لم يستمر في هذا الدور وقد غضب عليه الرسول ودعا عليه..[١٤]

يروى مسلم إن ابا سفيان جاء الى رسول الله وطلب منه ثلاثة مطالب:

الأول : أن يجعله يقاتل المشركين كما كان يقاتل المسلمين..

الثانى : أن يتزوج ابنته أم حبيبة..

الثالث: أن يجعل ولده معاوية كاتباً للوحى..[١٥]

ومن الواضح بطلان هذه الرواية لكونها تناقض روايات أخرى عند أهل السنة وتناقض أحداث التاريخ الثابتة..

فمن المعروف أن أم حبيبة من المهاجرات وتزوجت الرسول (ص) قبل فتح مكة وإسلام ابى سفيان..[١٦]

وأهل السنة يعترفون ان معاوية لم يكن كاتبا للوحي ثم ان الرواية لم تحدد لنا اذا ما كان الرسول قد وافق على طلب ابى سفيان أم لا..

ومسألة قتال ابا سفيان للمشركين لم تحدث فى زمن الرسول ولا فى زمن الخلفاء.. ثم ان ابا سفيان يطلب من الرسول منقبة له وهذا لايصح فإن المنقبة لاتطلب والحمد لله ان أهل السنة لم يواصلوا الرواية واوقفوها عند هذا الحد الذى يثير فأين المنقبة التى حصل عليها ابو سفيان اذن حتى يقول مسلم بان مناقب ابو سفيان؟ ويلاحظ ان مسلم الذى روى هذه الرواية الوحيدة فى حق ابى سفيان لم يرو شيئاً فى حق ولده معاوية..

إلا أن الترمذى يروى أن النبى قال لمعاوية: اللهم اجعله هادياً مهدياً واهديه..

الهوامش:

(١) رواه البخارى

(٢) انظر كتب العقائد. وأنظر الحرب بين الحنابلة والأشاعرة والمعتزلة فى عصر المأمون وفى العصر السلجوقى. والحرب بين ابن تيمية وخصومه فى العصر المملوكى.. فى كتب التاريخ..

(٣) أنظر ترجمة جعفر الصادق فى وفيات الاعيان لابن خلكان حـ ١ / ترجمة رقم ١٣١, وكتب التراجم الأخرى. وأنظر جعفر الصادق للشيخ. محمد ابو زهرة وعبدالحليم الجندى..

(٤) أنظر هدى السارى مقدمة شرح البخارى لابن حجر..

(٥) لاتوجد عند أهل السنة رواية تجيز الصلاة وراء كل بر وفاجر. ويذكر ابن خلكان ان الحجاج صلى على ابن عمر حين وفاته. أنظر ترجمته فى وفيات الأعياد حـ ٣ / ترجمة رقم ٣٢١ .

(٦) أنظر ترجمة أبوهريرة فى الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر واسد الغابة لابن الأثير وكتب التراجم.

(٧) أنظر ترجمة عائشة فى طبقات ابن سعد حـ ٨ وكتب التراجم..

(٨) رواه البخارى باب تأليف القرآن.. (٩) لمعة الاعتقاد..

(١٠) أنظر العواصم من القواصم.. وذيل كتاب الصواعق المحرقة. وفتح البارى حـ ٧ كتاب فضائل الصحابة.

(١١) أنظر البخارى كتاب فضائل الصحابة. وقد قال ابن حجر تعليقاً على هذه الرواية ان شهادة الصحابى للصحابى كشهادة رسول الله..

(١٢) أنظر فتح البارى حـ ٧

(١٤) رفض النسائى كتابه كتاب فى معاوية مثل كتاب خصائص الأمام على فأعتدى عليه أهل الشام بالضرب حتى مات أنظر ترجمته فى كتب التراجم ومقدمة الخصائص..

(١٥) طلب الرسول معاوية فقالوا انه يأكل فقال لاأشبع الله له بطناً..

(١٦) أنظر مسلم باب فضل أبو سفيان..

ـ الجانب المذهبي:

أساس كتب العقائد لدى أهل السنة على عدة قضايا فقهية تعكس مذهب أهل السنة يهدف إلى تحصين أتباعهم ضد المذاهب والاتجاهات الأخرى.

يقول ابن حنبل في عقيدته: والمتعة حرام إلى يوم القيامة. ومن طلق ثلاثاً في لفظ واحد فقد جهل وحرمت عليه زوجته ولا تحل له أبداً حتى تنكح زوجاً غيره..

والتكبير على الجنائز أربع والمسح على الخفين للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن وللمقيم يوماً وليلة. أحبوا أهل السنة على ما كان منهم أماتنا الله وإياكم على السنة والجماعة..

يقول النسفي: ويصلى على كل بر وفاجر ونرى المسح على الخفين في الحضر والسفر ولا نحرم نبيذ التمر..

يقول الطحاوي: ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر.. ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة. ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا نارا ولا شهد عليهم بكفر ولابشرك ولابنفاق مالم يظهر منهم شيء من ذلك ونذر سرائرهم إلى الله تعالى..

يقول ابن تيمية: وتؤمن الفرقة الناجية ـ أهل السنة والجماعة ـ بالقدر خيره وشره. وهم لايكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر.. ولا يسلبون الفاسق الاسلام بالكلية ولايخلدونه في النار..

يقول المقدسي: ولانجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولانار إلا من جزم له الرسول، لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ولانخرجه من الإسلام بعمل.. وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم فهذه فرق الضال وطوائف البدع أعاذنا الله منها..

ومن الواضح أن مثل هذه القضايا ليس محلها كتب العقائد لكن وجودها في دائرة هذه الكتب يشير إلى عدة دلالات مذهبية:

الأولى : تحصين أهل السنة ضد الإتجاهات الأخرى..

الثانية: مناقضة الشيعة الذين لايجيزون المسح على الخفين ويعتبرونه بدعة ولا يقرون بأن الثلاث طلقات فى مكان واحد يمكن أن يحدث بسببهم الفراق الأبدى بين الزوج وزوجته ويجيزون زواج المتعة..

الثالثة : إغلاق باب الشك والاتهام للحكام بالفسق والانحراف عن الإسلام.. إذ أن مسألة الكبائر والفسق ربطتها الاتجاهات الأخرى بالحكام واعتبرتها مبرراً للطعن فيهم وضرورة منابذتهم والخروج عليهم..

إن أهل السنة إنما يهدفون من وراء طرح القضايا الفقهية ضمن إطار العقيدة إلى إغلاق المنافذ أمام الاتجاهات الأخرى وأمام اتباعهم. وقد تساوت عندهم الأمور العقائدية بالأمور الفقهية والمذهبية حتى يتبناها المسلمون جملة واحدة فلا يحيدون عن الطريق..

وقد ثارت ثائرتهم على ابن تيمية وهو منهم لكونه أفتى فى الطلاق برأى يخالف ماهم عليه وما ألزموا الأمة به..

وتبدو مسألة الصلاة وراء كل بر وفاجر وفى أى موضع مسألة فقهية فى الظاهر إلا أن بتأملها يتبين أنها مسألة سياسية بحتة الهدف منها اخضاع الأمة للحكام والسير وراء فقهاء السلاطين الذين يضفوا المشروعية على هؤلاء الحكام.. فالصلاة وراء الحاكم أو الفقيه التابع له لا تجد الأمة فيها حرجاً وفق هذه القاعدة كما لا تجد حرجاً فى الصلاة بالمساجد التى يقيمها الحكام تخليداً لذكراهم من الأموال المغصوبة من العباد والمنهوبة من المسلمين..

ولا شك أن أقبال الأمة على ممارسة شعيرة الصلاة على هذا النحو من شأنه أن يكسر حاجز العداء بين الجماهير والحكام وهذا هو المراد..

أهل السنة بين الماضى والحاضر

دائرة الماضى
الحنابلة
ابن تيمية
دائرة الحاضر
الوهابيون
التيارات الإسلامية

كان الحنابلة بما أحدثوه من فتن في تاريخ المسلمين قد شكلوا نقطة ضعف كبيرة في دائرة أهل السنة..

وكانت الصدامات بينهم وبين خصومهم لاتنحصر فى حدود المخالفين لأهل السنة من الشيعة والمعتزلة بل تعدتها لتشمل المخالفين لهم من أهل السنة..

ولقد أدى صدامهم مع أهل السنة إلى إنعزالهم وتقوقعهم وإضطرارهم إلى سلوك سبيل الاعتدال فى مواجهة الآخرين..

ثم ابتليت الأمة فى القرن الثامن بفقيه حنبلى احيا من جديد فتن الحنابلة وزرع بذور الشقاق فى صفوف أهل السنة ثم استدار إلى الشيعة والاتجاهات الأخرى فأعلن عليها الحرب وأدخلها فى دائرة الكفر. ذلك الفقيه هو ابن تيمية الحرانى..

ثم قمع ابن تيمية من قبل أهل السنة وأسدلت الستار على فتنته حتى جاء القرن الثانى عشر الهجرى وأطل الحنابلة برؤوسهم من جديد تحت زعامة محمد بن عبدالوهاب ويعد الظهور الأخير للحنابلة فى الجزيرة العربية تحت راية الوهابيين أكبر انتصار حققوه على مدى تاريخهم. فمنذ ذلك الحين وحتى اليوم أصبح الحنابلة يعيشون عصراً ذهبياً. اذ ببركات آل سعود والنفط دان لمذهبهم ملايين المسلمين والفقهاء والمؤسسات والتيارات الإسلامية فى جميع أنحاء العالم الاسلامى..

منذ ذلك الحين بدأت الفتن تطل برأسها ولكن فى ثوب جديد. بدأت بمسألة القباب والاضرحة وانتهت بإراقة دماء المخالفين..

من هنا سوف نتابع فى هذا الباب عقيدة أهل السنة فى مسيرتها التى فرخت تيار الحنابلة الذى فرخ لنا ابن تيمية والذى أنبثق منه بدوره تيار الوهابية ثم انعكاس هذا التيار على واقعنا والتيارات الإسلامية المعاصرة..

ان ما يعانيه المسلمون اليوم من أزمة فكرية وإنحطاط عقلى إنما يعود سببه إلى

هيمنة هذا الطرح الحنبلي على تصوراتهم ومؤسساتهم..

كذلك ماتنتج عن هذه الأزمة وهذا الإنحطاط من ممارسات معوجة وأفكار متخلفة وصدامات عشوائية إنما يعود سببه لهذا الطرح..

- الماضي :

ان الماضي بالنسبة لنا يتمثل في دائرتين:

الأولى : دائرة الحنابلة..

الثانية: دائرة ابن تيمية..

- الحاضر:

ويتركز في دائرتين:

الأولى : التيار الوهابي..

الثانية : التيارات الإسلامية..

● دائرة الماضى ..

ـ الحنابلة ..

كان أحمد بن حنبل هو اول من وضع بذرة أهل السنة فى واقع المسلمين. وقبله كان السلف يتعبدون على أساس القران والتلقى عن مشاهير الفقهاء من التابعين وغيرهم مثل مالك وأبوحنيفة والشافعى..

وكانت فترة ابن حنبل هى فترة تدوين الروايات وجمعها وقد دون هو مسنده وجاء من بعده البخارى وتلميذه مسلم والترمذى ثم ابن ماجه والنسائى والحاكم والبيهقى وغيرهم..

من هنا فقد استثمرت الروايات كخط دفاعى فى مواجهة الاتجاهات الأخرى من الشيعة والمعتزلة والفلاسفة ثم تحولت إلى أداة للهجوم بعد ظهور فكرة الاجماع والتى أضفت القدسية على البخارى ومسلم وعلى الأفكار التى حوتها عقيدة أهل السنة..

والغريب أن أهل السنة أعتمدوا البخارى ومسلم ككتابين صحيحين ولم يعتمدوا مسند أحمد بن حنبل امام أهل السنة بل قدموا عليه كتب السنن الأخرى مثل كتاب ابو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى..(١)

ولقد كان ابن حنبل من الفقهاء التقليديين الذين يلتزمون بالنصوص التزاماً حرفياً ويؤثر عنه قوله: لست أتكلم إلا ما كان كتاب أو سنة أو عن الصحابة والتابعين واما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود..(٢)

ويقول ابن حنبل حين سئل: ياأبا عبدالله ما تقول فيما كان بين على ومعاوية. فقال: ما أقول فيهم إلا الحسنى..(٣)

وسئل من الرافض..؟ فأجاب: الذى يشتم رجلا من أصحاب رسول الله (ص) أو يتعرض لهم. ما أراه على الإسلام..(٤)

وسئل عمن يقدم عليا على عثمان يبدع..؟ فأجاب: هذا أهل أن يبدع. أصحاب رسول الله (ص) قدموا عثمان..(٥)

ويؤثر عن ابن حنبل قوله: من ترك الصلاة فقد كفر..(٦)

ويقول: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه الصحابة وترك البدع وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال وليس في السنة قياس ولا يضرب لها الامثال ولاتدرك بالعقول والقرآن كلام الله غير مخلوق..(٧)

ويلغ ابن حنبل أن أحد أتباعه فرق بين ابنتيه وزوجها بسبب تبنى الزوج لفكرة الوقف فى القرآن. فقال: أحسن عافاه الله ودعا له..(٨)

ومثل هذه الأقوال إنما تعكس لنا شخصية ابن حنبل ونمطية تفكيره تلك الشخصية التى تجلت لنا بوضوح في موقفه من قضية خلق القرآن..

فحين تبنى المأمون العباسى طرح المعتزلة الذين يقولون بخلق القرآن سعى لإلزام الأمة بذلك فجمع الفقهاء وأقررهم بذلك فأقروا إلا أحمد بن حنبل فقد أصر على موقفه وأوذى بسبب ذلك وحبس وجلد وكاد أن يلقى حتفه وهو مصر على أن القرآن غير مخلوق..(٩)

وتكمن حقيقة موقف ابن حنبل فى كونه لايجد فى الروايات التى بين يديه أو فى سيرة السلف ما يدعم فكرة خلق القرآن فمن ثم قد اعتبرها بدعة أثر أن يموت ولايعترف بها..

ومثل هذا الموقف إنما يعكس لنا جانباً هاماً فى شخصية ابن حنبل الفكرية وهو جانب تضخيم الفروع والتقيد الحرفى بالنص. وقد انعكس هذا الجانب على شخصية تلاميذه من بعده الذين دخلوا فى صراعات مع المسلمين واصطدموا بالواقع وأراقوا الدماء بسبب قضايا فرعية وهامشية..

ويكشف لنا أيضاً جانب التعصب فى شخصيته وأفتقاد المرونة فى التعامل مع الواقع فقضية خلق القرآن ليست قضية جوهرية تمس أصول الدين بل هى قضية فكرية يؤخذ فيها ويرد فلاهى تمس ذات الله ولا هى تمس القرآن. وأن الذين يقولون بخلق القرآن إنما يهدفون من وراء هذا القول إلى تنزيه الله سبحانه عن صفة الحداثة بإعتبار أن الله قديم سبحانه بينما القرآن حادث ويجب التفريق بين الله وكلامه من باب نفى المشابهة..

إلا إن ابن حنبل لا مجال عنده لاستعمال العقل. ومجال التلقى الوحيد عنده هو

النقل وما دام النقل لم يورد مثل هذه القضية فهي بدعة..

ولو كان ابن حنبل قد توقف عند حدود ربط قضية خلق القرآن بالبدعة لكان الأمر هيناً إلا أنه حكم بكفر القائلين بخلق القرآن وألحق البلاء لنفسه وهذا قمة التعصب الذي ورثه عنه تلاميذه من بعده ووقعت بسببه فتن كثيرة في بغداد وغيرها..

ان الاخذ بظاهر النص - الرواية - والتعصب له هو الذي أوقع الحنابلة في متاهة التشبيه والتجسيم فيما بعد حتى انهم نسـبوا التجسيم والتشبيه لابن حنبل نفسه ثم للسلف من قبله..

وهذا ما دفع بابن الجوزي وهو من كبار الرموز الحنبلية إلى التصدي لهم ومحاولة تبرئة ابن حنبل من تهمة التشبيه..

يقول ابن الجوزي: ورأيت من اصحابنا من تكلم في الاصول بما لايصلح. وأنتدب للتصنيف ثلاثة : أبو عبدالله بن حامد وصاحبه القاضي ابو يعلى وابن الزاغوني. فصنفوا كتباً شانوا بها المذهب ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على صورته فأثبتوا له الصورة.. ووجهاً زائداً على الذات. وعينين وفما وأضراساً وساقين ورجلين. وقالوا ما سمعنا بذكر الرأس. وقالوا يجوز أن يمس ويمس ويدني العبد من ذاته. وقال بعضهم ويتنفس. ثم انهم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل..

وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولامن العقل. ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى ولا إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث..

ولم يقتنعوا بان يقولوا (صفة فعل) حتى قالوا (صفة ذات) ثم لما اثبتوا أنها صفات. قالوا: لانحملها على توجيه اللغة مثل (يد) على معنى القدرة ونعمة. ولا (مجيء وإتيان) على معنى بر ولطف ولا (ساق) على شدة..

بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة. والظاهر: هو المعهود من نعوت الآدميين والشيء انما يحمل على حقيقته إذا أمكن. فإن صرف صارف حمل على المجاز. ثم

يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون: نحن أهل السنة.. وكلامهم صريح في التشبيه. وقد تبعهم خلق من العوام. وقد نصحت التابع والمتبوع فقلت لهم: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع. وأمامكم الاكبر أحمد بن حنبل - رحمه الله - يقول وهو تحت السياط: كيف أقول ما لم يقل. فإياكم ان تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه. ثم قلتم في الأحاديث: تحمل على ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة. فإنه لما قيل في عيسى عليه السلام - : (روح الله) اعتقدت النصارى - لعنهم الله تعالى - ان الله سبحانه وتعالى صفة: هي روح ولجت في مريم. ومن قال: استوى بذاته المقدسة فقد - أجراه - سبحانه وتعالى - مجرى الحسيات. وينبغي أن لايهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل فإنه به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم. فلو انكم قلتم : نقرأ الاحاديث ونسكت. لما انكر أحد عليكم. وإنما حملكم إياها على الظاهر قبيح.. فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ماليس منه. فقد كسبتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً حتى صار لايقال عن حنبلي إلا مجسم. ثم زينتم مذهبكم أيضاً بالعصبية ليزيد بن معاوية وقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنة. وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض ائمتكم: لقد شان المذهب شيئاً قبيحاً لا يُغسل إلى يوم القيامة..(١٠)

ولقد كانت الدفعة التي أخذها الحنابلة على يد المتوكل العباسي الذي نصرهم على خصومهم وفتح الأبواب أمامهم لنشر أفكارهم قد أدت بهم إلى الإنتقام من المخالفين والافساد في الأرض..(١١)

ومنذ ذلك الحين كثرت اعتداءاتهم على العامة والنساء في الطرقات ومهاجمة الاسواق بدعوى مقاومة البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

ثم تطور الأمر إلى تصفية الخصوم من الأشاعرة والشيعة والمعتزلة والدخول في صدامات دموية معهم..(١٢)

يروي السيوطي عن أحداث عام (٣١٧هـ): وفي هذه السنة هاجت فتنة كبرى ببغداد بسبب قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)..

قالت الحنابلة: معناها يقعده الله على عرشه..

وقال غيرهم: بل هي الشفاعة..

ودام الخصام واقتتلوا حتى قتل جماعة كثيرة..(١٣)

ويروى السيوطي على لسان الذهبي عن أحداث عام ٣٩٨هـ: وفي سنة ثمان وتسعين وقعت فتنة بين الشيعة وأهل السنة في بغداد وكاد الشيخ أبوحامد الاسفرايني يقتل فيها. وصاح الرافضة ببغداد ياحاكم يا منصور فاحفظ القادر من ذلك وأنفذ الفرسان الذين على بابه لمعاونة أهل السنة فانكسر الروافض..(١٤)

وكان الخليفة العباسي القادر حسن المذهب صحيح الاعتقاد في نظر أهل السنة وقد صنف كتاباً في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على مذهب أصحاب الحديث ـ الحنابلة ـ واورد في كتابه فضائل عمر بن عبدالعزيز وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي ويحضره الناس..(١٥)

الهوامش

(١) يرتب أهل السنة كتب الحديث كما يلي : البخارى رقم واحد ومسلم رقم اثنين ثم ابو داود ثم الترمذى ثم النسائى ثم ابن ماجه.

(٢) أنظر ترجمة أحمد بن حنبل فى تاريخ الاسلام للذهبى تراجم الطبقة الخامسة والعشرون وأنظر ترجمته في وفيات الاعيان وسير اعلام النبلاء للذهبى وغيرها من كتب التراجم

(٣) أنظر الذهبي والمراجع السابقة..

(٤) الذهبي..

(٥) المرجع السابق..

(٦) المرجع السابق..

(٧) المرجع السابق..

(٨) المرجع السابق..

(٩) أنظر محنة ابن حنبل فى عصر المأمون والمعتصم والواثق فى تاريخ الذهبى. وكتب التاريخ..

(١٠) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه. ط القاهرة..

(١١) قال واحد من فقهاء السنة: - الخلفاء ثلاثة: ابو بكر فى قتل أهل الردة. وعمر بن عبدالعزيز فى رده المظالم. والمتوكل فى إحياء السنة وإماتة التجهم (نسبة لجهم)، انظر فتن الحنابلة وسيرة المتوكل فى الكامل لابن الأثير. وغيره من كتب التاريخ..

(١٢) انظر هجمات الحنابلة على أحياء الشيعة واحراقها وإعتداءاتهم على الفقهاء من خصومهم ومحاولاتهم التفريق بين الرجال والنساء فى الأسواق والطرقات..

وقد ادت كثرة مشاكلهم إلى تدخل الخليفة لحسمها والضرب على أيديهم..
انظر الكامل حوادث عام٣٢١ هـ ـ وعام ٤٧٥ هـ فى كتب التاريخ الأخرى..

(١٣) تاريخ الخلفاء.

(١٤) أنظر تاريخ الخلفاء. وتاريخ الذهبى والكامل عن أحداث هذا العام..

(١٥) أنظر تاريخ الخلفاء. وتاريخ بغداد للخطيب. وتأمل حتى الحكام أفسح لهم أهل السنة الطريق ليفتوا ويكفروا المخالفين. أنظر سيرة الخلفاء القادر فى المراجع السابق ذكرها..

- ابن تيمية ..

مع بداية ضعف الدولة العباسية وتلاشي سلطانها وظهور دول إسلامية كبرى تنافسها وتضيق عليها مثل الدولة السلجوقية في بلا ماوراء النهر. والدولة الفاطمية في مصر والشام بدأت بغداد تفقد مركزها العلمي واتجه الفقهاء نحو عواصم الدول الأخرى ولم يجد الحنابلة لهم مكانا فقد سبقتهم المذاهب والاتجاهات الأخرى نحو حكام هذه الدول وانتصرت الدولة السلجوقية في عهد الوزير نظام الملك للأشاعرة والشافعية وطاردت الحنابلة وأسست المدرسة النظامية ببغداد تلك المدرسة التي لعبت دوراً كبيراً في تطويق الحنابلة ونشر أفكار الأشعري ومذهب الشافعي بعد فترة إضطهاد طويلة..

ومنذ ذلك الحين بدأ نجم الحنابلة في الأفول بسقوط القوى الحاكمة التي كانت تنصرهم وأختفت معهم فكرة أهل السنة التي كانوا يرفعون شعارها وحل محلهم الأشاعرة والشافعية بدعم من السلاجقة ثم الأيوبيين ثم المماليك..

وفي ظل هذا الوضع ظهر ابن تيمية بالشام (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) رافعاً راية الحنابلة باعثاً أفكارهم القديمة حول صفات الله. ومواقفهم العدوانية المتعصبة تجاه المخالفين سواء كانوا من أهل السنة أو من الآخرين..

وعلى يد ابن تيمية بعثت فتن الحنابلة من جديد وتعددت الصدامات بينه وبين الأشاعرة والشافعية والشيعة والصوفية والفقهاء المخالفين له..

ولم يجد ابن تيمية نصرة من حكام المماليك كما وجد سابقوه من العباسيين، فقد انحازوا للفقهاء ضده لكونهم يمثلون الاتجاه السائد بينما كان اتجاه ابن تيمية شاذاً حتى فقهاء الحنابلة تخلوا عنه..

وأنتهى الأمر بابن تيمية إلى السجن الذي توفي فيه رافضاً التنازل عن أفكاره تاركاً مجموعة من التلاميذ الذين يسيرون على نهجه على رأسهم ابن القيم الجوزية الذي حبس معه ولم يفرج عنه إلا بعد وفاته..

ولم يستطع ابن القيم سد الفراغ الذي أحدثه غياب ابن تيمية وقمع من فقهاء عصره ليسدل الستارعلى طرحه حتى حين..

ويمكن تحديد الأفكار الحنبلية التي طرحها ابن تيمية فيما يلي:

ـ إثبات الجهة والمكانية لله سبحانه:

ذكر ابن تيمية في معرض رده على الذين يقولون بنفي التحيز عن الله: فيقال لمن نفى: أتريد بالجهة ما وراء العالم: فلاريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات..

وكذلك يقال لمن قال: الله في جهة.. أتريد بذلك أن الله فوق العالم. أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات..

فإن أردت الأول فهو حق..

وإن أردت الثاني فهو باطل..(١)

ويقــول:.. وإذا رد ذلك تعين أن يكون في الجهة. فثبت أنه في الجهة على التقديرين..(٢)

ويقول عن الذين ينفون الجهة والتحيز عن الله تعالى: وأما إن تضمن هذا الكلام أن الله ليس على العرش ولافوق العالم فليصرح بذلك تصريحاً بيناً.. ومن المعلوم أن قائل ذلك لايجترىء أن يقوله في ملأ من المؤمنين وإنما يقوله بين أخوانه من المنافقين..(٣)

ويقول: والباري سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية..(٤)

ويقول مثبتاً الجهة والمكانية لله راداً على خصومه: قد قلت لهم قائل هذا القول إن أراد به ان ليس في السموات رب ولافوق العرش إله وأن محمداً لم يعرج به إلى ربه وما فوق العالم إلا العالم المحصن فهذا باطل مخالف لإجماع سلف الأمة..(٥)

ـ ان الله متكلم بصوت وحرف:

يقول ابن تيمية : ان الله تعالى متكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح وليس ذلك كأصوات العباد لاصوت القارىء ولا غيره..(٦)

ويقول نقلاً عن ابن حنبل عندما سئل عمن زعم ان الله لم يتكلم بصوت قال: بلى. تكلم بصوت.

ويرى ابن تيمية أن الله يتكلم بحرف وصوت تكلم بالقرآن العربي بألفاظه ومعانيه

بصوت نفسه كما تكلم بالتوارة العبرية كذلك ونادى موسى بصوت سمعه وينادى عباده يوم القيامة بصوت كذلك..[٧]

- ان الله جسم:

يقول ابن تيمية: الكلام في وصف الله بالجسم نفياً وإثباتاً بدعة لم يقل أحد من سلف الامة وائمتها ان الله ليس بجسم كما لم يقولوا أن الله جسم..[٨]

ويقول: واما لفظ الجسم والجوهر والتحيز والجهة ونحو ذلك فلم ينطق كتاب ولا سنة بذلك فى حق الله لا نفياً ولا إثباتاً..[٩]

ويقول: والكبد والطحال ونحو ذلك هى الأعضاء الاكل والشرب فالغنى المنزه عن ذلك منزه عن آلات ذلك بخلاف اليد فإنها للعمل والفعل وهو سبحانه موصوف بالعمل والفعل..[١٠]

- رفض المجاز فى اللغة:

يقول ابن تيمية: وتقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف وهذا التقسيم لا حقيقة له وليس لمن فرق بينهما حد صحيح يميز به بين هذا وهذا. فعلم ان هذا التقسيم باطل. وهو تقسيم من لم يتصور ما يقول بل يتكلم بلا علم. فهم مبتدعة فى الشرع مخالفون للعقل..[١١]

تحريم زيارة الرسول (ص):

أفتى ابن تيمية بأن شد الرحال لزيارة النبى معصية وأن من ناداه مستغيثاً به بعد وفاته أشرك بالله..

وقد أعتمد ابن تيمية فى فتواه هذه على حديث يقول: لاتشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى..[١٢]

- فناء النار :

قال ابن تيمية ان النار تفنى والجنة تبقى ونسب هذا القول إلى السلف رافضا القول بأنهما لاتفنيان..[١٣]

- قيام الحوادث بالله تعالى:

يقول ابن تيمية: فإن قلتم لنا فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب قلنا لكم نعم. وهـذا قولنا الذى دل عليه الشرع والعقل. فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم منه أن تكون الحوادث قامت به. قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة ..(١٤)

ويقول: أن الرب تقوم به الأفعال فيتصف به طرداً لما ذكر في الكلام وان الفاعل من قام به الفعل..(١٥)

ومثل هذه الأقوال وغيرها هى التى وقع بسببها الصدام بين ابن تيمية وفقهاء عصره الذين أندفع الكثير منهم للرد عليه ووصل الأمر ببعضهم إلى الحكم بتكفيره..(١٦)

ولقد تبنى ابن القيم الجوزية هذه الأفكارودافع عنها فى نونيته التى يطلقون عليها العقيدة النونية..(١٧)

ومن الواضح إن إنكار ابن تيمية للمجاز - وهو قول شاذ حتى على الحنابلة - يعنى أن ما وصف الله به نفسه في كتابه يصبح حقيقة وهو ما يقول به ابن تيمية حيث ينفى التأويل ويوجب أخذ النصوص على ظاهرهامن القرآن والروايات التى هى محل خلاف.. من هنا فقد هاجم ابن تيمية الخلف من أهل السنة وأعتبرهم مبتدعة خارجون على منهج السلف لأنهم يؤلون اليد بالقدرة والنزول بالرحمة وينفون رؤية الله...... إلخ.

وعلى هذا الأساس اعتبر ابن تيمية من المجسمة المشبهة ودعاة الفتنة. كما أعتبر بأفكاره هذه لا يمثل أهل السنة فمن ثم تصدى له الفقهاء وحاكموه فكرياً وحبس حتى الموت..(١٨)

ولم يقتصر الأمر عند ابن تيمية فى حدود الفكر بل تعدى ذلك إلى دائرة السلوك وقام هو وأتباعه بتحطيم الخمارات والاعتداء على المتصوفة ومنع الناس من زيارة القبور..(١٩)

الهوامش

(١) أنظر الرسالة التدمرى فصل تنازع الناس فى الجهة والتحيز..

(٢) منهاج السنة حـ١ / ٢٦٤ ..

(٣) فتاوى ابن تيمية حـ ٥ / ٢٧ ..

(٤) كتاب التأسيس نقلاً عن السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل (ابن القيم)

(٥) الفتاوى حـ ٥ / ١٩

(٦) المرجع السابق حـ ٥ / ١٢١

(٧) ابن تيمية السلفي لخليل هراس.

(٨) الفتاوى حـ ٥ / ١٩٢

(٩) منهاج السنة حـ١ / ٢٤٢ (١٠) الرسالة التدمرية.. (١١) كتاب الإيمان..

(١٢) أنظر قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة.. والحديث رواه البخارى..

(١٣) أنظر المواعظ والاعتبار ببقاء الجنة والنارللسبكي. ت ٧٥٦ هـ.

(١٤) منهاج السنة حـ١ / ٢٢٤ ..

(١٥) الفتاوى حـ ٥ / ١٠٤ ..

(١٦) أنظر الدرة المضيئة فى الرد على ابن تيمية للسبكي وشفاء السقام فى زيارة خير الأنام.. والدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لابن حجر حـ١ / ١٥٢ ..والجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوى المكرم لابن حجر الهيتمي وسير اعلام النبلاء للذهبى حـ ٤ / ٤٨٤

(١٧) هذه النونية هى التى رد عليها العلامة زاهد الكوثرى فى كتابه السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل

(١٨) أنظر تفاصيل هذه المحاكمات فى الدرر الكامنة..

(١٩) أنظر سيرة ابن تيمية فى البداية والنهاية لابن كثير وابوزهرة ووهراس وسلسلة اعلام العربى..

● دائرة الحاضر:

- الوهابيون ..

جاء محمد بن عبدالوهاب، في القرن الثاني عشر باعثاً لدعوة ابن تيمية وأفكاره التي ضربت في القرن الثامن..

ومرة أخرى تم بعث الخط الحنبلي المتطرف بعد غيبة أربعة قرون منذ وفاة ابن تيميةوحتى ظهور الحركة الوهابية..

ويبدو أن هناك تقارب بين شخصية محمد بن عبدالوهاب وشخصية ابن تيمية فكلاهما أرضع الفكر الحنبلي منذ طفولته في كنف عائلة حنبلية. كما تميز ابن عبدالوهاب بحدية المزاج وهي من أبرز ملامح شخصية ابن تيمية ..

وقد سلك ابن عبدالوهاب مسلك ابن تيمية في مقاومة المخالفين والتنديد بهم وتبني العنف في مواجهة أصحاب الاتجاهات الأخرى..

ففي فترة دراسته بالبصرة اصطدم بالعامة والفقهاء بسبب طرحه لمسألة القبور التي أثارها ابن تيمية من قبله مما أدى إلى مهاجمته وضربه ثم طرده من البصرة حافي القدمين..

ثم انتقل بعد ذلك إلى الشام ولم يعجبه الحال فيها فعاد إلى نجد ليلازم أباه في نشر المذهب الحنبلي. وعكف على كتب الشيخين: ابن تيمية وابن القيم..

وكان أول ما اصطدم ابن عبدالوهاب بوالده الذي رفض نهجه وطلب منه الإعتدال وتجنب الصدام مع العامة والفقهاء. إلا أنه لم يعبأ بنصح والده. كما لم يعبأ بأخيه سليمان الذي عارض أفكاره وأنكرها..(١)

وطاف ابن عبدالوهاب بدعوته ولم يجد عوناً من أحد بل وجد صداً وإيذاءاً ونفرة إلى أن وصل إلى (الدرعية) وظفر به ابن مسعود الذي قرر الوقوف إلى جانبه على من خالفه وعقد معه اتفاقا نص على مايلي:

- أن لايرجع ابن عبد الوهاب عنه ان تم لهم النصر والتمكن..
- أن لايمنع ابن سعود من الخراج الذي ضربه على أهل الدرعية وقت الثمار..

وكان جواب ابن عبدالوهاب: أما الأول فالدم الدم. والهدم. الهدم..

وأمـا الثـاني: فلعل الله يفـتح عليك الفـتـوحـات وتنال من الغنائم مـا يغنيك عن الخراج..

ودخل ابن سعود في حروب دموية مع المسلمين المخالفين تحت ستار دعوة ابن عبدالوهاب واستمرت هذه الحروب سنين طويلة اتسع فيها ملك ابن مسعود بعد سقوط الرياض وقرر ابن عبدالوهاب تفويض أمور المسلمين إلى عبدالعزيز بن محمد بن سعود وتفرغ هو للعلم والعبادة والدعوة..[٢]

وهاجمت قوات ابن سعود العراق وغزت مدينة كربلاء وهدمت قبر الحسين وقتلت الكثير من النساء والصبيان وأحرقت الكثير من المنشآت واستولت على كثير من الغنائم التي نهبت من المساجد..[٢]

وتتركز أفكار محمد بن عبدالوهاب فيمايلي:

توحيد العبودية:

وقد تبنى هذه الفكرة في مواجهة الممارسات المتعلقة بقبور الانبياء والصالحين من الزيارات والنذور وبناء القباب وتزيين المساجد التي تقع بها هذه القبور والتوسل بمن فيها. وأعتبر ان مثل هذه الممارسات هي شرك وردة عن الإسلام يبيح

منع شد الرحال:

وقد تبنى هذه الفكرة من رواية البخاري: لاتشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد وهي نفس الفكرة التي تبناها ابن تيمية..

تحريم البناء على القبور وكسوتها واسراجها:

واستند ابن عبدالوهاب في هذا التحريم إلى عدد من الروايات منها:

لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج..

ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد..

توحيد الاسماء والصفات:

وتبنى محمد بن عبدالوهاب نهج الحنابلة وابن تيمية فيما يتعلق بصفات الله

رافضاً التأويل واراء المخالفين من المعتزلة والشيعة وغيرهم..

انكار البدع:

وسيراً مع نهج ابن تيمية تبنى محمد بن عبدالوهاب مقاومة الاحتفال بمولد الرسول وموالد الصالحين والصلاة على الرسول (ص) بعد الآذان. والتلفظ بالنية فى الصلاة. والتذكير قبل الآذان. والطرق الصوفية..[٤]

وكما هو معروف فإن ابن عبدالوهاب ومن سار على نهجه من بعده لم يلتزموا بالحكمة والموعظة الحسنة وسلوك سبيل الاعتدال فى نشر هذه الافكار وتعميمها. بل كان السيف هو الوسيلة الوحيدة التى أعتمدها الوهابيون لإجبار المسلمين على تبنى أفكارهم..

تقول فتوى وهابية: ان الرجل لايكون مسلماً إلا إذا عرف التوحيد ودان به وعمل بموجبه فمن قال لا اعادى المشركين أوعاداهم ولم يكفرهم، أو قال لا اتعرض القباب فهذا لايعد مسلماً. بل هو ممن قال الله فيهم (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً)..[٥]

وقام الوهابيون بهدم قبور البقيع فى المدينة وخارجها وعلى راسها قبور أئمة آل البيت ثم هموا بهدم قبر الرسول (ص) لكنهم تراجعوا عن ذلك خوفاً من رد الفعل..

ولقد عكف الوهابيون الجدد على طرح ابن عبد الوهاب وقدوته ابن تيمية والعمل على نشره وربطه بالسلف وإيهام المسلمين إن هذا الطرح هو طرح الرسول والصحابة والممثل لعقيدة أهل السنة..

وقام كبيرهم ابن باز بكتابة كتاب تحت عنوان : إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين رداً على قصيدة تحت عنوان (فى ذكر المولد النبوى الشريف) نشرت فى إحدى الصحف..[٦]

وكتب أحدهم عن العقيدة الإسلامية يقول : أثبات ما وصف الله به نفس فى كتابة أو وصفه رسوله فى أحاديثة الصحيحة على الحقيقة بلا تأويل ولا تفويض ولا تعطيل.. والله فوق العرش على السماء. والله معنا بسمعه ورؤيته وعلمه. ودعاء

الأموات أو الغائبين من الشرك الأكبر. ولا يجوز النذر والذبح لغير الله. والعمل بالقوانين المخالفة للإسلام كفر إذا اجازها او اعتقد صلاحيتها. والتوسل بجاه الرسول (ص) فهو بدعة ولا تجوز موالاة الكفار ونصرتهم. ويحكم المسلمون بالقران والحديث الصحيح والعمل بالحديث الصحيح واجب. ولا نستغني بالقرآن عن الحديث..(٧)

وسيراً مع نهج ابن تيمية فى رفض التأويل وأنكار المجاز الذى سار عليه بن عبد الوهاب هاجم أحدهم حزم الذى كان من رأيه التمسك بظاهرة النصوص لكونه خالف معتقده ولم يلتزم بالأخذ بظاهر النص فيما يتعلق بآيات الصفات واتجه إلى تأويلها سيراً مع نهج الخلف..(٨)

وفى حوار مع أحد علماء الوهابية وجهت إليه الأسئلة الآتية:

● تدعون أن الله فى السماء . فأين كان ربنا قبل أن يخلق الله السماء..؟

● تدعون أنه أستوى على العرش أستواء محسوساً. لما أستوى على العرش هل كانت السماء خالية..؟

● أين هو الآن: مستو على العرش أم فى السماء؟

● عندما تقولون أنه فى السماء تنسبون له الجهة والإشارة وهى من صفات الحوادث فكيف الخلاص من ذلك؟

● أخبرنا الرسول أن الله ينزل الى السماء الدينا كل ليلة . وعلى مذهبكم : التأويل تعطيل . فانه إذا ينزل من جهة السماء الأرض فيكون منتقلاً فى نفس الأمر من جهة . أليس كذلك؟

● مهما كان كبر السماء فهو محدود فهل الله كذلك محدود..؟

● نحن وأنتم متفقون بأنه (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) فهلا ترون وجوده فى السماء يكون مقاساً بالسماء فيشابهه فى المقاس. وهو صفة إثبات لا صفة نفى؟

وقد أجيب على هذه التساؤلات جميعاً بإجابة واحدة هى : نحن لا ندعى ذلك من تلقاء أنفسنا بل الله ورسوله أخبرنا بذلك . وساق النصوص..(٩)

ويقول أحدهم : أطلق أعداء التوحيد على الموحد كلمة (وهابى) نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب ولو صدقوا لقالوا (محمدى) نسبة الى اسمه (محمد) وشاء الله أن تكون (وهابى) نسبة الى (الوهاب) فهو اسم من اسماء الله الحسنى . فإذا كان الصوفى ينتسب إلى جماعة يلبسون الصوف فإن الوهابى ينتسب إلى الوهاب وهو الله الذى وهب له التوحيد ومكنه من الدعوة إليه..(١٠)

والوهابيون يعتبرون خصومهم مشركون وأعداء للتوحيد وخصومهم اليوم هم الشيعة والصوفية. كما يعتبرون أنفسهم أهل الحق والفرقة الناجية التى قصدها الرسول بروايته..(١١)

وقد سئل ابن باز عن الفرقة الناجية فقال: هم السلفيون وكل من مشى على طريق السلف الصالح..(١٢)

- التيارات الاسلامية : الحنابلة الجدد..

دخل التيار الوهابى فى صراع مع المسلمين بالجزيرة العربية تحت زعامة الفقهاء والأشراف. ثم دخل فى صدام مع الدولة العمانية التى وجهت له محمد على حاكم مصر آنذاك والذى قام بتسيير قوة عسكرية غزت جزيرة العرب ودخلت عاصمة الوهابيين (الدرعية) وأسقطت آل سعود..

إلا أن الصدامات العسكرية استمرت بين الوهابيين وقوات محمد على حتى برز الانجليز على الساحة العربية وقاموا بدعم الحركة الوهابية وآل سعود ضد دولة الاستانة حتى سيطروا على الجزيرة العربية بكاملها وفرضوا عليها الخط الوهابى بقوة السيف..

ومع ظهور النفط دخلت الدعوة الوهابية فى مرحلة جديدة تمكنت من خلالها أن تخترق المؤسسات والقطاعات الإسلامية فى معظم بقاع العالم الإسلامى ان لم نقل جميعها حتى صور للمسلمين فى كل مكان أن هذه الدعوة هى الإسلام. والإسلام هو هذه الدعوة..

وما كان هذا من الممكن أن يحدث لولا أن الخط الوهابى نجح فى إختراق وأحتواء التيارات الإسلامية الفاعلة فى الساحة الإسلامية. وعلى رأسها الأخوان

المسلمين ولقد تشبعت التيارات الإسلامية التى ظهرت بعد الأخوان بالفكر الوهابى وتبنت اطروحته والتزمت بنهجه المتشدد فى مواجهة الواقع على أساس أن هذا الطرح وهذا النهج هو نهج الإسلام..

ولم تدر التيارات الإسلامية أنها سقطت فى فخ الحنابلة وتبنت أطروحتهم الشاذة التى نتج عن تبنيها الكثير من الممارسات المعوجة والصدامات العشوائية مع الواقع بالإضافة الى خلق المتاهات التى بددت طاقة هذه التيارات وشتت قواها..

وسوف نورد هنا بعض نماذج من فتن الحنابلة وصداماتهم مع الواقع والجماهير كما وردت فى كتب التاريخ ليتبين لنا مدى مطابقتها لممارسات ومواقف التيارات الإسلامية اليوم..

يروى ابن الأثير فى الكامل حوادث عام ٣٢٣ هـ: وفيها عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يلبسون - يقتحمون - دور القواد والعامة وان وجدوا نبيذاً أراقوه وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء واعترضوا في البيع والشراء ومشى الرجال مع النساء والصبيان فإذا أرادوا شيئاً من ذلك سألوا الذى معه ماهو فأخبرهم وإلا ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة وشهدوا عليه بالفاحشة..

قال - أى ابن الأثير - فأرهجوا بغداد. فركب بدر الدين الخرشى - وهو صاحب الشرطة عاشر جمادى الآخرة ونادى فى جانبى بغداد فى أصحاب أبى محمد البرى بهارى من الحنابلة: الا يجتمع منهم اثنان.. ولايتناظرون فى مذهبهم..

ويستطرد ابن الأثير: فلم يفد فيهم وزاد شرهم وفتنتهم واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون المساجد وكانوا إذا مر بهم شافعى المذهب أغروا به العميان فيضربوه بعصيهم حتى يكاد يموت.. فخرج توقيع الراضى - الخليفة العباسى - بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ويوبخهم بإعتقاد التشبيه وغيره..

ويبدو من مواقف التيارات الإسلامية وممارستها على ساحة الواقع أنها صورة عصرية من ممارسات الحنابلة..

يبدو ذلك بوضوح فى تبنيهم التعصب ونبذ الآخر..

ويبدو فى تقيدهم الحرفى برؤية الحنابلة فى مسالة صفات الله..

ويبدو فى تبنيهم العنف فى مواجهة الخصوم..

ويبدو فى صدامات مع الجماهير تحت شعار مقاومة البدع والمنكرات ..

ويبدو فى غلظتهم وحدتهم فى مواجهة الواقع..

والشئ الجديد الذى تبنته هذه التيارات هو مقاومة الحكام والخروج عليهم وهو ما لم يقل به أحد من أهل السنة ولا حتى من الحنابلة وانما اشتقوا هذا الموقف من فتاوى لابن تيمية تتعلق بالتتار الذين اسلموا ثم ارتدوا عن الإسلام..(١٣)

ولم يكن ابن تيمية ضد الحكام بل كان موالياً لهم وكان صديقاً لمحمد بن قلاوون الحاكم المملوكى وقد اصطدم به الحكام تحت ضغط الفقهاء وليس لأسباب سياسية..(١٤)

ولقد تبنت التيارات الإسلامية أفكار ابن تيمية على وجه الخصوص تحت تأثير الخط الوهابى تلك الأفكار التى دخلت فى صدام مع الواقع على اساسها..

وكان كتاب (الفريضة الغائبة) الذى قام بتأليفه محمد عبد السلام أحد الخمسة الذين اعدموا فى قضية اغتيال السادات - قد اعتمد على أفكار ابن تيمية..(١٥)

ولم تنحصر تلك المواقف والممارسات التى تبنتها التيارات على اساس خط الحنابلة وابن تيمية خاصة فى محيط الحكام والمخالفين لهم بل تعدتها الى محيط أصحاب الديانات الأخرى مثل المسيحيين الذين صدرت فى حقهم فتاوى بجواز قتلهم واستحلال اموالهم على أساس كونهم اهل حرب ليس بينهم وبين المسلمين عقد ذمة حيث لا توجد دولة إسلامية تلزمهم بالجزية وتحفظ دمهم ومالهم..(١٦)

وتبدو عملية اغراق الواقع الاسلامى بالكتب الوهابية المجانية التى تطبع فى السعودية محاولة صريحة ومعلنة من قبلها لاستقطاب الاسلاميين وارضاعهم الفكر الوهابى والسؤال الذى يطرح نفسه هنا: ما هى مصلحة حاكم كفهد بن عبد العزيز فى طبع كتاب الفتاوى لابن تيمية (٣٧) مجلد على نفقته الخاصة وتوزيعه مجاناً على المسلمين..؟

وقد أطلق الوهابيون على ابن تيمية لقب شيخ الإسلام كما اطلقوه على ابن عبد الوهاب حتى يضخموا هاتين الشخصيتين فى أعين المسلمين ويدفعوهم الى

الاقتداء بهم والتسليم بطرحهم والمناداة بأفكارهم..

وعملت السعودية بالإضافة الى هذا على استقطاب الرموز الإسلامية البارزة فى الساحة الإسلامية من الدعاة والعلماء وأساتذة الجامعات وتمكنت ببركات النفط من جعلهم أبواقاً للوهابية وسط المسلمين..

من هنا أصبح الجميع فى الأوساط الإسلامية يسبح بحمد ابن تيمية وابن عبد الوهاب ولابأس آل سعود أولياء النعم وخلفاء المسلمين..

وأصبح الشباب المسلم الناشئ لا يعرف سوى ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومن سار فى ركابهم من الفقهاء الحنابلة مثل ابن كثير والذهبى ثم محمد بن عبد الوهاب..

هؤلاء الفقهاء هم الذين اعتبرتهم التيارات الإسلامية مراجعها واستمدت من فتاويهم وأقوالهم مواقفها تجاه الواقع..

● أين الخلل ..؟

أن الفكر السليم يولد حركة سليمة. والفكر المعوج يولد حركة معوجة. وقد تبين لنا من خلال ما سبق أن الأعوجاج يكمن فى ذلك الطرح الموروث الذى أطلق عليه عقيدة أهل السنة..

وفى هذا الطرح يكمن الخلل..

الخلل فى الفكر الإسلامى المعاصر..

والخلل فى الحركة الإسلامية المعاصرة..

فقد صبغ هذا الفكر بهذا الطرح..

وصبغت الحركة بهذا الطرح..

وليس هناك من وسيلة لاستقامة هذا الفكر وهذه الحركة إلا بالتحرر من هذا الطرح والبحث عن بديل آخر يحل محله..

وأن الذين تبنوا حركة التصحيح فى الواقع الإسلامى اليوم وقعوا فى متاهة كبيرة لكونهم تجنبوا المساس بهذا الطرح وتصوروا أن من الممكن تصحيح الواقع

الإسلامي ومسيرة الحركة الإسلامية وفق هذا الطرح وبهديه..

وتظل حالة الشتات والفرقة والشطحات السائدة في الواقع الإسلامي تؤكد أن هذا الطرح لم يعد يصلح لمواكبة الواقع. وأن هذه الحالة سوف تظل قائمة طالما ظل التمسك به..

وإذا كانت التيارات الإسلامية قد ورثت عن أهل السنة رؤيتهم العدائية والاستعلاء على المخالفين. فقد ورثت عنهم أيضاً رؤيتهم العدائية لأهل الذمة وأصحاب الديانات الأخرى عموماً..

وهذا الميراث قد انعكس على واقعنا وتمثل في صورة صدامات مع المسلمين ومع المسيحيين تتكرر كل حين وآخر. تلك الصدامات التي تجد مشروعيتها وتبريراتها من خلال فقه أهل السنة عامة والحنابلة خاصة..[١٧]

أن فقهاء اليوم يدركون مدى المأزق الذي تعيشه الساحة الإسلامية في ظل هذا الطرح. لكنهم لا يجرأون على نقدي وتقويمه لأن الاقدام على هذه الخطوة يعني نصرة المخالفين لأهل السنة. ويعني غرق مركب النجاة التي سوف تحمل فرقتهم نحو الجنة وبالتالي تبديد الحلم الذي عاش فيه السلف والمسلمون المعاصرون

وسوف يظل الفقهاء والحكام متمسكون بهذا الطرح لأن فيه أمنهم ومصلحتهم فلن يكون هناك مكان لهؤلاء الفقهاء في ظل أي طرح آخر..

ولن يجد الحكام طرحاً يدعم سلطانهم ويضفي عليهم المشروعية مثل هذا الطرح..

ـ نماذج من نصوص التطرف عند أهل السنة:

لما كانت التيارات الإسلامية تلتزم بعقيدة أهل السنة وهي قد سقطت في براثن الحنابلة من ابن تيمية حتى محمد عبد الوهاب كان لابد لنا من استعراض بعض النصوص التي تكتظ بها كتب أهل السنة ومراجعهم الأساسية والتي انعكست بشكل مباشر على هذه التيارات وأسست مواقفها وتصوراتها في مواجهة الواقع على أساس

● يروي ابن تيمية : جوز طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما قتل الداعية الى البدع المخالفة للكتاب والسنة. وكذلك كثير من أصحاب مالك. وقالوا:

إنما جوز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الفساد فى الأرض لا لأجل الردة..[18]

● وقال ابن عبد البر: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعرى ولا تقبل له شهادة فى الإسلام أبداً ويهجر ويؤدب على بدعته فإذا تمادى عليها استتيب منها..[19]

وقال الشاطبى : فإن فرقة النجاة ـ أهل السنة ـ مأمورون بعداوة أهل البدع والتشريد بهم والتنكيل بمن انحاش الى جهتهم بالقتل فما دونه. وقد حذر العلماء من مصاحبتهم ومجالستهم..[20]

● ويقول ابن القيم: أن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب اتلافها وإعدامها وهى أولى بذلك من إتلاف الات اللهو والمعازف وإتلاف انية الخمر فإن ضررها أعظم من ضرر هذه ولا ضمان فيها كما لا ضمان فى كسر أوانى الخمر..[21]

● ويقول ابن تيمية : من قامت عليه الحجة من أهل البدع استحق العقوبة وإلا كانت أعماله البدعية المنهى عنها باطلة لا ثواب فيها وكانت منقصة له خافضة له مسقطة لحرمته ودرجته فإن هذا الحكم الضلال وجزاؤهم..[22]

● ويقول ابن حنبل : أن من السنة ان تهدم الكنائس التى فى الامصار القديمة والحديثة..[23]

● وقال محمد بن الحسن: لا ينبغى ان تترك فى أرض العرب كنيسة ولا بيعة ولا يباع فيها خمر وخنزير مصراً كان أو قرية..[24]

● وقال ابن تيمية : أن كل كنيسة في مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد ونحوها من الامصار التى مصرها المسلمون بأرض العنوة فإنه يجب ازالتها إما بالهدم أو غيره بحيث لا يبقى لهم معبد فى مصر مصره المسلمون بأرض العنوة وسواء كانت تلك المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثة لأن القديم منها يجوز أخذه ويجب عند المفسدة..[25]

● وقال الشافعى : ولا يحدثوا ـ أى غير المسلين ـ بناء يطولون به على بنا المسلمين وأن يفرقوا بين هيئاتهم فى المركب والملبس وبين هيئات المسلمين وأن

يعقدوا الزنار على أوساطهم..

● ويقول ابن كثير : من ظن بالصحابة ذلك - أى الانحراف بعد وفاة الرسول - فقد نسبهم بأجمعهم الى الفجور والتواطئ على معاندة الرسول (ص) ومضادتهم فى حكمه ونصه . من وصل من الناس الى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكفر باجماع الائمة والاعلام وكان إراقة دمه أحل من إراقة المداد..[٢٦]

● وقال عبد الغنى المقدس: واعلم رحمك الله ان الإسلام وأهله أتوا من طوائف:

فطائفة ردت أحاديث الصفات وكذبت رواياتها فهؤلاء أشد ضرراً على الإسلام وأهله من الكفار..

وطائفة قالوا بصحتها وقبولها ثم تأويلها: فهؤلاء أعظم ضرراً من الطائفة الأولى.

وطائفة جانبوا القولين الأولين واخذوا بزعمهم - ينزهون وهم يكذبون . فأداهم ذلك الى القولين الاولين وكان أعظم ضرراً من الطائفتين الاوليين..[٢٧]

● ويقول شارح الطحاوية : الذين خالفوا السنة والجماعة نحن منهم براء وهم عندنا ضلال وأردياء..[٢٨]

● وقال النووى : الزنديق هو الذى يعترف بالدين ظاهراً وباطناً . لكنه يفسر بعض ما ثبت من الدين ضرورة بخلاف ما فسره الصحابة والتابعون واجمعت عليه الأمة..[٢٩]

● وقال ابن عبد الوهاب نقلا عن ابن تيمية : أن من دعا على ابن ابى طالب فهو كافر. وأن من شك فى كفره فهو كافر. فإذا كان هذا حال من شك فى كفره مع عداوته له ومقته. فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده . فكيف بمن أحبه. وجادل عنه وعن طريقته وتعذر أنا لا نقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك..[٣٠]

● ويقول ابن عبد الوهاب : ومن أعظم ما يحل الاشكال فى مسألة التكفير والقتال عمن قصد اتباع الحق . اجماع الصحابة على قتال مانعى الزكاة وإدخالهم فى أهل الردة وسبى ذراريهم وفعلهم فيهم ما صح عنهم وهو أول قتال وقع فى الإسلام على من ادعى أنه من المسلمين..[٣١]

● وقال أبو الوفاء بن عقيل: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن

أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذا لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج..[٣٢]

● ويقول اسد بن الفرات: وقد وقعت اللعنة من رسول الله (ص) على أهل البدع وأن الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلا ولا فريضة ولا تطوعاً وكلما زادوا اجتهاداً او صوماً وصلاة أزدادوا من الله بعدا..[٣٣]

● وقال سفيان الثورى : من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث : إما أن يكون فتنة لغيره. وإما أن يقع فى قلبه شئ فينزل به فيدخله الله النار. و اما أن يقول والله ما ابالى ما تكلموه..[٣٤]

● من استهزأ ببعض المستحبات كالسواك والقميص الذى لا يتجاوز نصف الساق والقبض فى الصلاة والشرب جالساً ونحوه مما ثبت حكمه فى السنة فحكمه أن يبين له مشروعية ذلك وأن السنة عن الرسول دلت على ذلك فإذا أصر على الاستهزاء بالسنة كفر بذلك لأنه بهذا يكون منتقصاً للرسول (ص) ولشرعه والنقص بذلك كفر اكبر..[٣٥]

ـ نتائج عقائد أهل السنة:

● إهمال العقل : فهم قد خلطوا بين المسائل والقضايا المتشابهة والمسائل التى تحتاج إلى أدوات للخوض فيها وبين المسائل والقضايا الفكرية والسياسية والاخلاقية التي يتاح للجميع الخوض فيها واعتبروا الخوض فى جميع هذه المسائل من المحرمات اى رفضوا إعمال العقل فيها لعامة الأمة واتاحوا لأنفسهم فقط الخوض فيها بكيفية محددة تحفظ خطهم وعقائدهم وقد نتج عن هذا المفهوم أن سلم المسلم عقله لفقهاء السنة ليفكروا ويصدروا احكامهم نيابة عنه وأصبح يعيش فى الحاضر بعقل الماضى ..

● تقديس الحكام:ويبدوا من عقائدهم أنهم قد وضعوا الحكام فى مراتب الائمة مع أن هناك فروق شرعية واضحة بين الحاكم والامام. وكان الهدف من هذا الخلط هو اضفاء القداسة والمشروعية عى الحكام وبالتالى تعبيد الجماهير لهم..

● تخدير الجماهير: وقد تبنوا فى كتبهم الكثير من الروايات المنسوبة للرسول (ص) والتى توجه الجماهير نحو الأخرة والجنة وثوابها وبدفعهم الى الزهد فى الدنيا والتنازل عن حقوقهم والتقاعس عن دورهم فيها..

● تضخيم الرجال : فقد نتج عن كم الروايات التى تضفى القداسة على الصحابة خاصة ابى بكر وعمر أن علا هؤلاء الرجال على النصوص وأصبحوا مقياس الحق

● الارهاب الفكرى : وتبرز لنا هذه النتيجة من عقيدتهم في المخالفين ومواقفهم تجاههم. كما تبرز من خلال اعتقادهم كونهم الفرقة الناجية وشعب الله المختار .

وتبرز بالإضافة الى هذا فى كم الفتاوى التى تحكم بتبديع المخالفين وكفرهم وتؤصل عقيدة الاستعلاء على المخالفين فى نفوس الاتباع كما تؤصل التعصب والانغلاق.. وكما مارس أهل السنة الارهاب الفكرى والحركى مع المخالفين فى فترات الماضى تبنت التيارات الإسلامية اليوم هذا الأرهاب فى لحاضر..

الهوامش

١- انظر سيرة محمد بن عبد الوهاب. فى الكتاب السابق ذكره. وغيره من الكتب التى كتبت فيه ببركات النفط.

٢- انظر مجموعة التوحيد. رسالة بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك . وصاحب الفتوى احد ابناء محمد عبد الوهاب..

٣- نشرت القصيدة فى مجلة المجمع الكويتية.

٤- انظر العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة.

٥- أنظر الفصل فى الملل والنحل جـ ٢ / ٩٨

٦- انظر الحيدة وانتصار المنهج السلفى . شبهات والجواب عنها . وانظر النصوص المذكورة سابقاً.

٧- انظر الفرقة الناجية. لجميل زينو ط السعودية يهدى ولا يباع.

٨- المرجع السابق.

٩- المرجع السابق.

١٠- هناك فتوى شهيرة لابن تيمية اعتمد عليها تيار الجهاد تتعلق بالتتار الذين اسلموا ثم عطلوا شرائع الإسلام وبدلوها بشرائع وضعية حيث حكم بكفرهم ووجوب مقاتلتهم وقد تبنت التيارات الإسلامية هذه الفتوى فى مواجهة الحكام المعاصرين..

١١- انظر علاقة ابن تيمية بحكام المماليك فى كتب التاريخ .وانظر مقدمة كتاب الجواب الباهر فى زوار المقابر الذى كتبه ابن تيمية لمحمد بن قلاوون..

١٢- انظر لنا كتاب الحركة الإسلامية فى مصر . فصل الجهاد..

١٣- انظر كتب الفقه. وأحكام أهل الذمة لابن القيم وفتاوى بن تيمية..

١٤- انظر نصوص كتاب الفريضة الغائبة . وانظر كتب الفقه وأحكام أهل الذمة..

١٥- السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية..

١٦- انظر جامع بيان العلم..

١٧- انظر الاعتصام جـ / ١٢٠ وجـ ٢ / ٢٢٨

١٨- انظر الطرق الحكمية..

١٩- الرد على الاخنائي..

٢٠- انظر احكام أهل الذمة لابن القيم

٢١- المرجع السابق

٢٢- انظر مجموع الرسائل والمسائل . والمرجع السابق.. والمقصود بأرض العنوة أى الأرض التى تم فتحها بالسيف..

٢٣- انظر المختصر للشافعي..

٢٤- البداية والنهاية جـ ٥ / ٢٥٢ ..

٢٥- انظر عقيدة الحافظ عبد الغني . وانظر منهج أهل السنة فى نقد الرجال والكتب والطوائف ط السعودية..

٢٦- انظر شرح الطحاوية..

٢٧ - انظر المسوى نقلاً عن كتاب الحكم الجديرة بالإذاعة..

٢٨- انظر مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد..

٢٩- المرجع السابق..

٣٠- المرجع السابق وانظر الكتب الوهابية مثل شبهات حول التوحيد والكلمات النافعة في.. المكفرات الواقعة وتطهير الاعتقاد من أدر أن الشرك والألحاد..

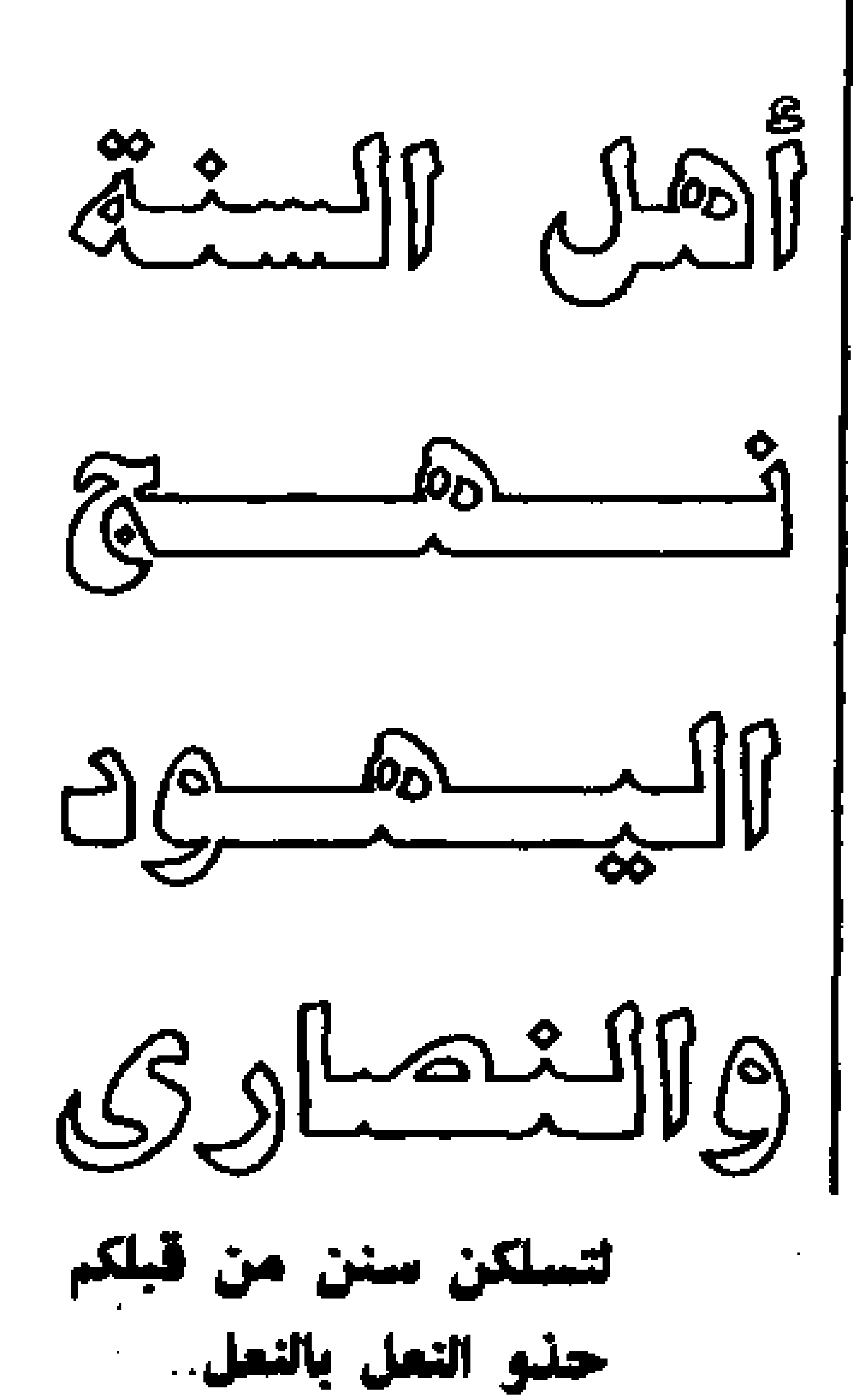
٣١ - المرجع السابق

٣٢- المرجع السابق..

٣٣- فتوى لجنة الفتوى بالسعودية رقم , ٥٢١٣ انظر فتاوى هيئة كبار العلماء الوهابيين..

٣٤- انظر لنا كتاب العقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف..

٣٥- انظر فتاوى هيئة كبار العلماء والكتب الوهابية المعاصرة ..



لتسلكن سنن من قبلكم
حذو النعل بالنعل..

تبين لنا من خلال ما عرضنا من عقائد أهل السنة أن السياسة قد لعبت لعبتها فى صياغة هذه العقائد وأنها قد خطت بدعم الحكام ومساندتهم على مر الزمان وأنها عقيدة تقوم على الروايات وبعيدة كل البعد عن القرآن. ذلك كله يدفع فكرة أهل السنة كونهم أهل الحق والطائفة المنصورة تلك الفكرة التى نادى بها اليهود والنصارى من قبل.

وسوف نبين هنا القضايا المشتركة بين أهل السنة واليهود والنصارى من خلال عدة مفاهيم هى:

- مفهوم الفرقة الناجية..
- مفهوم التعذيب الوقتى..
- مفهوم الرجال..
- صكوك الغفران..

أولا: الفرقة الناجية:

ولدت فكرة الفرقة الناجية من عدة روايات وردت فى كتب السنن تشير جميعا إلى معنى محدد وهو أن الأمم افترقت إلى اثنتين وسبعين فرقة وأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) سوف تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة..

يروى أبو هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة. وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة[١].

وفى رواية كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة..[٢]

وفى رواية هى ما أنا عليه وأصحابى..[٣]

وفى رواية هم السواد الأعظم..[٤]

ويعتقد أهل السنة أنهم يمثلون الجماعة والصحابة والسواد الأعظم فمن ثم هم الفرقة الناجية من النار وجميع الفرق والاتجاهات الأخرى التى ظهرت فى واقع المسلمين كلها فى النار..

يقول ابن المبارك أصول البدع أربعة: الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة..

فقيل لابن المبارك: والجهمية؟

فقال: إن أولئك ليسوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم..(٥)

وقد دون أهل السنة الكثير من الكتب التى تهاجم الفرق والاتجاهات المخالفة ومحاولة حصرها فى عدد (٧٢) ولم تشر هذه الكتب إلى أهل السنة لأنهم خارج دائرة الشبهات حسب تصورهم..(٦)

وليس هناك من سند يدعم موقف أهل السنة فى دعواهم بالنجاة دون الآخرين سوى اعتقادهم بأنهم يمثلون الأغلبية ويلقون العون والدعم من الحكام الذين سلطوا عليهم الأضواء ومنحوهم سلطة محاكمة الآخرين والبطش والتنكيل بهم..(٧)

من هنا نبعث فكرة كونهم الجماعة والسواد الأعظم ولم تنبع من نص شرعى أو برهان قطعى: فأهل السنة فرقة كبقية الفرق الأخرى لا يميزها شيء سوى تحالفها مع الحكام ومساندتهم لها مما أدى بالتبعية إلى انصياع المسلمين لها بتأثير ونفوذ القوى الحاكمة وليس لجاذبية طرحها فالطرح السنى طرح منفر يخدم الحكام ولا يخدم الجماهير..

وبالطبع مادام أهل السنة والحكام زمرة واحدة فلابد أن يدخل الحكام فى دائرة الفرقة الناجية.. ويبدو من روايات الفرقة الناجية أنها ترتبط ما بين اليهود والنصارى وما بين المسلمين وهذه إشارة إلى كون المسلمين سوف ينتهجون نفس النهج وينحرفون نفس الانحراف إلا أن المسألة تكمن فى كون أهل السنة يعتبرون أنفسهم خارج دائرة الانحراف وأن المشابهة لا تشملهم والروايات لا تقصدهم وإنما تقصد الآخرين ممن خالفوهم فهم بهذا يضفون العصمة على منهجهم وعقائدهم وهو نفس ما تعتقده اليهود والنصارى..

يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل

بالنعل ولتأخذن مثل أخذهم أن شبراً فشبر. وأن ذراعاً فذراع. وإن باعاً فباع. حتى لو دخلوا حجر ضب دخلتم فيه..[٨]

وهذه الرواية تكشف لنا بوضوح أن المسلمين سوف يسلكون سبيل اليهود والنصارى والأمم السابقة. وإذا كان أهل السنة يستثنون أنفسهم من مشابهة اليهود والنصارى وسلوك سبيلهم فإن هذا الاستثناء ليس له ما يبرره فعقائدهم وتصوراتهم تدينهم وتدخلهم في دائرة المشابهة..

ولم ينحصر مفهوم النجاة عند أهل السنة في حدود الآخرة بل شمل الدنيا أيضا فكما يدعون أن الرسول بشرهم بالنجاة في الآخرة بشرهم بالنصروالظهور على عدوهم في الدنيا أيضاً ..

يروى المغيرة بن شعبة عن الرسول صلى الله عليه وسلم: لايزال ناس من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون..[٩]

وعن معاوية: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: لايزال من أمتى قائمة بأمر الله. ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك..[١٠]

وقد حددت روايات أخرى أن هذه الطائفة المنصورة تنحصر بالشام.

ويروى عن معاذ قوله: هم بالشام..[١١]

ويروى: إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم. لاتزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة..[١٢]

ويروى: وعقر دار المؤمنين بالشام..[١٣]

ويروى: لاتزال عصابة قوامة هم أهل الشام..[١٤]

ثانيا: التعذيب الوقتى:

تبنى أهل السنة فكرة عدم الخلود فى النار بل إمكانية عدم دخولها من الأصل بالنسبة للمسلمين من اتباعهم وهم فى هذا الاعتقاد يشتركون مع اليهود الذين ذكرهم الله فى كتابه بقوله:

وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات.

وقد حشد أهل السنة الكثير من الروايات التي تدعم هذا الاعتقاد تماما كما فعل الأخبار والرهبان من قبلهم. وجاء ابن تيمية فقال بفناء النار..[١٥]

وكما حمل النصارى المسيح مسئولية تطهير الناس من الذنوب والمعاصي وتقديم نفسه قربانا من أجل التكفير عن الخلق. وضع أهل السنة الرسول في نفس الموضع بتحميله مسئولية تطهير المسلمين من الذنوب والمعاصي وإخراجهم من النار إذا دخلوها وذلك بفكرة الشفاعة..

يروى البخاري عن الرسول صلى الله عليه وسلم: فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها. لا تحضرني الآن - تأمل الرسول ينسي - فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا. فقال: يا محمدا ارفع رأسك وقل يسمع لك. وسل تعط واشفع تشفع. فأقول: يارب أمتي. فيقال: انطلق. فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فانطلق فأفعل..

ثم أعود فأحمده بتلك المحامد. ثم أخر له ساجدا. فيقال يا محمد! ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع. فأقول: يارب أمتي. أمتي. فيقول: انطلق فاخرج منها من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار. فانطلق فأفعل.

ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد. ثم أخر له ساجدا. فيقال: يا محمد! ارفع رأسك. وقل يسمع لك. وسل تعط. واشفع تشفع. فأقول يارب! ائذن لي فيمن قال (لا إله إلا الله) فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال (لا إله إلا الله)..

ويروى أبو داودا عن الرسول صلى الله عليه وسلم: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي..[١٦]

ويروى البخاري: اخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان..

ومذهب أهل السنة أن فساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة. وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة. بل لهم حسنات وسيئات يستحقون بهذا العقاب وبهذا الثواب..[١٧]

وقد تبنى أهل السنة فكرة تمييز الرسول صلى الله عليه وسلم عن بقية الرسل ولا يوجد نص فى القرآن يشير إلى ذلك وإنما هناك كم من الروايات يرفع الرسول فوق جميع الرسل ويجعل له مكانة خاصة مميزة عند الله ومثل هذه الفكرة إنما تواكب فكرة عزير ابن الله والمسيح ابن الله عند اليهود والنصارى فكلاهما عمدا إلى عزيز وعيسى فربطوهما بالله سبحانه فى محاولة لتمييزهما عن الآخرين تماما كما فعل أهل السنة مع رسول الله..

وإذا كان محمد(ص) قد منح الحق فى إنقاذ أمته من النار بعد أن أدخلهم الله فيها فهذا يعنى أن الله سبحانه قد تنازل له عن شيء من سلطانه ونفوذه بل رد قضائه من أجله. وهذه تصورات توراتية وإنجيلية ولا وجود لها فى القرآن.[١٨]

وإذا تصورنا أن الله قد منح محمدا هذا الحق فإننا بهذا ننسب الظلم إلى الله. إذ كيف يحرم أهل الإيمان من الأمم السابقة فرصة النجاة من النار بشفاعة رسلهم..؟

ثالثا: الرجال:

تعتمد عقيدة أهل السنة على الرجال لا على النصوص ويبدو ذلك بوضوح من خلال ما أشرنا سباقا مما يمكن تركيزه فيما يلي:

- اعتقادهم بفكرة عدالة الصحابة..
- اعتقادهم بفكرة الترتيب الرباعي..
- اعتقادهم بصحة كتابي البخارى ومسلم..
- اعتقادهم بصحة نهج السلف..
- تسميتهم العقائد بأسماء الرجال..

ففكرة عدالة الصحابة فكرة دخيلة على الإسلام وهي من صنع السياسة وقد ابتدعت لإضفاء القداسة على قطاع معين لا يحظى بقدر أو مكانة أو دين ممن عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم وساروا فى ركاب الحكام من بعده واخترعوا باسم الرسول عشرات الروايات التى أسهمت فى تشكيل الإسلام الحكومى الذى فرض على الأمة بقوة السيف..

ولقد حالت فكرة العدالة ولازالت تحول دون الخوض فى شتى الانحرافات والمواقف المتناقضة مع الإسلام والتى ارتبطت بعدد كبير من الصحابة بعد وفاة الرسول وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان. فعلى ضوء هذه الفكرة تم تمرير هذه المواقف والانحرافات وتحويلها إلى اجتهادات يثاب عليها فاعلها..

وعلى ضوء هذه الفكرة اعتبرت مواقف وسلوكيات الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان سنة شرعية يجب التمسك بها والعض عليها بالنواجز..[١٩]

وعلى ضوء هذه الفكرة أيضا اعتبرت جرائم معاوية ومن تحالف معه من الصحابة اجتهادات مبررة لأنها صادرة من صحابة عدول وضعهم الله فى مكانة خاصة..[٢٠]

وعلى هذا الأساس بنى الفقهاء قاعدة: عمل الصحابة التى اعتبرت أصلا من أصول الفقه. وبنى علم الجرح والتعديل الذى تعتمد عليه مسألة صحة الرواية المنسوبة للرسول من عدمها - على أساس تجريح سلسلة الرواة والخوض فيهم دون الصحابى حسب قاعدة: من ثبتت صحبته ثبتت عدالته واعتبر أهل السنة الخوض فى الصحابة جريمة منكرة تبرر استحلال دماء من يقول بها أو يدعو إليها وهذه هى عبادة الرجال فى أبهى صورها..

أما فكرة الترتيب الرباعى على أساس أن خير الأمة من بعد الرسول أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على وهم الخلفاء الراشدين المهديون فهى فكرة سياسية الهدف منها فرض خط الخلفاء على الأمة وإضفاء المشروعية عليه ليكون بديلاً عن خط آل البيت بزعامة الإمام على الذى أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم..[٢١]

وقد وضع أهل السنة هذا الترتيب ضمن العقيدة وفرضوا على المسلمين الإيمان به وتخويفهم وإرهابهم من الحيدة عنه فى حين أنه لا يوجد دليل شرعى قاطع على هذا الترتيب الذى هو من اختراع عقول الرجال وتأتى قضية البخارى ومسلم والاعتقاد بصحتهما لتعكس لنا مدى تغلغل نهج اليهود والنصارى فى فكر أهل السنة ومعتقداتهم. فالاعتقاد بصحة أى كتاب بعد كتاب الله فكرة توارتية فى الأصل ونتيجتها فى النهاية أن تتساوى أقوال الرجال بكلام الله سبحانه أو تكون الحكم عليه وهو ما يبدو وضحاً من خلال عقائد أهل السنة التى عرضناها خاصة عقائدهم المتعلقة بأسماء الله وصفاته التى أخضعت لروايات البخارى ومسلم وكتب

السنة الأخرى وأوقعت الأمة فى متاهة التشبيه والتجسيم التى وقع فيها اليهود والنصارى من قبل..

إن أخطر نتائج هذا الاعتقاد هو تعبيد الأمة لروايات منسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتتناقض مع القرآن وقد ذهبت بها كل مذهب وزرعت فى صفوفها الشقاق والفتن وخلقت أنماط من الطواغيت والآلهة على رأسها الحكام عبدها المسلمون بمباركة هذه الروايات وبالتالى دخلت الأمة عصر الظلمات وعبادة الرجال بعيداً عن كتاب الله..

ولقد تغلغلت روايات اليهود والنصارى إلى كتابى البخارى ومسلم كما تغلغلت إلى كتب السنن الأخرى وأصبح المسلمون يتعبدون بهذه الروايات الباطلة.

يروى فى الحديث القدسى: يقول الله تعالى: أعددت لعبادى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر..[٢٢]

وجاء فى كتب النصارى: ولكن كما كتبت: ما لم تره عين ولا سمعت به أذن ولم يخطر على قلب بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه..[٢٣]

وفى رواية أخرى: بل وكما هو مكتوب: ما لم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه..[٢٤]

ويروى فى الحديث القدسى أن الله قال:: يا عبدى مرضت فلم تعدنى..

واستطعمتك فلم تطعمنى..

واستسقيتك فلم تسقنى..[٢٥]

وجاء فى كتب النصارى: لأنى جعت فأطعمتمونى. عرياناً فكسوتمونى. عطشت فسقيتمونى. مريضاً فزرتمونى. كنت غريباً فآويتمونى. محبوساً فأتيتم إلى..[٢٦]

وفكرة الأحاديث القدسية جاءت لتزيد الطين بلة. فلم يكتف فقهاء أهل السنة بالروايات المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم والتى أطلق عليها الأحاديث النبوية وإنما جاءوا فوقها بروايات منسوبة إلى الله سبحانه وأطلقوا عليها الأحاديث القدسية التى يعرفونها بأنها كلام الله بلسان محمد صلى الله عليه وسلم. أما الحديث النبوى فهو كلام الرسول. وكأنهم بهذا يقولون ان كلام الرسول من عند

نفسه وهو ما يؤكد عقديتهم فى الرسول ان له شخصيتان: شخصية نبوية معصومة. وشخصية دينوية غير معصومة..

الشخصية الأولى تنطق بالقران..

والشخصية الثانية تنطق بلسانه..

غير أن فكرة الأحاديث القدسية تضيف إلى الرسول شخصية ثالثة تنطق بكلام الله غير القران. وهو كلام لا يجوز التعبد به أو تلاوته كما يتلى القران. فمن ثم فإن مرتبته أقل من مرتبة القرآن حسبما يعرفونه..(٢٧)

ومثل هذه الرؤية تفتح مجالاً للشك إما فى القران أو فى هذه الأحاديث..؟

وبالطبع فإن الشك يتجه إلى هذه الروايات إذ لا يمكن مساواتها بالقران فهى لا ترقى إلى مستوى لغته وبلاغته ولا يصح أن تدخل دائرة الإعجاز اللغوى..

ومن جهة أخرى لا يصح أن يتكلم الرسول بلغتين فى آن واحد: لغة القرآن ولغة الأحاديث القدسية فيما يتعلق بكلام الله سبحانه..

وإذا كانت هناك الكثير من الشكوك التى تحوم حول الأحاديث النبوية ومدى صحتها ونسبتها الى الرسول فكيف الحال بالاحاديث القدسية التى تنسب الى الله سبحانه..

ولم تقتصر مسألة إضفاء القداسة على الصحابة فقط بل امتدت لتشمل التابعين وتابعى التابعين الذين أطلق عليهم أهل السنة تعريف (السلف الصالح) وهم أهل القرون الثلاثة الأولى. وقد نبعت هذه الرؤية من خلال رواية تقول على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم: خير القرون قرنى ثم الذى يليه ثم الذى يليه..(٢٨)

ولقد ارتبطت فكرة قداسة الصحابة بقداسة التابعين وتابعيهم عند أهل السنة فكل طائفة تستمد قداستها من الطائفة الأخرى. فالتشكيك فى التابعين يؤدى إلى التشكيك فى الصحابة والتشكيك فى الصحابة نتيجته التشكيك فى التابعين. فمن ثم فإن فقهاء السنة أرهبوا المسلمين بشتى الفتاوى التى تحرم عليهم الخوض فى السلف أو الخروج عن نهجهم ذلك لكون التابعين هم الذين نقلوا الروايات التى اعتمد عليها أهل السنة فى تأسيس عقائدهم فالتشكيك فيهم يعنى هدم عقيدة أهل السنة..

إن عقائد أهل السنة إنما تعتمد بالكلية على الصحابة والتابعين وتابعى التابعين

(الرجال) أكثر من اعتمادها على النصوص. وقد أسهم هؤلاء فى إرساء دعائم الإسلام الحكومى ومباركة حكامه والعبث بنصوص القرآن واختراع الروايات التى تضلل المسلمين وتحرم ما أحل الله وتحل ما حرمه وبالتالى انطبق على هؤلاء ومن سار فى ركابهم قوله تعالى:

(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله..)[٢٩]

ويظهر بوضوح أن أهل السنة حصروا مصدر التلقى فى دائرة أشخاص بعينهم من الصحابة والتابعين مثل عائشة من دون بقية أزواج النبى صلى الله عليه وسلم. وأبو هريرة وابن عمر من دون بقية الصحابة..[٣٠]

وعلى مستوى التابعين وتابعيهم اقتدوا بمن بارك الوضع القائم وسار فى ركاب معاوية وبنى أمية مثل الزهرى الذى قام بأول حركة لجمع الروايات بمعونة عبد الملك بن مروان والأوزاعى ومالك وسفيان الثورى.

وتجنب أهل السنة الصحابة الذين ساروا فى ركاب الإمام على مثل أبو ذر وعمار وحذيفة والحسن والحسين وسلمان وفاطمة وأم سلمة وغيرهم. كما تجنبوا الذين ساروا فى ركابهم من التابعين..

ومثلما أطلق النصارى على الإنجيل أسماء الرجال فقالوا: انجيل متى وانجيل مرقس وانجيل يوحنا وانجيل بولس وانجيل برنابا. أطلق أهل السنة على العقيدة أسماء الرجال فقالوا:

العقيدة الطحاوية نسبة إلى الطحاوى..

والعقيدة النسفية نسبة إلى النسفى..

والعقيدة الأشعرية نسبة إلى الأشعرى..

والعقيدة الأصفهانية نسبة إلى الأصفهانى ..[٣١]

حتى أنهم نسبوا العقائد إلى البلاد فقالوا:

العقيدة الواسطية نسبة إلى واسط بالعراق..

والعقيدة الحموية نسبة إلى حماه بسوريا..

والعقيدة التدمرية نسبة الى تدمر بسوريا..

والعقيدة النونية نسبة إلى حرف النون الذى تنتهى إليه أبياتها..

ومثلما أنشأ اليهود والنصارى طبقة من الأحبار والرهبان كانوا بمثابة الطبقة الكهنوتيه المحتكرة لشئون الدين المانحة للناس الغفران والبركة المتحصنة بالحكام المضفية القداسة عليهم. أنشأ أهل السنة طبقة خاصة بهم بدعم الحكام احتكرت شئون الدين وتركت الحكام يفسدون فى الأرض بينما قامت هى بتحدير الجماهير بروايات منسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم تبشرهم بالجنة وتصبرهم على الفساد وتبرر الانحراف وتجمل الظلم وتضفى القداسة على الحكام..

اشترك أهل السنة مع اليهود والنصارى فى فكرة الكهنوتية والتى نتج عنها:

- تحذير الجماهير..
- صكوك الغفران..
- تأصيل فكرة الحكم الإلهى..
- احتكار الدين..

رابعا: صكوك الغفران:

تبنى أهل السنة الكثير من الروايات والتأويلات والتبريرات التى هى بمثابة صكوك غفران أمكن من خلالها انقاذ الحكام والمنافقين والمفسدين وسائر المنحرفين من الدخول فى دائرة الكفر وإدخالهم فى دائرة الإيمان مع جزيل الثواب وضمان الغفران..

وأول الروايات التى تعد من صكوك الغفران رواية تقول: لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم..[٣٢]

وقد جاء هذا القول بماسبة حادثة وقعت وقت فتح مكة حين أرسل حاطب بن أبى بلتعة كتاباً إلى مشركى مكة يخبرهم بتوجه الرسول لغزوهم وهم عمربن الخطاب بقتله فمنعه الرسول لانه قد شهد بدراً. فحضور حاطب غزوة بدر برر خيانته للمسلمين وفتح له الباب ولسواه ممن شهد بدر أن يرتكب من الجرائم والنكرات ما شاء فى حصانة بدر..

ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة..[٣٣]

ويروى أن رجلا قال : إذا أنامت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليم. فوالله لئن قدر الله على ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين.. ففعلوا به ذلك. فقال لله له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك. فغفر له..[٣٣]

وحتى هذا الرجل الذى شك فى قدرة الله سبحانه وفى إعادته وبعثه وهو الكفر بعينه. غفر له كفره وعفى من العقاب..

وتبدو قضية التأويل بوضوح فى مواجهة الروايات المتعلقة بالإمامة والتى حولها أهل السنة إلى صكوك غفران للحكام تفرض طاعة المسلمين لهم وتتغاضى عن جرائمهم ومنكراتهم في حق الدين والأمة كما تبدو فى مواجهة الروايات المتعلقة بآل البيت والإمام على والتي حرفها أهل السنة عن معناها ليطمئنوا الجانب الآخر من الصحابة والتابعين والحكام الذين انشقوا على الإمام على وآل البيت وناصبوهم العداء..[٣٤]

وتبدو صكوك الغفران واضحة فى تلك الكم الهائل من تبريرات أهل السنة لانحرافات الصحابة من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم: تلك التبريرات التى نتج عنها التغطية على هذه الانحرافات وإضفاء المشروعية عليها بل وإثابة فاعلها..[٣٥]

وقد اخترع أهل السنة صك الاجتهاد خصيصا لانقاذ معاوية وضمه لدائرة الحق واستحقاقه للثواب والغفران بأن جعلوه فى حربه لعلى وخروجه عليه ورفعه للمصاحف على أسنة الرماح بعد أن حاقت به الهزيمة على يد جنود الإمام على فى صفين - مجتهداً مخطئاً. سيراً مع رواية تقول: إذا اجتهد المجتهد وأصاب فله اجران. وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد..[٣٦]

ومن الواضح أن الرواية.. على فرض التسليم بها - لا صلة لها بالصراع العسكرى أو قضايا الحكم والسياسة وإنما هى رواية تتعلق بأهل الفتوى والاجتهاد..

ومما سبق استحق أهل السنة أن يلقبوا بشعب الله المختار تماما كما تلقب به اليهود من قبل. ونتج عن هذا التصور أن منيت الأمة بنكسات فكرية وسياسية أدت إلى الفرقة والشتات بين أبناء الملة الواحدة. كما أدت إلى

تأصيل الاستبداد وتقوية شوكة الحكام وعزل الدين عن الواقع وتشويه صورة الإسلام واعتباره نسخة من الأديان السابقة التى كانت أداة تخدير لا أداة بعث ونهوض وتقدم..

لقد ادى احتكار الدين من قبل أهل السنة طوال فترة التاريخ الإسلامى إلى القضاء على الرأى الآخر وتصفية الاتجاهات الإسلامية المعارضة وبالتالى حرمان الأمة من حقها فى الاختيار والانتفاع بنتاجات هذه الاتجاهات التى كان من الممكن أن تسهم فى ثراء الفكر الإسلامى والقضاء على نزعة العنف والتصعب وليدة الفكر السنى الآحادى..

إن التأمل فى واقع التيارات الإسلامية المعاصرة وتصوراتها ومواقفها يكشف لنا مدى انعكاس هذا الفكر على جميع ممارسات وصور العنف التى ارتبطت بها..[٣٧]

وإن التأمل فى طرح الشيعة أو المعتزلة يكشف لنا مدى الخسارة الكبيرة التى منيت بها الأمة بسبب حرمانها من هذا الطرح وعزل المسلمين عنه..

- هوامش

١ - انظر أبو داود والترمذى وابن ماجة والحاكم ومسند أحمد..

٢ - أبو داود عن معاوية بن أبى سفيان..

٣ - الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص..

٤ - الطبران والبيهقى..

٥ - انظر فتاوى ابن تيمية حـ٣/٥٣ والاعتصام للشاطبى حـ٢/٢٢ ..

٦ - من هذه الكتب: الفرق بين الفرق للبغدادى. والملل والنحل للشهرستانى. وتلبيس إبليس لابن الجوزى والفصل فى الملل والنحل لابن حزم. ومقالات الإسلاميين للأشعرى.

٧ - انظر لنا كتاب جريمة الرأى فى تاريخ المسلمين..

٨ - انظر مستدرك الحاكم..

٩ - انظر البخارى..

١٠ - المرجع السابق.

١١ - المرجع السابق..

١٢ - انظر الترمذى..

١٣ - انظر النسائى..

١٤ - البخارى.. انظر مسلم ومسند احمد والدرامى.. ومثل هذه الروايات إنما تفوح منها رائحة السياسة فهى من صناعة حزب معاوية ولإضفاء المشروعية على نهجه. انظر كتاب السيف والسياسة. وكتاب: أحاديث نبوية اخترعتها السياسة..

١٥ - انظر المواعظ والاعتبار ببقاء الجنة والنار للسبكى وهو رد على ابن تيمية وانظر لنا عقائد السنة وعقائد الشيعة.

١٦ - هذه الرواية اخترعت من أجل الحكام إذ أن الكبائر فى الأصل ترتبط بهم لا بالمسلمين. انظر لنا أحاديث نبوية اخترعتها السياسة..

١٧ ـ انظر مختارات من أحكام العصاة. ملحق مجلة الأزهر عدد ربيع الأول ١٤٠٨ وانظر نصوص العقائد في ملاحق الكتاب..

١٨ ـ هناك عدة نصوص تشير إلى الشفاعة في القرآن ولكنها بيد الله سبحانه وبإذنه وليس للرسول صلى الله عليه وسلم دور فيها..

(١٩) هذا الاعتقاد نابع من حديث منسوب للرسول يقول عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشيدين وقد طبقها أهل السنة على الخلفاء غير أنهم تجنبوا سنة علي والاقتداء به عموما سيراً مع نهج الحكام بداية من معاوية. أولئك الحكام الذين خاصموا نهجه وبطشوا بابناءه واتباعه من بعده.

(٢٠) انظر كلام ابن تيمية عن الصحابة في العقيدة الواسطية.

(٢١) انظر لنا هذا الأمر بتوسع في كتابنا السيف والسياسة. وقضية الوصية هي جوهر الخلاف بين السنة والشيعة..

٢٢ ـ رواه أبو هريرة. انظر البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه..

٢٣ ـ انظر رسالة العهد الجديد رسالة كور نثوس الأولى: ٩/ الاصحاح الثاني وانظر سفر أشعيا..

٢٤ ـ انظر الترجمة العربية للبروتستنات..

٢٥ ـ رواه مسلم عن أبي هريرة..

٢٦ ـ انظر انجيل متى: ٤٦/٣١ الاصحاح ٢٥..

٢٧ ـ انظر كتب الأحاديث القدسية..

٢٨ ـ رواه البخاري..

٢٩ ـ سورة التوبة..

٣٠ ـ انظر السيف والسيارة والخدعة..

٣١ ـ الاصفهاني هو محمد بن محمود بن عبدالكافي الاصفهاني ولد عام ٦١٦ هـ وتوفي عام ٦٨٨ هـ انظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ط القاهرة

٣٢ ـ البخاري ومسلم وانظر فصل عقيدتهم في الحكام.

٣٣ - المرجعين السابقين..

٣٤ - المرجعين السابقين..

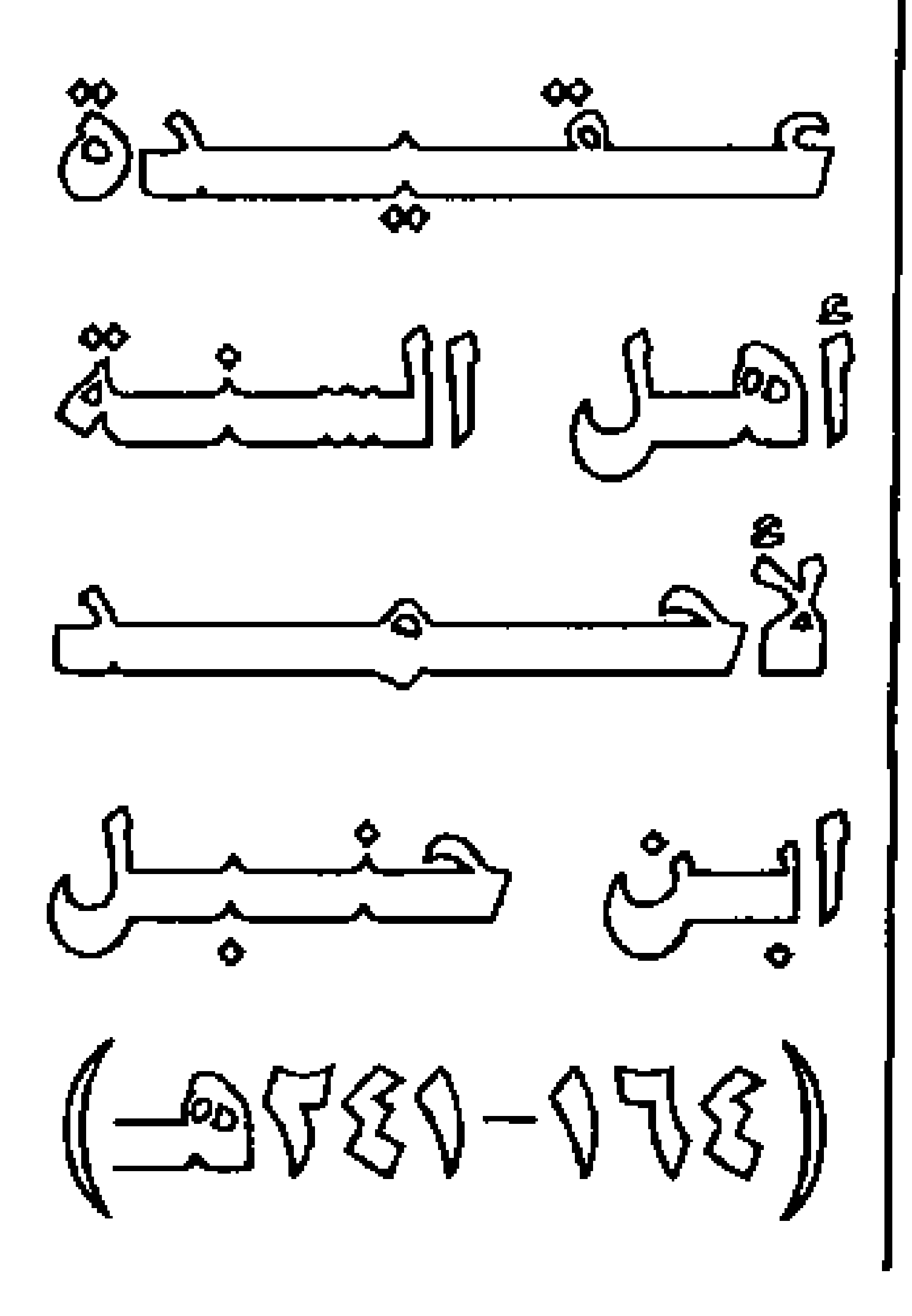
٣٥ - انظر فصل ركائز عقيدة أهل السنة. وانظر العواصم من القواصم. وانظر كتابنا الخدعة فصل التأويل والتبرير.

٣٦ - انظر المراجع السابقة..

٣٧ - انظر المراجع السابقة وكتب التاريخ فترة صفين..

٣٨ - انظر كتابنا جريمة الرأى فى تاريخ المسلمين. وكتابنا الحركة الإسلامية فى مصر..


ملاحق الكتاب


عقيدة
أهل السنة
لأحمد
ابن حنبل
(١٦٤-٢٤١هـ)

هذه مذاهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة، المتمسكين بعروتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب النبي صل يالله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا - وأدركت من أدركت - من علماء الحجاز والشام وغيرهما - عليها. فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها. أو عاب قائلها، فهو مخالف الحق.

فكان قولهم:

إن الإيمان قول وعمل ونية. وتمسك بالنسة، والإيمان يزيد وينقص ويستثنى في الإيمان من غير أن يكون أشك. إنما هو سنة ماضية عن العلماء..

فإذا سئل الرجل: مؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، ومؤمن أرجو، أو يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله..

ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل، فهو مرجيء.

ومن زعم أن الإيمان هو القول، والأعمال فشرائع: فهو مرجيء.

ومن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص: فقد قال يقول المرجئة.

ومن أنكر الاستثناء في الإيمان: فهو مرجيء.. ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو جهمي.

والقدر خيره وشره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، حلوه ومره، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره.

والله عز وجل قضى قضاءه على عباده، لا يجاوزون قضاءه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليهم لا محالة، وهو عدل منه عز وجل.

والزنا والسرقة، وشرب الخمر، وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك بالله عز وجل الحجة البالغة عى خلقه، لا يسأل عما يفعل. وهم يسألون.

وعلم الله عز وجل ماضٍ في خلقه بمشيئة منه، قد علم من إبليس ومن غيره ممن

عصاه - من لدن عصاة إبليس إلى أن تقوم الساعة - المعصية. وخلقهم لها - وعلم الطاعة من أهل الطاعة، وخلقهم لها، فكل يعمل بما خلق له، وصائر إلى ما قضى الله عليه منه، لم يَعْدُ أحد منهم قدر الله عز وجل ومشيئته، والله الفعال لما يريد.

ومن زعم أن الله عز وجل شاء لعباده الذين عصوا الخير والطاعة، وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية، ويعلمون على مشيئتهم، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله عز وجل. فأيُّ افتراء على الله أكبر من هذا؟ ومن زعم أن الزنا ليس بقدر، قيل له: أرأيت هذه المرأة حملت بزنا وجاءت بولد، هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد؟ وهل مضى هذا في سابق علمه؟ فإن قال: لا، فقد زعم أن مع الله تعالى خالقاً. وهذا هو الشرك صريحاً.

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر، وأكل المال الحرام: ليس بقضاء فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره، وهذا يضارع قول المجوسية، بل كلٌ رَزَقَه الله. وقضى الله عز وجل أن يأكله من الوجه الذى أكله.

ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله عز وجل: فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله، وأى كفر أوضح من هذا؟ بل كان ذلك بقضاء الله عرز وجل وقدره، وكل ذلك بمشيئته في خلقه، وتدبيره فيهم، وما جرى من سابق علمه فيهم، وهو العدل الحق الذى يفعل ما يريد.

ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة.

ولا نشهد على أحد من أهل القبلة: أنه فى النار لذنب عمله، ولا بكبيرة أتاها، إلا أن يكون فى ذلك حديث، فنروى الحديث كما جاء على ما روى. نصدق به، ونعلم أنه كما جاء، ولا تنْقُص الشهادة.

والخلافة فى قريش ما بقى من الناس اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا يخرج عليهم، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة.

والجهاد ماضٍ، قائم مع الإمام، براً أو فاجراً ولا يُبطله جور جائر ولا عدل عادل.

والجمعة والحج والعيدان: مع الأئمة، وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء.

ودفع الصدقات والأعشار والخروج والفيء، والغنائم: إلى الأمراء، عدلوا فيها أو

جاروا، والإنقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم لا تنزع يداً من طاعته. ولا تخرج عليه بسيفك. يجعل الله فرجاً ومخرجاً، ولا تخرج على السلطان بل تسمع وتطيع، فإن أمرك السلطان بأمر ـ هو لله عز وجل معصية ـ فليس لك أن تطيعه. وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقه، ولا تعن على فتنة بيد ولا لسان، بل كفف يدك ولسانك، وهواك، والله عز وجل المعين.

والكف عن أهل القبلة، ولا تكفر أحداً منهم بذنب: ولا نخرجهم عن الإسلام بعمل، إلا أن يكون في ذلك حديث فيروى كما جاء، وكما روى، ونصدقه ونقبله، ونعلم أنه كما روى نحو: ترك الصلاة وشرب الخمر، وما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة يُنسب صاحبها إلى الكفر والخروج عن الإسلام.

فاتبع الأثر في ذلك ولا تجاوزه..

ولا أحب الصلاة خلف أهل البدع، ولا الصلاة على من مات منهم.

والأعور الدجال خارج لا شك في ذلك ولا ارتياب، وهو أكذب الكذابين. وعذاب القبر حق، يُسأل العبد عن دينه، وعن ربه؟ ويرى مقعده من النار والجنة، ومنكر ونكير حق، وهما فتانا القبور، نسأل الله عز وجل الثبات..

وحوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم حق ترده أمته، وله آنية يشربون بها منه، والصراط حق

يوضع على شفير جهنم، ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذكل، نسأل الله عز وجل السلامة في الجواز.

والميزان حق، وتوزن به الحسنات والسيئات، كما يشاء أن توزن.

والصور حق، ينَفْخ فيه إسرافيل عليه السلام فيموت الخلق، ث ينفخ فيه أخرى فيقمون لرب العالمين عز وجل للحساب والقصاص، والثواب والعقاب، والجنة والنار واللوح المحفوظ حق، تُستنسخ منه أعمال العباد مما سبقت فيه من المقادير والقضاء.

والشفاعة حق يوم القيامة، يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار، ويخرج قوم من النار بعد ما دخلوها بشفاعة الشافعين، ويخرج قوم من النار برحمة الله عز

وجل بعد ما لبثوا فيها ما شاء عز وجل. وقول يخلدون فيها أبداً وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود، والكفر بالله عز وجل.

ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار.

وقد خلقت النار وما فيها، خلقهما الله عز وجل، ثم خلق الخلق لهما، لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً.

فإن احتج مبتدع بقوله (٢٨: ٨٨ كل شيء هالك إلا وجهه) ونحو هذا من متشابه القرآن..

قيل له: كل شيء مما كتب الله عز وجل عليه الفناء والهلاك، والجنة والنار خلقهما الله عز وجل للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا.

والحور العين: لا يمتن عند قيام الساعة، لا للفناء، ولم يكتب عليهن الفناء ولا الموت، فمن قال خلاف ذلك: فهو مبتدع.

وخلق الله سبع سموات، بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضهما أسفل بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء السابعة وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق الماء، والله عز وجل على العرش، وهو يعلم ما في السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثّرى، وما في قعر البحار ومنبت كل شعرة، وكل شجرة، وكل زرعة نبت، ومسقط كل ورقة، وعدد ذلك، وعدد الحصا والرمل والتراب ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم، وأنفاسهم، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو على العرش، فوق السماء السابعة، وعنده حجب من نار ونور وظلمة وماء، وهو أعلم بها.

فإن احتج مبتدع أو مخالف بقوله تعالى (٥٠ : ١٦ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) أو بقوله عز وجل (٥٧ : ٤ وهو معكم إينما كنتم) أو بقوله تعالى (٥٨ : ٧ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) ونحو هذا من متشابه القرآن.

قيل: إنما يعني بذلك العلم، لأن الله تبارك وتعالى على العرش فوق السماء السابعة العليا، يلعم ذلك كله، وهو تعالى بائن من خلقه، لا يخلو من علمه مكان،

والله تعالى على العرش، وللعرش حملة يحملونه، والله عز وجل على عرشه.

والله تعالى سميع لا يشك، بصير، لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، يقظان لا يسهو، قريب لا يغفل، يتكلم ويسمع وينظر، ويبصر ويضحك، ويفرح ويحب، ويكره ويبغض ويرضى ويغضب ويسخط ويرحم ويعفو، ويعطي ويمنع، وينزل تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء (٤٢ : ١١ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرب عز وجل. يقلها كيف يشاء، ويوعيها ما أراد.

وخلق الله عز وجل ادم عليه السلام بيده، والسموات والأرض يوم القيامة في كفه، ويخرج قوماً من النار بيده، وينظر أهل الجنة إلى وجهه. ويرونه

فيكرمهم ويتجلى لهم فيعطيهم، ويعرض عليه العباد يوم الفصل والدين، ويتولى حسابهم بنفسه، لا يولي ذلك غيره عز وجل. والقران كلام الله، ليس بمخلوق، فمن زعم أن القران مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القران كلام الله عز وجل ووقف، ولم يقل: مخلوق ولا غير مخلوق: فهو أخبث من الأول، ومن زعم أن ألفاظنا بالقران وتلاوتنا له مخلوقة، والقران كلام الله: فهو جهمي. ومن لم يكفر هؤلاء القوم كلهم فهو مثلهم.

وكلم الله موسى تكليماً، ومن الله سمع موسى يقيناً وناوله التوراة من يده، ولم يزل الله متكلماً عالماً، تبارك الله أحسن الخالقين.

والرؤيا من الله عز وجل حق، إذا رأى صاحبها شيئاً في منامه يقصها على عالم، وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحياً.

ومن السنة: ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كلهم أجمعين. والكف عن الذي شجر بينهم، فمن سَبَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو واحداً منهم، فهو مبتدع رافض، حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة.

وخير هذه الأمة - بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم - أبو بكر وخيرهم - بعد أبي بكر - عمر. وخيرهم - بعد عمر - عثمان، وخيرهم - بعد عثمان - علي. رضوان الله

عليهم، خلفاء راشدون مهديون. ثم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد هؤلاء الأربعة، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ثم يستتيبه، فإن تاب قُبِل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة، وجلده في المجلس حتى يتوب، ويراجع.

ونعرف للعرب حقها وفضلها. وسابقتها، وتحبهم بمحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «سب العبر نفاق، وبغضهم نفاق».

ومن حرم المكاسب والتجارة وطلب الرزق من وجهه:

فقد جهل وأخطأ وخالف، بل المكاسب من وجهها حلال، قد أحلها الله عز وجل ورسوله، ينبغي له أن يستعين على نفسه وعياله من فضل ربه تبارك وتعالى، فإن كان لا يرى الكسب فهو مخالف.

وكل واحد أحب بماله: الذي ورثه، أو استفاده، أو أصابه، أو كسبه، لا كما يقول المتكلفون المخالفون، وأصحاب البدع والمرجئة، وهم الذين يزعمون: أن الإيمان مجرد النطق باللسان، وأن الناس لا يتفاضلون في الإيمان.

وأن إيمانهم وإيمان الملائكة والأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - واحد، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن الإيمان ليس فيه استثناء، وأن من آمن بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن حقاً.

هذا كله قول المرجئة. وهو أخبث الأقاويل..

و«القدرية» فهم الذين يزعمون:

أن الإستطاعة والمشيئة والقدرة لهم، وأنهم يملكون لأنفسهم الخير والشر، والضر والنفع، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة بدءاً، من غير أن يكون قد سبق لهم ذلك من الله عز وجل، أو في علم الله عز وجل، وقولهم يضارع قول المجوسية والنصرانية.

و«المعتزلة» الذين يقولون قول القدرية، ويُكذِّبون بعذاب القبر والحوض، ولا يرون الصلاة خلف أحد من أهل القبلة والجمعة، إلا من كان على هواهم، ويزعمون أن

أعمال العباد ليست في اللوح المحفوظ.

و«النصيرية» وهم قدرية، وهم أصحاب الحبة والقيراط والدانق، يزعمون أن من أخذ حبة أو دانقاً أو قيراطاً حراماً فهو كافر، وقولهم يضاهيء قول الخوارج.

و«الجهمية» وهم أعداء الله، فهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله عز وجل لم يكلم موسى، وأن الله عز وجل لم يتكلم، وأنه عز وجل لا يُرى، ويقولون: ليس لله عز وجل عرش ولا كرسي، وكلاماً كثيراً، زكره حكايته وهم كفار.

و«الواقفية» وهم الذين يزعمون أن القرآن كلام الله عز وجل، ولا يقولون غير مخلوق، وهم شر الأصناف وأخبثها.

و«اللفظية وهم الذين يزعمون أن القرآن كلام الله عز وجل، ولكن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، وهم جهنمية.

و«الرافضة» وهم الذين يتبرؤن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويسبونهم. ويكفرون الأئمة الأربعة - أبا بكر وعمر وعثمان وعليا - وعماراً أيضاً، والمقداد وسلمان رضي الله عنهم.

و«المنصورية» وهم رافضة، أخبث الروافض، وهم الذين يقولون: أخطأ جبريل بالرسالة.

و«السبئية» وهم رافضة قريب ممن ذكرت.

وصنف منهم يقولون: عليّ في السحاب. وعليّ يبعث قبل يوم القيامة.

و«الرشدية» وهم الذين يترؤن من عثمان وطلحة والزبير، وعائشة رضوان الله عليهم، ويرون القتال مع كل خارج من ولد رضي الله عنه.

و«الخشبية» وهم الذين يقولون الزيدية والشيعة.

وأما «الخوارج» فمرقوا من الدين وفارقوا الملة، وشذوا عن الإسلام، وسلوا السيف على الأمة، واستحلوا دماءهم، وكفروا من خالفهم، إلا من قال بقولهم، وثبت معهم في دار ضلالتهم، ولا يؤمنون بعذاب القبر.

ولا يرون الحوض والشفاعة، ولا خروج أحد من النار، ويقولون: من كذب كذبة، أ

أتي صغيرة، أو كبيرة من الذنوب، ثم مات عليها، فهو في النار خالداً مخلداً أبداً، وهم يقولون بقول النصيرية في الحبة والقيراط.

وهم قدرية مرجئة جهمية رافضة، لا يرون الجماعة إلا خلف إمامهم، وهم يرون تأخير الصلاة عن وقتها، ويرون الصوم قبل رؤية الهلال، والفطر قبل رؤيته، وهم يرون النكاح من غير ولي ولا سلطان، ويرون المتعة، ويرون الدرهم بالدرهمين يداً بيد حلالا، ولا يرون الصلاة في الخفاف، ولا يرون المسح عليها، ولا يرون لقريش خلافة، ولا لهم في الإسلام شيء.

ومن أسماء الخوارج «الحرورية»، وهم أهل حروراء : «الأزارقة».. وهم أصحاب نافع بن الأزرق.

و«النجدية».. وهم أصحاب نجدة بن عامر.

و«الإباضية».. وهم أصحاب عبد الله بن إباض.

و«الغرية».. وهم أصحاب داود بن النعمان.

و«الخرمية».. والمشبهة: وهم خارجون عن الملة.

وأصحاب الرأى وهم مبتدعة ضلال، أعداء السنة والأثر، يبطلون الحدى.

وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة، يسمون بها أهل السنة يريدون بذلك الطعن عليهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال.

فأما المرجئة: فيسمون أهل السنة «شكاكا»..

وأما القردية: فيسمون أهل السنة «مجبرة»..

وأما الرافضة: فيسمون أهل السنة «ناصبة»..

وأما الخوارج» فيسمون أهل السنة «نابتة وحشية»..

رحم الله عبداً قال الحق واتبع الأثر وتمسك بالسنة...

قال القاضي ابو الحسين محمد، بن القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، المتوفى سنة ٢٦٥ في طبقات الحنابلة في ترجمة مسدد بن مسرهد بن مسربل أنبأنا على بن اليسرى عن ابن بطة حداثني على بن أحمد المقرى المراغي - بالمراغة حدثنا

محمد بن جعفر بن محمد السونديني حدثنا علي بن محمد بن موسى الحافظ ـ المعروف بابن المعدل ـ حدثنا أحمد بن محمد التميمي الزرندي قال:

لما أشكل على مسدد بن مسرهد بن مسربل أمر الفتنة، وما وقع الناس فيه الاختلاف في القدر، والرفض. والإعتزال، وخلق القرآن، والإرجاء: كتب إلى أحمد بن حنبل: أكتب إليّ بسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فلما ورد كتابه على أحمد بن محمد: بكى، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. يزعم هذا البصري: أنه قد أنفق على العلم مالاً عظيماً، وهو لا يهتدي إلى نسة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ثم كتب إليه:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، وينهونه عن الردى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أهل الجهالة والردى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه. فما أحسن آثارهم على الناس وما أقبح آثار الناس عليهم. ينفون عن دين الله عز وجل تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الضالين: الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عنان الفتنة يقولون على الله، وفي الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ وفي كتابه: بغير علم. فنعوذ بالله من كل فتنة مضلة. وصلى الله على محمد.

أما بعد، وفقنا الله وإياكم لما فيه طاعته، وجنبنا وإياكم ما فيه سخطه، واستعملنا وإياكم في عمل العارفين به أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم، ولزوم السنة، فقد علمتم ما حل بمن خالفها، وما جاء فيمن اتبعها.

بلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إن الله عز وجل ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها».

فآمركم أن لا تؤثروا على القرآن شيئاً. فإنه كلام الله عز وجل، وما تكلم الله به فليس بمخلوق. وما أخبر به عن القرون الماضية فغير مخلوق، وما في اللوح المحفوظ وما في المصاحف، وتلاوة الناس، وكيفما قرئ، وكيفما يوصف: فهو كلام

الله غير مخلوق.. فمن قال: مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ومن لم يكفره فهو كافر.

ثم من بعد كتاب الله: سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والتصديق بما جاءت به الرسل، واتباع سنة النجاة، وهي التي نقلها أهل العلم كابراً عن كابر..

واحذروا رأي جهم فإنه صاحب رأي وكلام وخصومات، فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم: أن الجهمية افترقت ثلاث فرق:

فقالت طائفة منهم: القرآن كلام الله مخلوق. وقالت طائفة: القرآن كلام الله وسكتت. وهي الواقفة الملعونة، وقال بعضهم: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة.

فكل هؤلاء جهمية كفار، يستتابون. فإن تابوا وإلا قتلوا.

وأجمع من أدركنا من أهل العلم: أن من هذه مقالته - إن لم يتب - لم يناكح، ولا يجوز قضاؤه، ولا تؤكل ذبيحته.

والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، زيادته: إذا زحسنت. ونقصانه: إذا أساءت. ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام شيء إلا الشرك بالله العظيم، أو برد فريضة من فرائض الله عز وجل جاحداً لها. فإن تركها كسلا زو تهاوناً كان في مشيئة الله، إن شاء عذبه. وإن شاء عفا عنه.

وأما المعتزلة الملعونة: فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم: أنهم يُكفرون بالذنب، ومن كان منهم كذلك فقد زعم أن آدم كان كافراً، وأن إخوة يوسف - حين كذبوا أباهم يعقوب - كانوا كفاراً.

وأجمعت المعتزلة: أن من سرق حبة: فهو كافر، تبين منه امرأته، ويستأنف الحج إن كان حج.

فهؤلاء الذين يقولون بهذه المقالة كفار، لا يناكحون، ولا تقبل شهادتهم، وأما الرافضة: فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم: أنهم قالوا: إن عليّ بن أبي طالب أفضل من أبي بكر الصديق وإن إسلام علي كان أقدم من إسلام أبي بكر.

فمن زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر فقد رد الكتاب السنة، لقول الله عز وجل (٤٨ : ٤٩ محمد رسول الله والذين معه) فقدم الله أبا بكر بعد النبي

صلى الله عليه وآله وسلم، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لو كنت متخذاً خليلاً، ولا نبي بعدي» فمن زعم أن إسلام علي أقدم من إسلام أبي بكر.. فقد كذب، لأن أول من أسلم: عبد الله بن عثمان عتيق، أبو كبر بن أبي قحافة، وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة، وعلي ابن سبع سنين، لم تجر عليه الأحكام والفرائض والحدود.

ونؤمن بالقضاء والقدر، خيره وشره، وحلوه ومره، وأن الله خلق الجنة قبل الخلق، وخلق لها أهلا، ونعيمها دائم، ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر، وخلق النار قبل خلق الخلق، وخلق لها أهلا، وعذابها دائم.

وأن أهل الجنة يرون ربهم لا محالة. وأن يُخرج أقواماً من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وزن الله كلم موسى تكليماً، واتخذ إبراهيم خليلاً، والصراط حق، والميزان حق. والأنبياء حق. وعيسى ابن مريم رسول الله وكلمته، والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان بمنكر ونكير وعذاب القبر، والإيمان بملك الموت، يقبض الأرواح، ثم ترد في الأجساد في القبور، فيسألون عن الإيمان والتوحيد، والإيمان بالنفخ في الصور، والصور قَرْنٌ ينفخ فيه إسرافيل، وأن القبر الذي بالمدينة: قبر رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم، معه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن.

والدجال خارج في هذه الأمة لا محالة، وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله بباب لدّ.

وما أنكرت العلماء من الشبهة فهو منكر، واحذروا البدع كلها.

ولا عين نظرت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيراً من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا عين نظرت بعد أبي بكر خيراً من عمر، ولا عين نظرت بعد عمر خيراً من عثمان ولا عين نظرت بعد عثمان بن عفان خيراً من علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

قال أحمد: هم والله الخلفاء الراشدون المهديون.

وأن نشهد للعشرة بالجنة، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير

وسعد، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف الزهري، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ومن شهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم له الجنة: شهدنا له بالجنة.

ورفع اليدين في الصلاة زيادة في السحنات، والجهر بآمين عند قول الإمام: (ولا الضالين) والصلاة على من مات من أهل هذه القبلة وحسابهم على الله عز وجل.

والكف عن مساوىء أصحاب رسول الله عليه وآله وسلم، تحدثوا بفضائلهم وأمسكوا عما شجر بينهم.

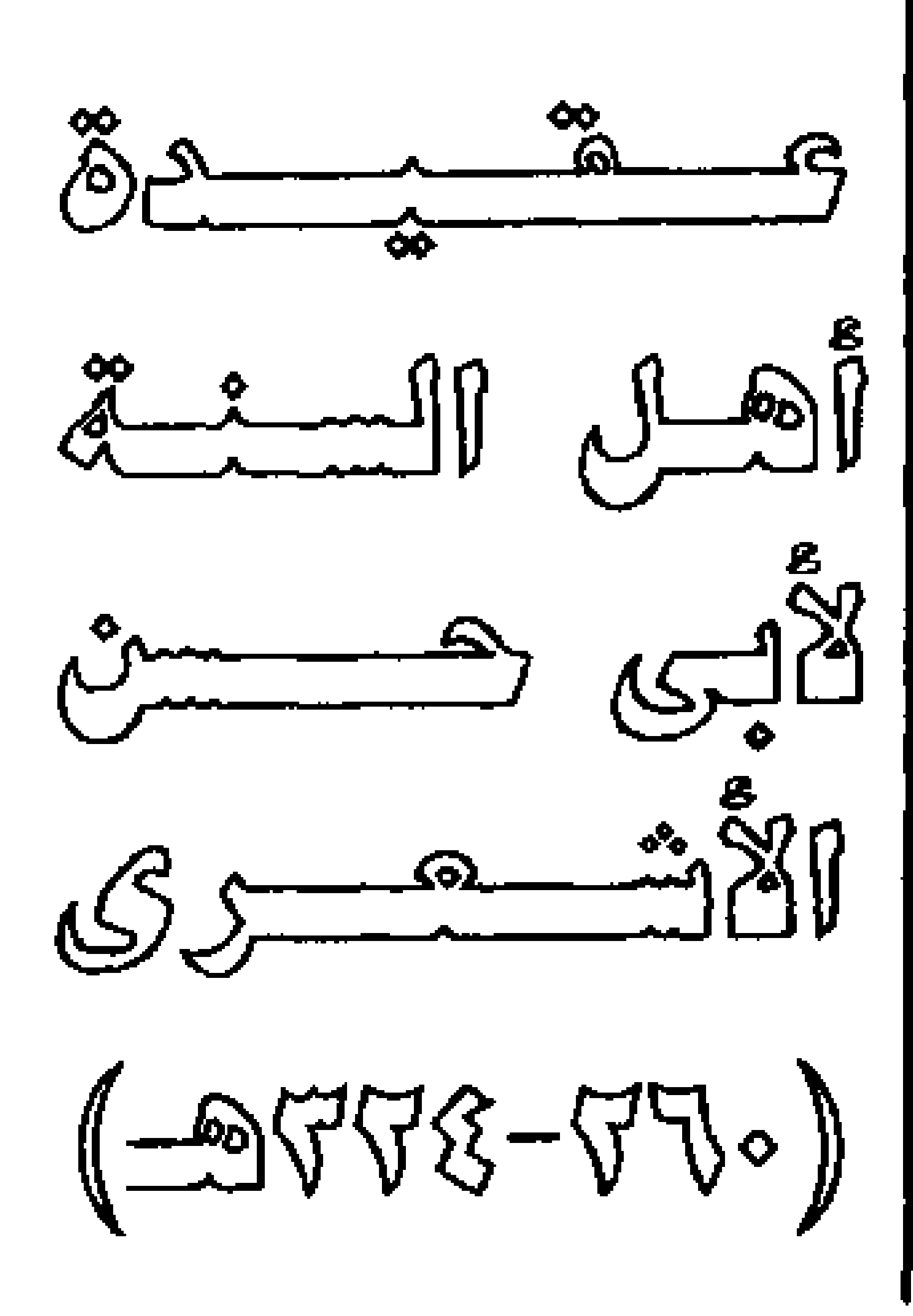
ولا تشاور أحداً من أهل البدع في دينك. ولا ترافقه في سفرك. ولا نكاح إلا بولي وخاطب وشاهدي عدل، والمتعة حرام إلى يوم القيامة، ومن طلق ثلاثاً في لفظ واحد فقد جهل وحرمت عليه زوجته ولا تحل له أبداً حتى تنكح زوجاً غيره.

والتكبير على الجنائز أربع، فإن كبر خمساً فكبر معه، قال ابن مسعود: «كبر إمامك».. قال أحمد خالفني الشافعي، وقال: إن زاد أربع تكبيرات صلى على النجاشي فكبر عليه أربع تكبيرات.

والمسح على الخفين: للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن، وللمقيم يوماً وليلة. وإذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تركع ركعتين تحية المسجد.

والوتر ركعة، والإقامة فرادى.

أحبوا أهل السنة على ما كان منهم أماتنا الله وإياكم على السنة والجماعة. ورزقنا الله وإياكم اتباع العلم، ووفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه.


عقيدة
أهل السنة
لأبى حسن
الأشعرى
(٢٦٠-٣٢٤هـ)

(باب ذكر ما أجمع عليه السلف من الأصول التى نبهوا بالأدلة عليها وأخذوا فى وقت النبى صلى الله عليه وسلم بها).

١ - حدوث العالم:

واعلموا أرشدكم الله أن مما أجمعوا رحمة الله عليهم على اعتقاده. مما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إليه، ونبههم بما ذكرناه على صحته، أن العالم بم فيه من أجناسه وأعراضه محدث، لم يكن ثم كان، وأن لجميعه محدثا واحداً اخترع أعيانه وأحدث جوهره وأعراضه. وخالف بين أجناسه، وأنه عز وجل لم يزل قبل أن يخلفه واحداً عالما قادرا مريدا متكلما سميعاً بصيراً، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأنهم عرفوا ذلك بما نبهم الله عز وجل عليه. وبين لهم صلى الله عليه وسلم وجه الدلالة فيه على ما تقدم شرحنا له قبل هذا الموضع.

٢ - مخالفته للحوادث:

وأجمعوا على أنه عز وجل غير مشبه لشيء من العالم، وقد نبه الله عز وجل على ذلك بقوله: (ليس كمثله شيء) (الشورى: ٤٢). وبقوله عز وجل: (ولم يكن له كفوا أحد) (الإخلاص: ٥).

وإنما كان ذلك كذلك لأنه تعالى لو كان شبها لشيء من خلقه لاقتضى من الحدث والحاجة إلى محدث له ما اقتضاه ذلك الذى اشبهه، أو اقتضى ذلك قدم ما أشبهه من خلقه، وقد قامت الدلالة على حدث جميع الخلق، واستحالة قدمه على ما بيناه أنفا. ولى كونه عز وجل غير مشبه للخلق ينفي وجوده، لأن طريق إثباته كونه تعالى على ما اقتضته العقول من دلالة إقباله عليه دون. شاهدته.

٣ - الصفات:

وأجتمعوا (على) أنه تعالى لم يزل موجودا قادرا عالما مريدا متكلما سميعا بصيرا على ما وصف به نفسه وتسمي به في كتابه وأخبرهم به رسوله، ودلت عليه

العاله، وأن وصفه بذلك لا يوجب شبهه لمن وصف من خلقه بذلك. من قبل (أن) الشيئين لا يشبهان بغيرهما ولا باتفاق أسمائهما. وإنما يشبهان بأنفسهما. فلما كانت نفس الباري تعالى غير مشبهة بشيء من العالم بما ذكرناه آنفا ألم يكن وصفه بأنه حي وقادر وعالم يوجب تشبيهه بمن وصفناه بذلك منا، وإنما يوجب إتفاقهما في ذلك اتفاق حقيقة إلى القادر والعالم، وليس اتفاقهما في حقيقة ذلك يوجب تشبيها بينهما؛ ألا ترى أن وصف الباري عز وجل بأنه موجود ووصف الإنسان بذلك لا يوجب تشابها بينهما، وإن كانا قد اتفقا في حقيقة الموجودة، ولو وجب تشابههما بذلك لوجب تشابه السواد والبياض بكونهم موجودين فلما لم(١) يجب بذلك بينهما تشابها - وإن كانا قد اتفقا في حقيقة الموجود - لم يجب أن يوصف الباري عز وجل بأنه حي عالم قادر ووصف الإنسان بذلك تشابههما. وإن اتفقا في حقيقة ذلك. وإن كان الله عز وجل لم يزل مستحقا لذلك والإنسان مستحقا لذلك عند خلق الله وخلق هذه الصفات فيه:

٤ - قدم الصفات:

واجمعوا على إثبات حياة لله عز وجل لم يزل بها حيا، وعلما لم يزل به عالما، وقدرة لم يزل بها قادرا، وكلاما لم يزل به متكلماً، وإرادة لم يزل بها مريدا، وسمعا وبصرا لم يزل به سميعا وبصيرا، وعلى أن شيئاً من هذه الصفات لا يصح أن يكون محدثا، إذ لو كان شيئاً منها محدثاً لكان تعالى قبل حدثها موصوفا بضدها، ولو كان كذلك يخرج عن الأهلية وسار إلى حكم المحدثين. الذين يلحقهم النقص ويختلف عليهم صفات الذم وامدح، وهذا يستحيل على الله عز وجل، وإذا استحال ذلك عليه وجب أن يكون لم يزل بصفة الكمال، إذا كان لا يجوز عليه الانتقال من حال من الكمال.

٥ - الصفات حقيقة لا مجازا:

واجمعوا على أن صفته عز وجل لا تشبه صفات المحدثين، كما أن نفسه لا تشبه(١) أنفس المخلوقين، واستدلوا على ذلك بأنه لو لم يكن له عز وجل هذه الصفات لم يكن موصوفا بشيء منها في الحقيقة، ومن لم يكن له (فعل لم يكن) فاعلا في الحقيقة، ومن لم يكن له حسان لم يكن محسنا، ومن لم يكن له كلام لم

يكن متكلما في الحقيقة، ومن لم يكن له إرادة لم يكن في الحقيقة مريدا، وإن وصف بشيء من ذلك مع عدم الصفات التي توجب هذه الأوصاف له لا يكون مستحقا لذلك في الحقيقة وإنما وصفه مجازاً أو كذباً، الا ترى أن وصف الله عز وجل للجدار بأنه يريد أن ينقض لما لم يكن له إرادة في الحقيقة كان مجازا. وذلك أن هذه أوصاف مشتقة من أخص أسماء هذه الصفات ودالة عليها، فمتى لم توجد هذه الصفات لمن وصف بها كان وصفه بذلك تلقيبا أو كذبا فإذا كان الله عز وجل موصوفا بجميع هذه الأوصاف في صفة الحقيقة وجب إثبات الصفات التي أوجبت هذه الأوصاف له في الحقيقة، وإلا كان وصفه بذلك مجازا كما وصف الجدار بأنه يريد لما لم يكن له إرادة مجازا.

ويبين هذا أن وصف الإنسان بأنه مريد وسارق وظالم مشتق من الإرادة والسرقة والظلم، وكذلك وصفه بأنه أسود مشتق من السواد، فإذا وصف بذلك من ليس له هذه الصفات في الحقيقة كان وصفه بذلك تلقيباً. الا ترى أن من سمت العرب أولادها بذلك لم يستحق الذم لأن تسميته بذلك لا يقتضي إثبات هذه الصفات. وإنما وضعوا ذلك لهم تلقيبا كما يلقبوهم يزيد وعمرو، وعلى مثل هذا السمع في تسمية الجدار بأنه يريد لما يكن له إرادة. وإذا كان وصف الباردى عز وجل بسائر ما ذكرناه من كونه حيا وقادرا وعالما.

ومتكلما ومريدا وسميعا وبصيرا في الحقيقة دون المجاز والتلقيب وجب إثبات هذه الصفات التي اشتق له عز وجل الأوصاف من أخص أسمائها وقد أوضح ذلك بقوله عز وجل : (ذو القوة المتين) (الذاريات :٥٦) . وقال : (أنزله بعلمه) (النساء : ١٦٦) (ولا يحيطون بشيء من عله إلا بما شاء) (البقرة : ٥٥) واجب إذ أثبتنا هذه الصفات له عز وجل على ما ذكرته العقول واللغة والقرآن والإجماع عليها أن التكون محدثة . لأنه تعالى لم يزل موصوفا بها ، ولا يجب أن لا تكون أعراضا لأنه غز وجل لأن غير الشيء هو مفارقته له على وجه من الوجوه ، والبارى عز وجل لا تجب مفارقه صفاته له من قبل أن مفارقتها له ما يوجب حدثه وخروجه عن الإلهية ، وهذا يستحيل عليه أن يكون تغيير البارى عز وجل جسما أو جوهرا أو محدودا أو في مكان دون مكان أوغير ذلك ، لما لا يجوز عليه من صفاتنا مفارقته لنا ، فلذلك لا يجوز على صفاته ما يجوز على صفاتنا.

ولا يجب إذا لم تكن هذه الصفات غيره أن تكون نفسه لاستحالة كونه حياة أو علما أو قدرة، لأن من كان كذلك لم يبين منه الفعل، وذلك أن الفعل يتأتى من الحى القادر والعالم ، دون الحياة والعلم والقدرة.

٦ـ امره قديم :

وأجمعوا على أن أمره عز وجل وقوله غير محدث ولا مخلوق ، وقد دل الله تعالى على صحة ذلك بقوله : (الا له الخلق والأمر) (الاعراف : ٥٤) ففرق تعالى بين خلقه وأمره وقال : (إنما امره إذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (يس : ٨٢) فبين بذلك تعالى أن الأشياء المخلوقة تكون أشياء بعد إن لم تكن بقوله : (فإذا أراد). وإن قوله غير الأشياء المخلوقة. من قبل أن أمره يقال للاشياء . وقوله كن لو كانمخلوقا لوجب أن يكون قد خلقه بأمر اخر. وذلك القول لو كان مخلوقا (لوجب أن يكون قد خلقه) بقول آخر وهذا يوجب على قائله أحد شيئين، إما أن يكون كل قوله محدث قد تقدمه قول محدث إلى مالا نهاية له. وهذا قول أهل الدهر بعينه. أو يكون ذلك القول حادثا بغير أمره عز وجل فبطل معنى الاستدراج بذلك، وقد نص على هذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بحضرة أوليائه من الصحابة وأعدائه من الخوارج لما أنكروا عليه التحكم فقال: «والله ما حكمت مخلوقا وإن حكمت كلام الله». فلم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة الذين يوالونه ولا أحد من الخوارج الذى يعادونه. ولاروى عن أحد منهم خلاف له فى ذلك.

٧ ـ صفة اليد والقبضة:

اجمعوا على انه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى يدان مبسوطتان، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه. من غير أن يكون جوارا وإن يديه تعالى غير نعمته، وقد دل على ذلك تشريفه لآدم عليه السلام حيث خلقه بيده، وتقريعه لإبليس على الاستكبار عن السجود مع ما شرفه به بقوله: (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) (سورة ص : ٥٧).

٨ ـ وأجمعوا على انه جيء يوم القيامة والملك صفا صفا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء. كما قال، وليس مجيئه حركة ولا زوالا، وإنما يكون المجيء حركة وزوالا إذا كان الجائى

جسما أو جوهرا جوهرا فإذا ثبت انه عز وجل ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أ يكون مجيئه نقلة أو حركة الا ترى أنهم لا يريدون بقولهم: (جاءت زيداً الحمى). أنها تنقلت إليه أو تحركت من مكان كانت فيه، إذ لم تكن جسما، ولا جوهرا وإنما مجيئها إيه وجودها به، وأنه عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وليس نزوله تعالى نقله لأنه ليس بجسم ولا جوهر وقد نزل الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم عند من خالفنا.

٩ - صفة الرضا والتعصب:

واجمعوا على أنه عز وجل يرضى عن الطائعين له. وأن له، وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم وزنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم وأن غضبه إرادته(٤) لعذابهم، وأنه لا يقوم لغضبه شيء.

وأنه تعالى فوق سموات على عرشه دون أرضه وقد دل على ذلك بقوله: (أأمنتم ممن فى السماء أن يخسف بكم الأرض) (الملك : ١٦).

الاستواء والكرسي:

وقال (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (فاطر: ١٠) وقال: (الرحمن على العرش استوى) (طه: ٥) ولا يسمى استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر، لأنه عز وجل لم يزل مستوليا على كل شيء، وأنه يعلم السر واخفى من السر، ولا يغيب عنه شيء فى السموات والأرض حتى كأنه حاضر مع كل شيء، وقد دل الله عز وجل على ذلك بقوله: (وهو معكم اينما كنتم) (الحديد: ٤) وفسر ذلك أهل العلم بالتأويل أن علمه محيط بهم حيث كانوا.

وأن له عز وجل كرسيا دون العرش، وقد دل الله سبحانه على ذلك بقوله: (وسع كرسيه السموات والأرض) (البقرة: ٥٥) (جاءت الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه.

١٠ - صفات بلا كيف:

وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه، ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم.

١١ ـ وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله عز وجل يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى في قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) (القيامة: ٢٢)وقد بين معنى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ورفع كل إشكال فيه بقوله للمؤمنين: ترون ربكم عيانا وقوله: ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته وبين إن رؤيته تعالى بأعين وجوه. وليرد النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل مثل القمر، من قبل أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه الرؤية بالرؤية ولم يشبه الله تعالى بالقمر وليس يجب إذا علمناه أنه يشبه شيئاً نعلمه ولو كان يجب إذا رأيناه عز وجل أن يكون مثل المؤمنين منا لوجب إذا كان الله رائيا وعالما بنا أن يكون مثل المرائيين العالمين منا.

١٢ ـ الضلال والهداية:

وأجمعوا على أنه عز وجل محتاج إلى شيء مما خلق، وأنه يضل من يشاء ويهدى (من يشاء) وينعم على من يشاء ويعز من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويغنى من يشاء، وأنه لا يسأل في شيء من ذلك عما يفعل، ولا لأفعاله علل، لأنه مالك غير مملوك، ولا مأمور ولا منهي، وأنه يفعل ما يشاء، وقال (عذابي أصيب به من أشاء) (الأعراف: ١٥٦) وبين تعالى أنه ليس ى جرى في أفعاله مجرى خلقه بقوله عز وجل: (لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون) (الأنبياء: ٢٣) وقال تعلاى: (فعلا لما يريد) (البروج: ١٦).

١٣ـ الحسن والقبح:

وأجمعوا على أن القبيح من أفعال خلقه كلها ما نهاهم عنه وزجرهم عن فعل، وإن الحسن ما أمرهم به، أو ندبهم إلى فعله. أو اباحه لهم، وقد دل الله عز وجل على ذلك بقوله: (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)(الحشر: ٧).

١٤ ـ وجوب الرضى:

وأجمعوا على أن جميع الخلق (يلزمهم) الرضى بأحكام الله التي أمرهم بها أن يرضوا بها والتسليم في جميع ما أمرهم والصبر على قضائه والانتهاء إلى طاعته فيما دعاهم إلى فعله أو تركه.

١٥ ـ العدل:

وأجمعوا على أنه عادل على جميع أفعاله وأحكامه صامنا في ذلك أم سرنا أو ضرنا.

١٦ ـ القدر:

وأجمعوا على أنه تعالى قدر جميع أفعال الخلق وآجالهم وأرزاقهم قبل خلقه لهم، وأثبت في اللوح المحفوظ جميع ما هو كائن منهم إلى يوم القيامة يبعثون وقد دل عليه بقوله: (وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر)(القمر: ٥٢، ٥٣)، وأخبر أنه عز وجل يقرع الجاحدين كذلك في جهنم بقوله: (يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا من سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر)(القمر : ٤٨ ـ ٤٩).

١٧ ـ أهل الجنة والنار:

وأجمعوا على أنه تعالى قسم خلقه فرقتين: فرقة خلقهم للجنة وكتبهم بأسمائهم وصفاتهم، وفرقة خلقهم للسعير ذكرهم بأسمائهم تسليما في ذلك بقوله عز وجل: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس)(الأعراف: ١٧٩) ولقوله تعالى: (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون)(الأنبياء: ١٠١) وقد بين ذلك لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث: «القبضتين» وحديث الفرقد وحديث عن عبد الله بن مسعود وما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب رضوان الله عليه حين قال: يا رسول الله: أرأيت ما نحن به أمر قد فرغ منه أم أمر مستأنف فقال عليه الصلاة والسلام: بل أمر قد فرغ منه قال عمر: ففيم العمل يارسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعملوا: كل ميسر لما خلق له(١)، وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسنة.

١٨ ـ العلم الإلهي الشامل:

وأجمعوا على أن الأمة لا يقدرون على الخروج من ما سبق في علم الله فيهم وإرادته لهم، على أن طاعته تعالى واجبة عليهم فيما أدرهم به. والكفر كان لسابق علمه فيهم وإرادته لهم أنه لا يطيعونه وإن ترك معصيته لازم لجميعهم وإن كان السابق في علمه وإردته لهم أنهم يعصونه، لأنه يطالبهم بالأمر والنهي، ويخبرهم

فيما أمروا به ويذمهم على المعصية فيما نهوا عنه، وأن جميع ذلك عدل منه تعالى عليهم، كما أنه تعالى عادل على من خلقه منهم مع علمه انه يكفر إذا أمره وأعطاه القدرة التي يعلم انها تصيره إلى معاصيته. وأنه عدل في تبقية المؤمنين إلى الوقت التي يعلم أنهم يكفرون فيه ويرتدون عما كانوا عليه من إيمانهم وتبغيته لهم على الذم المنقطع بالعذاب الدائم لأنه عز وجل ملك لجميع ذلك فيهم، غير محتاج تملكه بل هو تعالى في فعل جميع ذلك عادل وله مالك يفعل ما يشاء كما قال عز وجل: (فعال لما يريد).

١٩ ـ لا خالق غيره:

واجمعوا على أنه خالق لجميع الحوادث وحده لا خالق لشيء منها سواه، وقد زجر الله عز وجل من قال ذلك بقوله: وهل من خالق غير الله) (فاطر: ٣) كما زجر من ادعى إلها غيره بقوله: (من إله غير الله) (القصص: ٧١ ـ ٧٢) وإنما سمي غيره خالقاً في قوله: (اله احسن الخالقين) (المؤمنين: ٥٤) وإن كان خالقا وحده على طريق الاتساع كما يقال: عدل العمرين على طريق الاتساع، وإن كان عمر واحداً وكما سمى غيره إلها في قوله: (وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا)(سورة طه: ٩٧)، في المجاز.

٢٠ ـ الاستطاعة:

واجمعوا على ان جنس استطاعة الإيمان غير جنس استطاعة الكفر، من قبل أن جنس استطاعة الإيمان هدى وتوفيق وخبث الله عز وجل فعلها، ونشكر على التفضل بها، واستطاعة الكفر ضلال وخذلان يستعاذ بالله منها. ونسأل العصمة بالهدى وقوة الإيمان بدلها. وأن قدر المحدثين يختلف ويجانس ويتضاد كما يختلف عليهم ويجانس ويتضاد.

٢١ ـ حاجة الإنسان إلى ربه:

واجمعوا على أن الإنسان غير غني عن ربه عز وجل في سائر أوقاته. وعلى الرغبة إليه في المعولة على سائر ما أمر به ممتثلين لما أمرهم به في قوله عز وجل: (إياك نعبد وإياك نستعين) (الفاتحة: ٤ ـ ٥) فلم يفرق بين العابدة وبني الاستعانة.

٢٢ ـ شمول العلم:

وأجمعوا على أن الإنسان لا يستطيع أن يفعل ما علم الله عز وجل انه لا يفعله، وقد نص على ذكل تعالى فيما حكاه عن الخضر فى قوله لموسى عليهما السلام لما لم يصبر ٩٩٥ لما قال لا الم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا) (الكهف: ٧٥) ولم ينكر موسى قوله ولا رد عليه ما ذكره.

٢٣ ـ تكليف الكفار:

وأجنعوا على أن الله عز وجل قد كلف الكفار الإيمان والتصديق بنبيه صلى الله عليه وسلام، وإن كانوا غير عاملين بنلك، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد أوضح لهم الدلالة ولزمهم الحكم الدعوة، وإنما وجب عليهم من أجاب الله عز وجل له، وطريق معرفتهم بذلك العقول التى جعلت آله تمييزهم وأنهم أنهوا فى الجهل فى ذلك من قبل إعراضهم عن تأمل ما دعوا إلى تأمله من الأدلة التى جعل لهم بها السبيل إلى معرفة وجوب ما دعوا إليه من النظر فى أياته التى أزعج بخرق العادات فى قلوبهم. وحرك بها دواعى نظرهم.

٢٤ ـ وأجمعوا على أنهم يستحقون الذم بإعراضهم وتشغالهم بما نهوا عن التشاغل هب.

٢٥ ـ وأجمعوا أيضا على أن الكافرين غير قادرين على العلم بما دعوا إليه مع تشاغلهم بالإعراض عنه وإثارهم الجهل عليه مع كونهم غير عاجزين عن ذلك ولا ممنوعين منه لصحة أبدانهم وقدرتهم على ما تغشلوا به من الإعراض عنه وسوء الأختيار فى التشاغل بتركه. ولو كرهوا ما هم (عليه) من الإعراض عن تأمل أدلة الله التى نبههم نبيه صلى الله عليه وسلم عليها ودعاهم إلى تأملها لنهاهم ذلك وحصل لهم العمل به والقدرة عليه.

٢٦ ـ أنواع القدرة:

وأجمعوا على أن الإنسان لا يقدر بقدرة واحدة على مقدورين، كما أنه لا يعلم بعلم واحد يكتسبه شيئاً من تصرفه إلا بقدرة تخصه فى حال وجوده، لأن التصرف لا يصح وجوده إلا بها. فلو وجد تصرفه مع عدم القردة عليه لاستغنا فى وجوده

عنها . كما أنه لو وجدت الحركة مع عدم محلها لاستغنت فى الوجود عنه ولم تحتج إليه.

٢٧ ـ التكليف وسلامة الأدوات:

واجمعوا على أنه لا يصح تكليف الإنسان الطاعة ونهيه عن المعصية إلا مع صحة بدنه وسلامة الات فعله، وإن كان لكل فعل يكتسبه قوة تخصه غير القوة عليه وعلى تركه. وغير الفعل المقدور بها، وغير صحة بدنه، كما أنه لا يصح أن يكلف فعلا إلا مع صحة عقله وآلا تمييزه. وإن كان يحتاج فى المعرفة لكل ما أدعى إلى معرفته إلى علم يخصه ويصح معه فعله. وليس يجب إذا كلفوا الفعل مع عدم جميع علومهم. إذ كان عده جميع علومهم يخرجهم عن صحة عقولهم. ويصيرهم إلى الجنون الذى لا يصح تلكيف الاستدلال معه. وكذلك الحكم فى تكليفهم الإيمان الذى علم أبداً أنهم لا يبذلونه، وسبق فى الكتاب أنهم لا يكتسبونه وهم غير قادرين عليه ولا عن الخروج من علم الله فيه وخروجهم عنه به لا يحل بتكليفهم فعله، من قبل أن أبدانهم صحيحة، وآلات فعل ما كلفوه موجودة، وقد مكنوا فى فعله، فهم غير عاجزين عنه ولا ممنوعين منه. وإنما أتوا فى ذلك بإعراضهم عما أمروا به وتشاغلهم بالكفر الذى قد آثروه عليه. وشغلوا قدرهم بكسبه ولو كرهوا الكفر وما هم عليه مت الإيثار له، وارادوا الإيمان فقدروا عليه، ولا يجب إذا كلفوا ما هم غير قادرين على ما كلفوه من الإيمان لتشاغلهم عنه بالكفر الذى نهوا عنه، أن يكلفوا الأفعال مع عدم جميع القدر من قبل أن خروجهم عن جميع القدر يصيرهم إلى العجز وفساد الأبدان والآلات التى لا يصح منهم الفعل مع عدمها، كما لا يصح تكليفهم الاستدلال مع عدم جميع العلوم، من قبل أن عدم جميع العلوم يصيرهم إلى فساد الات الاستدلال التى لا يتأتى لهم الاستدلال مع فسادها، وإنما يصح تكليفهم الأفعلا مع صحة عقولهم وأبدانهم التى تتأتى لهم الأفعلا معها، وكونهم غير قادرين على ما تركوا من الأفعال وتشاغلوا عنه. لا يخرجهم عن صحة أبدانهم ولا يصيرهم إلى العجز الذى يصح معه فعلهم. كما أن كونهم، عالمين إلا ما دعوا إلى معرفته وتشاغلهم بالإعراض عن الاستدلال عليه لا يخرجهم عن صحة عقولهم ولا يصيرهم إلى الجنون الذى لا يصح معه تكليفهم.

٢٨ ـ القدر:

واجمعوا على أن ما عليه جميع سائر الخلق من تصرفهم قد قدره الله عز وجل قبل خلقه لهم، واحصاه في اللوح المحفوظ لهم. وأحاط علمه به وبهم. وأخبر بما كيون منهم،وأن أحداً لا يقدر على تغيير شيء من ذكل. ولا الخروج عما قدره الله تعالى وسبق علمه به. وبما يتصرفون في علمه وينتهون إلى مقادير. فمنهم شقي وسعيد.

٢٩ ـ التوفيق والخذلان:

واجمعوا على أنه يتفضل على بعض خلقه بالتوفيق والهدى وحبب إليهم الإيمان، وشرح صدورهم به. وكره إليهم الكفر والفسوق والعصين وجعلهم راشدين. كما قال الله عز وجل: (ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) (الأنعام: ١٢٥) وقال: (حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان)(١) (الحجرات: ٧) يعدد بذلك نعمته عليهم.

٣٠ ـ اللطف الإلهي:

واجمعوا على أن ما يقدر عليه من الألطاف التي لو فعلها لآمن جميع الخلق غير متناهية، وإن فعل ذلك غير واجب عليه بل هو تعالى متفضل بما يفعله منها، وأنه تعالى لم يتفضل على بعض خلقه بذلك. بل أضلهم كما قال: (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً)(الأنعام: ١٢٥). وقد قال موسى عليه الصلاة والسلام لما جيء بالعجل الذى عمله السامرى لبني إسرائيل وكان خواره فعل البارى تعالى عنده (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) (الأعراف: ١٥٥) ولم ينكر الله ذلك عليه، ولو كان وصفه بذلك جواراً كما تقول القدرية(١) ما ترك إنكار ذلك عليه وزجره عنه، وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

٣١ ـ عموم قدرته:

واجمعوا على أن الله قادراً على أن يخلق جميع الخلق في الجنة متفضلا عليهم بذلك، لأنه تعالى غير محتاج إلى عبادتهم، وأنه قادر أن يخلقهم كلهم في النار،

ويكون بذلك عادلا عليهم لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (الأنبياء: ٢٣) ولأنه عز وجل فعل من ذلك ما أراد. لا معقب لحكمه وهو السميع البصير.

٣٢ - فضل الله يؤتيه من يشاء:

وأجمعوا على أنه تعالى لا يجب عليه أن يساوى بين خلقه فى النعم، وزن له تعالى أن يختص من شاء منهم بما شاء من نعمة وقد دل على صحة قولنا بقوله تعالى: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) (المائدة: ٥٤) وأخبرنا تعالى عما أراده فى تفضيل بعض خلقه المكلفين فقال: (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) (المائدة: ٤١) وقال فى فريق آخر وهم أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) (الأحزاب: ٢٣) وإنما اختلف الفريقان لاختلاف ما أراده الله عز وجل لهم.

٣٣ - وجوب الإيمان وعدم الاعتراض:

وأجمعوا على أنه ليس لأحد من الخلق الاعتراض على الله تعالى فى شىء من تدبيره. ولا إنكار لشىء من أفعاله، إلا كان مالك لما يشاء منها غير مملوك. وأنه تعالى حكيم قبل أن يفعل سائر الأفعال، وأن جميع ما يفعل لا يخرجه عن الحكمة، وأن من يعترض عليه فى أفعاله متتبعاً رأى الشيطان فى ذلك حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام، وزعم أن ذلك فساد فى التدبير وخروج من الحكمة حين قال: (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) (الأعراف : ١٢).

٣٤ - النبى بلغ الرسالة:

وأجمعوا على أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا لجميع الخلق إلى معرفة الله وإلى نبوته، ونهاهم عن الجهل بالله عز وجل وعن تكذيبه، وأنه عليه الصلاة والسلام بين لهم جميع ما دعاهم إليه من الإسلام والإيمان، وما رغبهم فيه من منازل الإحسان وأوضح لهم الأدلة عليه، وبين لهم الطريق إليه. وأن جبريل جاءه فى صورة إعرابى بحضرة أصحابه فقال له:

ما الإسلام؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول

الله وتقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت..... وفي الحديث الطويل فقل: صدقت.

قال: فما الإيمان؟ قال: أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره وغير ذلك. فقال: صدقت:

قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن إن لم تكن تراه فإنه يراك، ثم انصرف ونحن نتعجب من تصديقه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد أمره لهم بطلبه فلم يجدوه بعد انصرافه: هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم.

وكذلك قد بين لهم قبل ذلك طرق المعارف بحدثهم على وجود المحدث لهم ودلهم على صدقه فيما أنبأهم به، وبه تعالى على ما قد سلف شرحنا له.

٣٥ ـ الإيمان يزيد وينقص:

وأجمعوا على أن الإيمان يزيد الطاعة وينقص بالمعصية، وليس لقائه عندنا شكاً فيما أمرنا بالتصديق به ولا جهلا به، لأن ذلك كفر. وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كنا مؤديين للواجب علينا.

٣٦ ـ الكبيرة لا تخرج عن الإيمان:

وأجمعوا على أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان به لا يخرجه عنه شيء من المعاصي ولا يحبط إيمانه الكفر وأن العصاه من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع، غير خارجين عن الإيمان ولا بمعاصيهم، وقد سمى الله تعالى عصاة أهل القبلة مؤمنين بقوله: (ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) (المائدة: ٦ الآية فلو كانوا خرجوا من الإيمان بمعاصيهم كما قالت القدرية لما تعلق عليهم فرض الطهارة، وكان خطاب الله تعالى منصرفاً إلى المؤمنين دونهم، وكذلك قال: (ياأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) (الجمعة: ٩). ولم يخص بالحض على ذلك الطائعين دون العاصين.

٣٧ ـ لا نقطع بالجنة والنار على أحد:

وأجمعوا على أنه لا يقطع على أحد من عصاة أهل القبلة في تلك الدرع بالنار، ولا على أحد من أهل الطاعة بالجنة إلا من قطع عليه روسل الله صلى اله عليه وسلم، وقد دل الله عز وجل على ذلك بقوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) (النساء: ٤٨) ولا سبيل إلى أحد إلى معرفة مشئته تعالى فيهم إلا بخبره، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تنزلوا أحداً من أهل القبلة جنة ولا ناراً».

٣٨ ـ الحفظة:

وأجمعوا على أن العباد حفظه يكتبون أعمالهم، وقد دل على ذلك بقوله: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين.

٣٩ ـ عذاب القبر:

وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يسألون في قبورهم بعد أن يحيون فيها، ويسزلون فيثبت الله من أحب نبيه وأنهم لا يذوقون ألم الموت بعد ذلك، كما قال تعالى: (لا يذقون فيها الموت إلا الموته الأولى) (الدخان: ٥٦) وعلى أن ينفخ في الصور قبل يوم القيامة فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وعلى أن الله تعالى يعذبهم كما بدأهم حفاة عرايا غرلا، وأن الأجساد التي أطاعت وعصت هي التي تبعث يوم القيامة، وكذلك الجلود التي كانت في الدنيا، والألسنة، والأيدي، والأرجل، هي التي تشهد عليهم يوم القيامة، وأن الله تعالى ينصب الموازين لوزن أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه افلح، ومن خفت موازينه خاب وخسر، وإن كفة السيئات تهوى إلى جهنم، وإن كفة الحسنات تهوى عند زيادتها إلى الجنة وإن الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم، فمن أوتى كتابه بيمينه حوسب حساباً يسيراً، ومن يؤتى كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيراً.

٤٠ ـ الصراط:

وأجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك.

٤١ ـ وأجمعوا على أن الله تعالى يخرج من النار من في قلبه شيء من الإيمان بعد الانتقام منه.

٤٢ ـ الشفاعة:

وأجمعوا على أن شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته وعلى أنه من النار قوم من أمته بعد ما صاروا حمماً فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الجنة في سهل السبيل، وعلى ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضاً يوم القيامة ترده أمته، لا يظمأ من شرب منه، ويزاد عنه من بدل وغير بعده، وعلى أن الإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبى صلى الله عليه وسلم (ومعراجه) إلى السموات واجب، وكذلك ما روى من خبر الدجال، ونزول عيسى بن مريم، وقتله الدجال وغير ذلك من سائر الآيات التي تواترت الرواية بكونها بين يدى الساعة من طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة. وغير ذلك مما نقله إلينا الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفونا صحته.

٤٣ ـ المحكم والمتشابه:

وأجمعوا على التصديق بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتاب الله، وماثبت به النقل من سائر. سنته ووجوب العمل بمحكمه. والإقرار بنص مشكلة ومتشابهه. ورد كل ما لم يحط به علما بتفسيره إلى الله، مع الإيمان بنصه. وأن ذلك لا يكون إلا فيما كلفوا الإيمان بجملته دون تفصيله.

٤٤ ـ وأجمعوا على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عليهم، بأيديهم وبالسنتهم إن استطاعوا ذلك، وإلا فبقلوبهم وأنه لا يجب ذلك عليهم بالسيف إلا في اللصوص والقطاع بعد مناشدتهم.

٤٥ ـ لا خروج على الأئمة:

وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولى شيئاً من أمورهم عن رضى أو غلبة واشتدت وطاقة من بر وفاجر لا يلزمهم الخروج عليهم بالسيف جار او عدل وعلى ان يغزوا معهم العدو ويحج معهم لبيته وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها، ويصلى خلفهم الجمعة والاعيد، وأن ل يصلى خلف أحد من

أهل البدع منهم من أنهم قد فسقوا بالبدع والإمامة، موضع فضل ولا يصح أن يأتم بالفاسق كما لا يجب أن يأتم القارئ بالأمي إلا أن يخاف منهم فيصليها معهم وتعاد الصلاة بعدهم.

٤٦ ـ خير القرون:

وأجمعوا على أن خير القرون قرن الصحابة، ثم الذين يلونهم على ما قال صلى الله عليه وسلم: «خيركم قرني». وعلى أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشرة. وخير العشرة الأئمة الأربعة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم، وأن إمامتهم كانت عن رضى من جماعتهم، وأن الله ألف قلوبهم على ذلك لما أراده من استخلافهم جميعاً بقوله: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذين ارتضى لهم» (النور: ٥٥) فجمع الله قلوب المؤمنين على ترتيبهم في التقديم، من قبل أنهم لو قدموا عمر على الجماعة لخرج أبوبكر عما وعده الله به، وكذلك لو قدم عثمان لخرج أبوبكر وعمر لأن الله قد علم أنه يبقى بعدهما وأنهما يموتان قبله، ولذلك لو قدم على جميعهم لخرجوا من الوعد بعلم الله أنهم يموتون قبل موتهم وألف قلوب المؤمنين على ذلك لينالوا جميعاً ما وعدوا به. وإن كان كل واحد منهم يعلم ذلك.

٤٧ ـ خيار الصحابة:

وأجمعوا على أن الخيار بعد العشرة في أهل بدر من المهاجرين والأنصار على قدر الهجرة والسابقة، وعلى أن كل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ولو ساعة أو رآه ولو مرة مع إيمانه به وبما دعا إليه أفضل من التابعين بذلك.

٤٨ ـ الكف عن ذكر الصحابة بسوء:

وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة عليهم الصلوات إلا بخير ما يذكرون به، وعلى أنهم أحق أن تنشر محاسنهم وتلتمس لأفعالهم أفضل المخارج، وأن يظن بهم أحسن الظن وأحسن المذاهب، ممتثلين في ذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ذكروا أصحابي فأمسكوا» وقال أهل العلم: معنى ذلك لا تذكروهم إلا

بخير الذكر، وقوله: «لا تؤذونى فى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدكم ولا نصفه» وعلى ما أثنى الله تعالى به عليهم بقوله: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل). إلى اخر ما قضى الله عز وجل من ذكرهم، ثم قال: «ليغيظ بهم الكفار»(الفتح: ٢٩).

٤٩ ـ حق الصحابة علينا:

وأجمعوا على أن ما كان بينهم من الأمور الدينية لا يسقط حقوقهم، كما لا يسقط ما كان بين أولاد يعقوب النبي على السلام من حقوقهم، وعلى أنه لا يجوز لأحد أن يخرج عن أقاويل السلف فيما اجتمعوا عليه، وعما اختلفوا فيه أو فى تأويله لأن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم.

٥٠ ـ ذم أهل البدع:

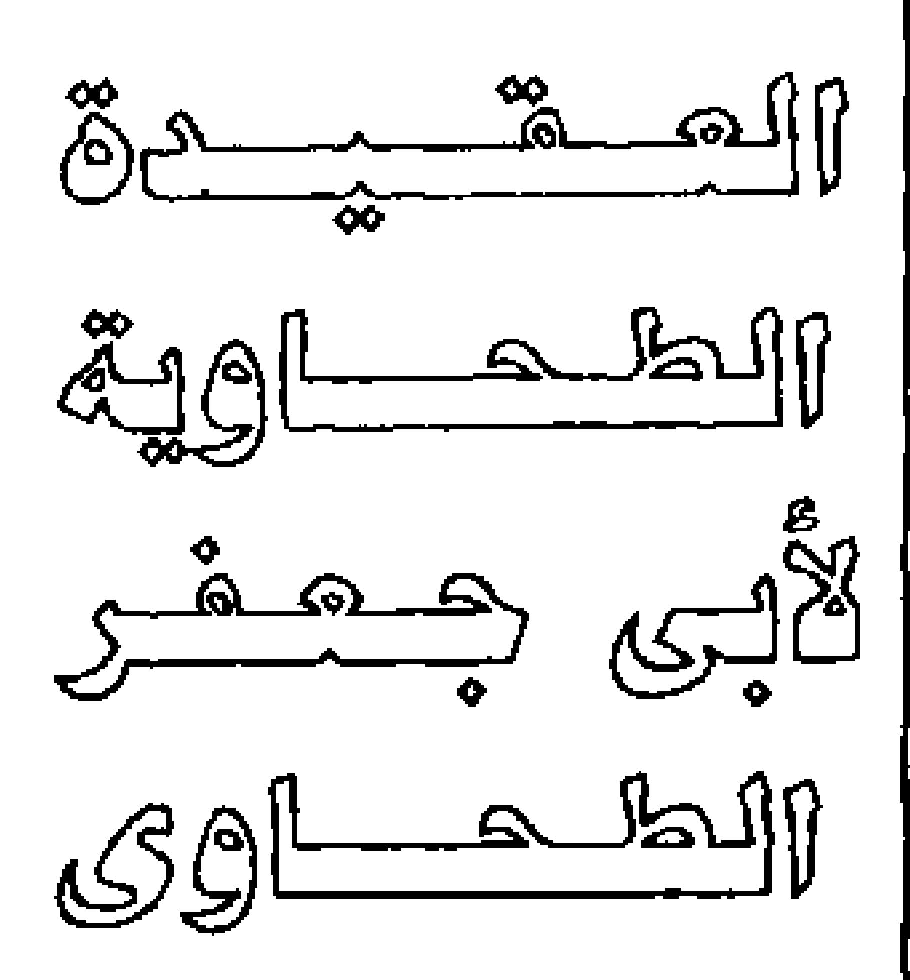
وأجمعوا على ذم سائر أهل البدع والتبرى منهم وهم الروافض والخوارج والمرجئة والقدرية وترك الاختلاط بهم لما روى عن النبى صل الله عليه وسلم فى ذلك وما أمر الله تعلاى به من الإعراض عنهم فى قوله تعالى: (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم) (الأنعام : ٩٨) روى عن النبى صل الله عليه وسلم: أنه قال: «فريقان لا تنالهما شفاعتي: «المرجئة والقدرية». وأنه عليه الصلاة والسلام قال: «القدرية مجوس هذه الأمة وأنهم الذين يعترضون على الله فى مقاديره ويزعمون أنهم يقدرون على الخروج من عمله، وأنه يخلقون كخلقة وإنما شبههم النبى صل الله عليه وسلم بالمجوس دون سائر الفرق اليهود والنصارى فى مشاركتهم لهم فيما يختصون به من قولهم: إن الشر لا يفعله إلا شرير وأن الله لا يفعل ذلك، كما قالت المجوس فى النور الذى يعبدونه. وأنه لا يضر أحداً لأن من ضر غيره كان سفيها، وقد أجمع المسلمون على أن اله الضار النافع. وقال تعالى: (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق) (أول سورة اللفق).

٥١ ـ وجوب النصيحة:

وأجمعوا على النصيحة للمسلمين والقول لجماعتهم وعلى التوادد في الله، والدعاء لأئمة المسلمين، والتبرى ممن ذم أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته وأزواجه، وترك الاختلاط بهم، والتبرى منهم فهذه الأصول التي مضى الأسلاف عليها واتبعوا حكم الكتاب والسنة بها واقتدى بهم الخلف الصالح في مناقبها نفعنا الله وإياكم أجره، والحمد لله وحده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله...

تمت وكان الفراغ منه يوم الخميس إحدى عشرة من صفر المبارك سنة أربع وثمانين وألف من الهجرة.

***


العقيدة
الطحاوية
لأبى جعفر
الطحاوى

الحمد لله رب العالمين.. قال العلامة حجة الإسلام ابو جعفر الوراق الطحاوى بمصر.. رحمه الله - هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة ابى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى وابن يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى وابن عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به لرب العالمين..

نقول فى توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: أن الله واحد لا شريك له ولا شىء مثله ولا شىء مثله ولا شىء يعجزه ولا إله غيره. قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد. لا تبلغه الأوهام. ولا تدركه الأفهام ولا يشبه الأنام حتى لا يموت قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة رزاق بال مؤنة. مميت بلا مخافة. باعث بلا مشقة مازال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته. وكما كان بصفاته ازلياً، كذلك لايزال عليها ابدياً، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم (الخالق) ولا بإحداث البرية استفاد اسم (البارى). له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق وكما أنه محيى الموتى بعدما أحيا. استحق هذا الاسم قبل إحيائهم. كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم. ذلك بأنه على كل شىء قدير وكل شىء إليه مقير، وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شىء (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقداراً. وضرب لهم أجالا. ولم يخف عليه شىء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم. وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شىء يجرى بتقديره ومشيئته. ومشيئته تنفذ. لا مشيئة للعباد. إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان. وما لم يشأ لم يكن.. يهدى من يشاء. (ويعصم ويعافى فضلاً. ويضل من يشاء. ويخذل ويبتلى عدلا) وكلهم يتقلبون فى مشيئته. بين فضله وعدله وهو متعال عن الاضداد والانداد. لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره. امنا بذلك كله. وايقنا أن كلا من عنده، وأن محمدا عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى، وأنه خاتم الأنبياء وإمام الاتقياء

وسيد المرسلين وحبيب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده بغي وهوى وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء. وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولا. وأنزله على رسوله وحياً وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة. ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام بشر فقد كفر وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى (سأصليه سقر) فلما أوعده الله بسقر لمن قال (إن هذا إلا قول البشر) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر..

ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر فمن أبصر هذا اعتبرو عن مثل قول الكفار انزجر وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وتفسير على ما أراد الله تعالى وعلمه وكل ما جاء فى ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كما قال ومعناه على ما أراد. لا ندخل فى ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم فى دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم. ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه. ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام فمن رام علم ما خطر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه. حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافى المعرفة وصحيح الإيمان فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار، موسوساً تائها شاكالا مؤمنا قصد فأولا جاحداً مكذبا ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها فيهم بوهم أو تأولها بفهم إذ كان تأويل الرؤية وتزويل كل معنى يضاف إلى الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين ومن لم يتوق النفى والتشبيه. زل ولم يصب التنزيه فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية. منعوت بنعوت الفردانية ليس فى معناه أحد من البرية وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والادوات لا تحويه الجهات الست كافر المبتدعات. والمعراج حق وقد أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه فى اليقظة إلى السماء ثم إلى حتى شاء الله من العلا. وأكرمه الله بما شاء وأوحى إيه ما أوحى (ما كذب الفؤاد ما راى) فصلى الله عليه وسلم فى الأخرة والأولى. والحوض الذى اكرمه الله

تعالى به غياثاً لأمته حق والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روى في الأخبار. والميثاق الذى أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق. وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة. فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه. وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم والسعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه. لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولانبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة للخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة. فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه (ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب. ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين، فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى. وهى درجة الراسخين في العلم لأن العلم المفقود كفر. ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود..

ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه. جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه. وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه. فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً. ليس فيه ناقص ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سمواته وأرضه وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وبربوبيته كما قال تعالى في كتابه (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سراً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً. والعرش والكرسي حق وهو مستغن عن العرش ومادونه، محيط بكل شيء وفوقه وقد أعجز عن الإحاطة خلقه..

ونقول: أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم الله موسى تكليماً إيماناً وتصديقاً وتسليماً. ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا

على الحق المبين، ونسمى أهلقبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم معترفين وله بكل ما قاله واخبر مصدقين ولا نخوض فى الله ولا نمارى فى دين الله ولا نجادل فى القران ونشهد انه لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين ولا نكفر أحداً من زهل القبلة بذنب ما لم يستحله. ولا نقلو لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، نرجو للمحسينين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولا نقنطهم. والامن والاياس ينقلاون عن ملة الإسلام وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة ولا يمزج العبد من الإيمان إلا بجحود ما اداخلخ فيه، والإيمان هو الاقرار باللسان والتصديق بالجنان. وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق والإيمان واحد وأهله في أصله سواء والتفاضل بيهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى. والمومنون كلهم أولياء الرحمن وأكرمهم عند الله أطوعهم وابتعهم للقرآن والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالي ونحن مؤمنون بذلك كله لا نفرق بين أحد من رسله.

ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به. وأهل الكبائر من أمة محمد صل يالله عليه وسلم فى النار لا يخلدونإذا ماتوا وهم موحدون عنهم بفضله كما ذكر عز وجل فى كتابه (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وإن شاء عذبهم فى النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلي جنته. وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته ولم يجعلهم فى الدراين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته. ولم ينالوا من ولايته اللهم يا ولى الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به. ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من اهل القبلة وعلى من مات منهم ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك ونذر سرائهم إلى الله تعالى.. ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروج على ائمتنا وولاة أمورنا وأن جاروا ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة مالم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة ونتبع السنة والجماعة ونجتنب

الشذوذ والخلاف والفرقة ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة. ونقول الله أعلم فيما أشتبه علينا علمه ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر. والحج والجهاد ماضلين مع أولى الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلها شيء ولا ينقصه ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله قد جعلهم علينا حافظين ونؤمن بمال الموت الموكل بقبض أرواح العالمين وبعذاب القبر لمن كان له أهلا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله وعن الصحابة. والقبر وروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقرأة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان، والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولاتبيدان. وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه. ومن شاء منهم إى النار عدلا منه وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له. والخير والشر مقدران على العباد والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل. وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد ولم يكلفهم الله تعالى (إلا ما يطيقون ولا يطقون) إلا ما كلفهم وهو تفسير (لا حول ولا قوة إلا بالله)..

نقول: لا حيلة لأحد ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً. تقدس من كل سوء وحين وتنزه عن كل عيب وشين (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون). وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات ويملك كل شيء ولا يملكه شيء ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحين، والله يغضب ويرضى. لا كأحد من الورى. ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من

أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.. ونثبت الخلافة بعد رسول الله اولا لأبى بكر تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة. ثم لعمر بن الخطاب ثم لعثمان ثم لعلى وهم الخلفاء الراشدون المهتدون.. وأن العشرة الذين سماهم الرسول وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله وقوله الحق وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد ارحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهو امين هذه الأمة.. ومن احسن القول فى أصحاب رسول الله وأزواجه المطهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برىء من النفاق. وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.. ولا نفضل أحد من الأولياء عى أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء. ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم من السماء ونؤمن بطلوع الشمس من المغرب وخروج دابة الأرض من موضعها ولا نصدق كاهنا ولا عرافا ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة. ونرى الجماعة حقا وصوابا والفرقة زيغا وعذابا ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام قال الله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) وقال (ورضيت لكم الإسلام دينا) وهو بين الغلو والتقسير وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الأمن والإياس فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا ونحن براء إلى الله من كل خالف الذى ذكرناه وبيناه..

ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختتم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل امشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم براءو هم عندنا ضلال وأردياء وبالله العصمة والتوفيق..



لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي (٥٤١-٦٢٠هـ)

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود فى كل زمان، الذى لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأن من شأن، جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصحابة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير (ليس كمثله شيد وهو السميع البصير)، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى (الرحمن على العرش استوى. له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى). أحاط بكل شيء علماً، وقهر كل مخلوق عزة وحكما، ووسع كل شيء رحمة وعلما. (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحطيون به علماً). موصوف بما وصف به نفسه فى كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم. وكل ما جاء فى نفسه فى كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم، وكل ما جاء فى القرآن، أو صح عن المصطفى عليه السالم من صفات الرحمن، وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل، والتشبيه والتمثيل، وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظا وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله، اتباعا لطريق الراسخين فى العلم الذين اثنى الله عليهم فى كتابه المبين بقوله تعالى: (والراسخون في العلم يقولن آمنا به كل من عند ربنا)، وقال فى ذم مبتغى التأويل لمتشابه تنزيله (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاه الفتنة وابتغاء تأويله وما يلعم تأويله إلا الله) فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة فى الذم، ثم حجهم عما أملوه وقطع أطماعهم عما قصدوه بقوله سبحانه (وما يعلم تأويله إلا الله).

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى قول النبى صلى الله عليه وسلم «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» و«إن الله يرى فى القيامة» وما أشبه هذه الأحاديث: نؤمن بها ونصدق بها. لاكيف ولا معنى، ولا نرد شيئاً منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق. ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه. بلا حد ولا غاية(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنعت، ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول وتثبيت القرآن.

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: آمنت بالله، وبما جاء عن الله مراد الله، وآمنت برسول الله. وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله. وقد أمرنا لاقتفاء آثارهم، والاهتداء بمنارهم. وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات فقال النبي صلى الله عليه وسلم «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلاماً معناه: قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا. ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى. فلئن قلتم «حدث بعدهم» فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، وقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي رضي الله عنه:عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول. وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي(١) لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها. قال: لم يعلموها. قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء علمته؟ قال الرجل: فإني أقول قد علموها. قال بلى وسعهم. وقال: فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه ولا يسعك أنت. فانقطع الرجل. فقال الخليفة ـ وكان حاضراً ـ : لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم، وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم ـ من تلاوة آيات

الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت - فلا وسع الله عليه.

فما جاء من آيات الصفات قول الله تعالى (ويبقى وجه ربك).

وقوله سبحانه (بل يداه مبسوطتان) وقوله تعالى إخباراً عن عيسى على السلام أنه قال (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما نفسك).

وقوله سبحانه (وجاء ربك).

وقوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله).

وقوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه).

وقوله (يحبهم ويحبونه) وقوله في الكفار (غضب الله عليهم).

وقوله (اتبعوا ما أسخط الله) وقوله (كره الله انبعاثهم).

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا».

وقوله «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة».

وقوله «يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة، فهذا وأمثاله مما صح سنده وعُدلت رواته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين، ونعلم أن الله سبحانه لا شبيه له ولا نظير (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه.

ومن ذلك قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى).

وقوله (أأمنتم من في السماء).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك».

وقال للجارية «أين الله. قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مالك بن أنس ومسلم وغيره، من الأئمة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين «كم إلها تعبد. قال: سبعة، ستة في الأرض وواحدا في السماء، قال: من لرهبتك ورغبتك. قال: الذي في السماء قال: فاترك الستة واعبد الذي في السماء. وأنا أعلمك دعوتين. فأسلم وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول «اللهم ألهمني رشدي،

وقنى شر نفسي، وفيما نقل من علامات النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الكتب المتقدمة: انهم أيسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم فى السماء.

وروى أبو داود فس ينه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا - الخبر إلى قوله - وفوق ذلك العرش، واله سبحانه فوق ذلك.

فهذا ما أشبه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله سئل مالك بن أنس الإمام رضى الله عنه فقيل: أبا بعد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بالرجل فأخرج.

فصل

ومن صفات الله تعالى أنه (متكلم) بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وإنه سبحانه يكلم المؤمنين فى الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورنه.

قال الله تعالى (وكلك الله موسى تكليما) وقال سبحانه (يا موسى إنى أصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) وقال سبحانه (منهم من كلم الله) وقال سبحانه (وما كان أبشر ان يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) وقال تعالى (فلما أتاها نودى ياموسى إنى أنا ربك) وقال (إننى أنا الله لا إله إلا أنا فأعبدنى) وغير جائز أن يقول هذا إلا اله.

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: إذا تكلم الله بالوحى سمع صوته أهل السماء. وروى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن انيس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «يحشر الله الخلائق يوم القيامة حفاة عراة بهماً، فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك: أنا الديان» رواه الأئمة واستشهد به البخارى وفى بعض الآثار: إن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته وفزع منها ناداه ربه: ياموسى. فأجاب سريعاً استئناساً. الصوت، لبيك. لبيك، أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت، فقال، أنا فوقك ووراءك وعن يمينك وعن شمالك، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغى إلا لله تعالى، قال فكذلك أنت

ياإلهي، أفكلامك أسمع أم كلام رسولك، قال بل كلامي ياموسى».

فصل

ومن كلام الله تعالى القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين. وحبله المتين، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإلى يعود، وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات. له أول وآخر وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ وخاص وعام، وأمر ونهي (لا أتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)، وهذا هو الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا (لن نؤمن بهذا القرآن) وقال بعضهم (إن هذا إلا قول البشر) فقال الله سبحانه (سأصليه سقر) وقال بعضهم هو شعر فقال الله (وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبقى شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو حروف وكلمات وآيات لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد إنه شعر. وقال الله تعالى (وإن كنتم في ريب مما نزلنا عى عبدنا فأتوا بسورة من مثله) ويجوز أن يتحداهم بالآتيان مبثل ما لا يدرى ما هو وال يعقل. وقال الله تعالى (وإذا نتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا أئت بقرآن غير هذا أو بدله، قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي). فأبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم. وقال تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون). وقال (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون)، وبعد أن أقسم عى ذلك وقال تعالى (كبيعص)، (حمعسق) وافتتح تسعاً وعشرين سورة بالحروف المقطعة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأن ولحن فيه فله بكل حرف حسنة» حديث صحيح، وقال عيه الصلام «اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة للسهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه، قال ابوبكر وعمر رضي الله عنهما: إعراب القرآن أحب إلينا من

بعض حروفه. وقال علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله، واتفق المسلمون على عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه ولا خلاف بين المسلمين فى أن من جحد من القرآن سورة أو اية أو كلمة او حرفاً متفقاً عليه أنه كافر، وفى هذا حجة قاطعة على انه حروف.

فصل

والمؤمنون يرون ربهم فى الآخرة بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة). وقال (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلما حجب اولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا، وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقال النبى صلى الله عليه وسلم «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته» حديث صحيح متفق عليه. وهذا تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئى بالمرئى، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.

فصل

من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد لا يكون شيء إلا بإرادته. ولا يخرج شيء عنه مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط فى اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلائق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدى من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته (لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون)، وقال الله تعالى (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وقال تعالى (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) وقال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا). وروى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم «ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فقال جبريل: صدقت» انفرد مسلم بإخراجه. وقال النبى صلى الله عليه وسلم «آمنت بالقدر خير وشره، حلوه ومره». ومن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم الذى علمه الحسن ابن

على يدعو به في قنترت الوتر «وقني شر ما قضيت». ولا تجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره وأجتناب نواهيه بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله الحجة علينا بإنزال الكتب وبعثه الرسل، وقال الله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل). ونعلم أن الله ما زمر ونهى إلا المستطيع للفعل، والترك، وأنه لم يجبر أحدا على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة. قال الله تعالى (لا يكلف الله نفسها إلا وسعها) وقال الله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال تعالى (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت، لا ظلم اليوم) فدل على أن للعبد فعلا وكسباً يجزى على حسنه بالثواب ولعى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.

فصل

والإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجنان. يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان. قال الله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيِّمة) فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقامة الصلاة وإتياء الزكاة كله من الدين. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إناطة الأذى عن الطريق» فجعل القول والعمل من الإيمان، وقال تعالى (مزادهم إيمانا - ليزداد إيمانا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال بُرَّة - أو خردلة أو ذرة - من الإيمان» فجعله متفاضلا.

فصل

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواه في ذلك ما عقلناه، أو جهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناماً، فإن قريشا أنكرته ولم تكن تنكر المنامات، ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إى ربه تعالى فرد عليه عينه، ومن ذلك أسراط الساعة، مثل خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما سح به النقل، وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسمل

منه وأمر به في كل صلاة، وفتنة القبر حق، وسؤ منكر ونكير حق، والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور (فإذا تم من الأجداث إلى ربهم ينسلون)، ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلا بهما فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبيا محمد صلى الله عليه وسلم فيحاسبهم الله تبارك، وتنصب الموازين، وتنشر الدواوين، وتتطاير صحائف الأعمال إلى الإيمان والشمائل (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً. وأما من أوتي كتابه وراد ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيرا)، والميزان له كفتان ولسان توزن به أعمال العباد (فمن ثقلت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون). ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلمحوض في القيامة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا. والصراط حق: تجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار، ويشفع نبيا صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمماً، فيدخلون الجنة بشفاعته. ولسائر الأنبياء والملائكة شفاعات (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهم من خشيته مشفقون)، ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين، والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان: فالجنة دار أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مُبلسون) ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، ويذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود ولا موت، ويا أهل النار خلودولا موت.

فصل

ومحمد رسل الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وسيد المرسلين لا يصح إيمانُ عبد حتي يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، ولا يقضى بين الناس في يوم القيامة إلا بشفاعته، ولا تدخل الجنة أمة إلا بدع دخول أمته صاحب لواء الحمد والمقام المحمود، والحوض المورود، وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم. أمته خير الأمم، وأصحابه خير الأنبياء عليهم السلام. وأفضل أمته أبوبكر الصدّيق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذي النورين، ثم علي المرتضى رضي الله عنهم - لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حي:

أبوبكر. ثم عمر، ثم عثمان، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فلا ينكره، وصحت الرواية عن علي رضى الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ولو شئت سميت الثالث وروى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على افضل من أبى بكر». وهو أحق خلق الله تعالى بالخلافة بعد النبى صلى الله عليه وسلم لفضله، وسابقته، وتقديم النبى صلى الله عليه وسلم له فى الصلاة على جميع الصحابة رضوان الله عليهم. وإجماع الصحابة رضى الله عنهم على تقسيمه ومتابعته، ولم يكن الله يجمعهم على ضلالة. ثم من بعده عمر رضى الله عنه لفضله وعهد أبى بكر إليه. ثم عثمان رضى الله عنه لتقديم أهل الشورى ثم على رضى الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه، وهؤلاء الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون الذين قال النبى صلى الله عليه وسلم فيهم «عليكم بسنتى، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، حافظوا عليها بالنواجذ». وقال الخلافة بعدى ثلاثون سنة، فكان أخرهم خلافة على رضى الله عنه. ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال «أبوبكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وسعد فى الجنة، وسعيد فى الجنة، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة وكل شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة شهدنا له بها كقوله «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، وقوله لثبات ابن قيس إنه من أهل الجنة. ولا ننزل أحداً من أهل القبلة جنة ولا ناراً إلا من نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم. لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسىء، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل. ونرى الحج والجهاد ماضياً مع كل إمام براً كان او فاجراً، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، وقال أنس: قال النبى صلى الله عليه وسلم «ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله، ولا تكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد فى ماض منذ بعثنى الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتى الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار» رواه أبو داود.

ومن السنة قول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد

فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) وقال الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآية وقال النبى صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا أصحابى، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه».

ومن السنة الترضى عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين المطهرات المبرات من كل سوء، أفضلهن: خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التى برأها الله فى كتابه زوج للنبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم ومعاوية خال المؤمنين وكاتب فرض الله أحد خلفاء المسلمين.

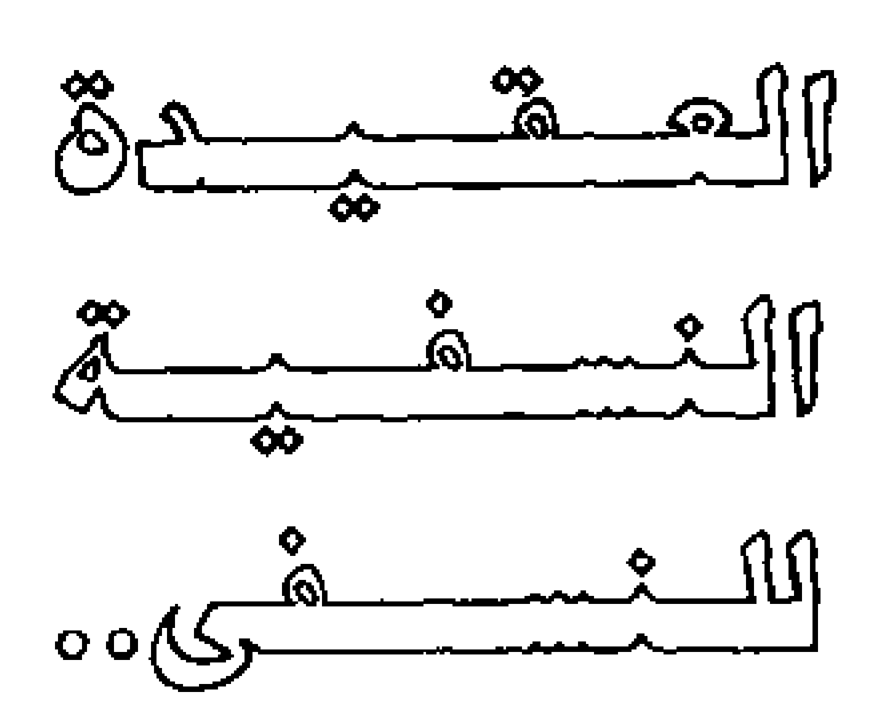
ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يأى ﴿إنه لا طاعة لأحد فى معصية الله. ومن ولى الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسمى أمر المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات فى الدين، وترك النظر فى كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة فى الدين بدعة.

وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع: كالرافضة، والجهمية. والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والكرامية ونظائرهم، فهذه فرق الضلالة وطوائف البعد أعاذنا الله منها.

أما النسبة إلى إمام فى فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم، فإن الاختلاف فى الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون فى اختلافهم، مثابون على اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة، وإتفاقهم حجة قاطعة.

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحياة، ويحشر فى زمرته بعد الممات، برحمته وفضله آمين.

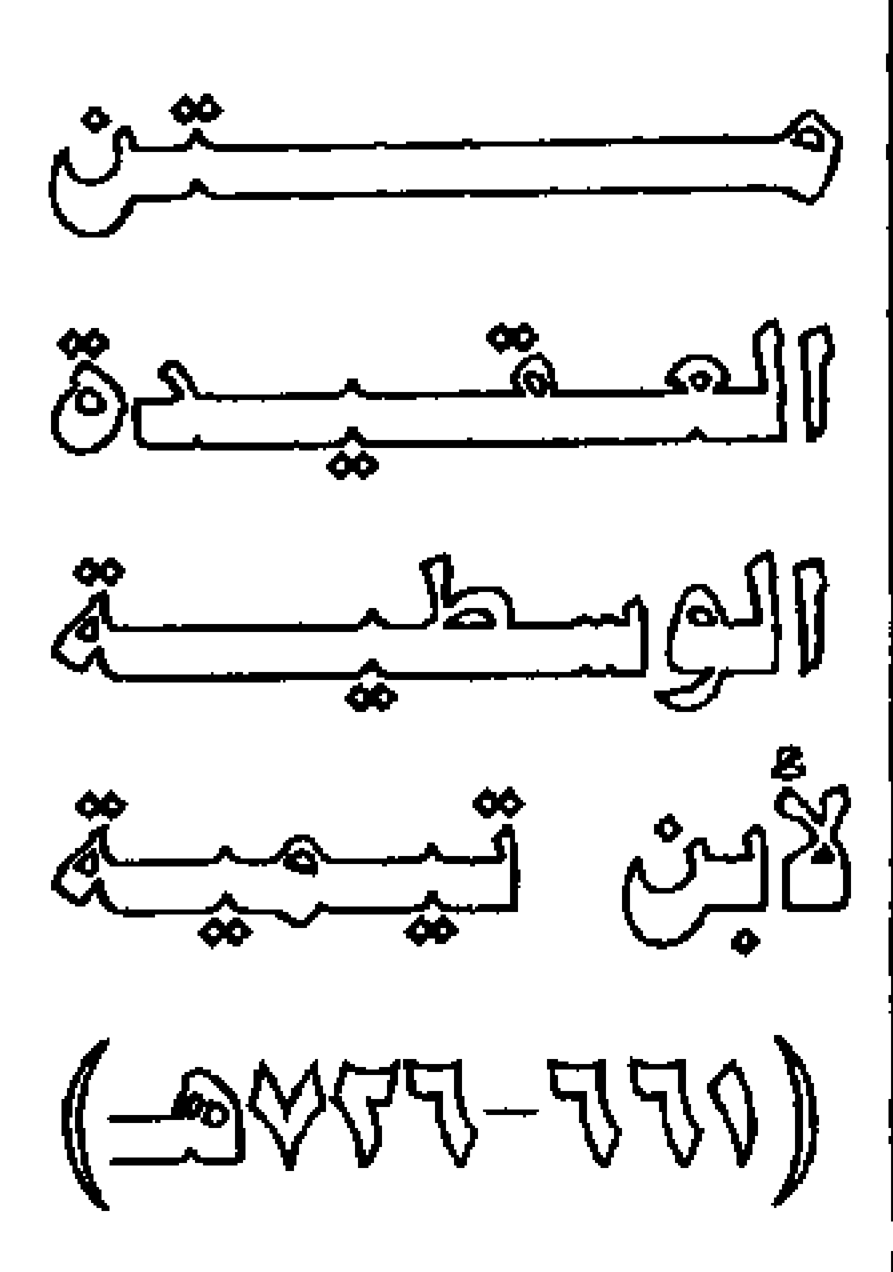

العقيدة
النسفية
للنسفي..

قال أهل الحق حقائق الأشياء ثابتةٌ والعلم بها متحقق خلافا للسوفسائية وأسباب العلم للخلق ثلاثة الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل فالحواس السمع والبصر والشم والذوق واللمس وبكل حاسة منها يوقف على وضعت هي له كالسمع والذوق والشم والخبر الصادق على نوعين أحدهما الخبر المتواتر وهو الثابت على البنية قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب وهو موجب للعلم الضروري كالعلم بالملوك الخالية في الأزمنة الماضية والبلدان النائية والثاني خبر الرسول المؤيد بالمعجزة وهو يوجب العلم الاستدلالي والعلم الثابت به يضاهي العلم الثابت بالضرورة في التيقن والثبات وأما العقل فهو سبب للعلم أيضا وما ثبت منه بالبديهة فهو ضروري كالعلم بأن كل الشيء أعظم من جزئه وما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابي والإلهام ليس من أسباب المعرفة بصحة الشيء عند أهل الحق والعالم بجيمع أجزائه محدث إذ هو أعيان وأعراض فالأعيان ماله قيام بذاته وهو إما مركب وهو الجسم أو غير مركب كالجوهر وهو الجزء الذي لا يتجزأ والعرض مالا يقوم بذاته ويحدث في الأجسام والجواهر كالألوان والأكوان والطعوم والروائح والمحدث للعالم هو الله تعالى الواحد القديم الحي القادر السميع البصير الثاني المريد ليس بعرض ولا جسم ولا جوهر ولا مصور ولا محدود ولا ممدود ولا متبعض ولا متجزئ ولا متركب ولا متناه ولا يوصف بالماهية ولا بالكيفية ولا يتمكن في مكان ولا يجري عليه زمان ولا يشبهه شيء ولا يخرج عن علمه وقدرته شيء وله صفات أزلية بذاته وهي لا هو ولا غيره وهي العلم والقدرة والحياة والقوة والسمع والبصر والإرادة والمشيئة والفعل والتخليق والترزيق والكلام وهو متكلم بكلام هو صفة له أزلية ليس من جنس الحروف والأصوات وهو صفة منافية للسكوت والآفة والله تعالى متكلم بها آمر ناهٍ مخبر والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وهو مكتوب في مصاحفنا محفوظ في قلوبنا مقروء بألسنتنا مسموع بآذاننا غير حال فيها والتكوين صفة الله تعالى أزلية قائمة بذاته تعالى ورؤية الله تعالى جائزة في العقل واجبة بالنقل وقد ورد الدليل

السمعي بإيجاب رؤية المؤمنين الله تعالى في دار الآخرة فيرى لا في مكان ولا على جهة من مقابلة أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله تعالى والله تعالى خالق لأفعال العباد من الكفر والإيمان واطاعة والعصيان وهي كلها بإرادته ومشيئته وحكمه وقضيته وتقديره وللعباد أفعال اختيارية يثابون بها ويعاقبون عليها والحسن منها برضاء الله تعالى والقبيح منها ليس برضائه تعالى والاستطاعة مع الفعل وهي حقيقة القدرة التي يكون بها الفعل ويقع هذا الاسم على سلامة الأسباب والآلات والجوارح وصحة التكليف تعتمد هذه الاستطاعة ولا يكلف العبد بما ليس في وسعه وما يوجد من الألم في المضروب عقيب ضرب إنسان والإنكسار في الزجاج عقيب كسر إنسان كل ذلك مخلوق الله تعالى لا صنع للعبد في تخليقه والمقتول ميت بأجله والموت قائم بالميت مخلوق الله تعالى لا صنع للعبد فيه تخليقا ولا اكتسابا والأجل واحد والحرام رزق وكل يستوفي رزق نفسه حلالا كان أو حراما ولا يتصور أن لا تأكل إنسان رزقه أو يأكل غيره رزقه والله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء وما هو الأصلح للعبد فليس ذلك بواجب على الله تعالى وعذاب القبر للكافرين وبعض عصاة المؤمنين وتنعيم أهل الطاعة في القبر وسؤال منكر ونكير ثابت بالدلائل السمعية والبعث حق والوزن حق والكتاب حق والسؤال حق والحوض حق والطراط حق والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان الآن موجودتان باقيتان لا تفنيان ولا يفنى أهلهما والكبيرة لا تخرج العبد المؤمن من الإيمان ولا تدخله في الكفر والله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من الصغائر والكبائر ويجوز االعقاب على الصغيرة والعفو عن الكبيرة إذا لم يكن عن استحلال والاستحلال كفر والشفاعة ثابتة للرسل والأخبار في حق أهل الكبائر وأهل الكبائر من المؤمنين لا يخلدون في النار والإيمان في الشرع هو التصديق بما جاء النبي عليه السلام به من عند الله تعالى والإقرار به وأما الأعمال فهي تتزايد في نفسها والإيمان لا يزيد ولا ينقص والإيمان والإسلام واحد فإذا وجد من العبد التصديق والإقرار صح له أن يقول أنا مؤمن حقا ولا ينبغي أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله والسعيد قد يشقى والشقي قد يسعد والتغير يكون على الساعداة والشقاوة دون الإسعاد والإشقاء وهما من صفات الله تعالى رسلا من

البشر إلى البشر مبشرين ومنذرين ومبينين للناس ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين وأيديهم بالمعجزات الناقضات للعادة وأول الأنبياء آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وقد روى بيان عددهم فى بعض الأحاديث والأولى أن يقتصر على عدد في التسمية فقد قال الله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولا يؤمن فى ذكر المدد أن يدخل فيهم من ليس منهم أو يخرج منهم من هو فيهم وكلهم كانوا مخبرين مبلغين عن الله تعالى صادقين ناصحين وأفضل الأنبياء عليهم السلام محمد صلى الله عليه وسلم والملائكة عباد الله تعالى العاملون بأمره وال يوصفون بذكورة ولا أنوثة ولله تعالى كتب أنزلها على أنبيائه وبين فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بشخصه إلى السماء ثم إلى ما شاء الله تعالى من الملاحق وكرامات الأولياء حق فتظهر الكرامة على طريق نقض العادة للولى من قطع المسافة البعيدة فى المدة القليلة وظهور الطعام والشراب واللباس عند الحاجة والمشى على الماء والطيران فى الهواء معجزة للرسول الذى ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته لأنه يظهر بها أنه ولى ولن يكون وليا إلا أن يكون محقا فى ديانته وديانته الإقرار برسالة رسول وأفضل البشر بعد نبينا أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم عمر الفاروق ثم ذى النورين ثم على المرتضى وخلافتهم ثابتة على هذا الترتيب أيضا والخلافة ثلاثون سنة ثم بعدها مُلك وإمارة والمسلمون لابد لهم من إمام ليقوم بتنفيذ أحكامهم وإقامة حدودهم وسد ثغورهم وتجهيز جيوشهم وأخذ صدقاتهم وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وإقامة الجمع والأعياد وقطع المنازعات الواقعة بين العباد وقبول الشهادات القائمة على الحقوق وتزويج الصغار والصغائر الذين لا أولياء لهم وقسمة الغنائم ونحو ذلك ثم ينبغى أن يكون الإمام ظاهراً لا مختفياً ولا منتظراً ويكون من قريش ولا يجوز من غيرهم ولا يختص ببنى هاشم وأولاد على رضى الله عنه ولا يشترط فى الإمام أن يكون معصوما ولا أن يكون افضل من أهل زمانه ويشترط أن يكون من أهل الولاية المطلقة الكاملة منائساً قادرا على تنفيذ الأحكام وحفظ حدود دار الإسلام واستخلاص حق المظلوم من الظالم ولا ينعزل الإمام بالفسق والجور وتجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر ويصلى على كل بر وفاجر

ويكف عن ذكر الصحابة إلا بخير ونشهد بالجنة للعشرة الذين بشرهم النبى عليه الصلاة والسلام بالجنة ونرى المسح على الخفين في الحضر والسفر ولا نحرم نبيذ التمر ولا يبلغ ولي درجة الأنبياء أصلا ولا يصلُ العبد إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهى والنصوص تحمل على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحادٌ ورد النصوص كفر واستحلال المعصية والاستهانة بها كفر والاستهزاء على الشريعة كفر واليأس من الله تعالى كفر والأمن من الله تعالى كفر وتصديق الكاهن بما يخبره عن الغيب كفر والمعدوم ليس بشيء وفى دعاء الأحياء للأموات وصدقهم عنهم نفع لهم والله تعالى يجيب الدعوات ويقضى الحاجات وما أخبر به النبى عليه السلام من أشراط الساعة من خروج الدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام من السماء وطلوع الشمس من مغربها فهو حق والمجهد قد يخطئ وقد يصيب ورسل البشر أفضل من رسل الملائكة ورسل الملائكة أفضل من عامة البشر وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة والله أعلم.


متن
العقيدة
الوسطية
لأبن تيمية
(٦٦١-٧٢٦هـ)

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أمـــا بعـــد. فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة.

وهو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر، خيره وشره.

ومن الإيمان بالله: الإيمانُ بما وصف به نفسه فى كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. بـل يؤمنون بالله سبحانه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يُلحدون فى أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كُفوَ له، ولا نِدٌ لـــه. ولا يقاس بخلقه؛ سبحانه وتعالى، فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثاً من خلقه.

ثم رسله صادقون مصدقون، بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون. ولهذا قال (سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين) فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل. وسلم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.

وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمي به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسولن. فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين.

وقد دخل فى هذه الجملة ما وصف به نفسه فى سورة الإخلاص التى تعدل ثلث

القرآن، حيث يقول (قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يَلِدْ ولم يُولد. ولم يكن له كُفوا أحد) وما وصف به نفسه فى أعظم آية فى كتاب الله حيث يقول (الله لا إله إلا هو الحى القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما فى السموات وما فى الأرض، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه؟ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم. ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء. وسعَ كُرسيّه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما - أى لا يكرثه ولا يُثقله وهو العلى العظيم) ولهذا كان من قرأ هذه الآية فى ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

وقوله سبحانه (هو الأول والآخر والظاهر والباطن. وهو بكل شىء عليم) وقوله سبحانه (وتوكل على الحى الذى لا يموت) وقوله (وهو الحكيم الخبير. يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) - (وعنده مفاتيح الغيب الغيب لا يعلمها إلا هو. ويعلم ما ف البر والبحر. وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) وقوله (وما تحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه) وقوله (لتعلموا أن الله على كل شىء قدير. وأن الله قد أحاط بكل شىء علما).

وقوله (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وقوله (إن الله نعمًا يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا) وقوله (ولولا إذ دخلَت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وقوله (ولو شاء الله ما افتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد) (أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم، إن الله يحكم ما يريد) وقوم (فمن يريد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً يصعد فى السماء).

وقوله (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) - (وأسقطوا إن الله يحب المقسطين) - (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين) - (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقوله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وقوله (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقوله (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص).

وقوله (وهو الغفور الودود) وقوله (بسم الله الرحمن الرحيم) (ربنا وسعت كل

شيء رحمة وعلما) - (وكان بالمؤمنين رحيما) (ورحمتي وسعت كل شيء) - (كتب ربكم على نفسه الرحمة) (وهو الغفور الرحيم) (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين).

وقوله (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (ومَنْ يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم فيها وغضب الله عليه ولَعَنَه) وقوله (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) وقوله (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وقوله (ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم) وقوله (كَبُر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون).

وقوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظل من الغمام والملائكة وقضى الأمر) وقوله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك) (كلا إذا دُكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا) (ويم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) وقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) (كل شيء هالك إلا وجهه).

وقوله (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ) (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء).

وقوله (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) (وحملناه على ذات ألواح ودسر، تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر) (وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى).

وقوله (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله، والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم؟ بلى، ورسلنا لديهم يكتبون)

وقوله (إننى معكما أسمع وأرى) وقوله (ألم يعلم بأن الله يرى) (الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين إنه هو السميع العليم) (وقل اعملوا، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

وقوله (وهو شديد المحال) وقوله (ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين) وقوله (ومكروا مكرا ومكرنا وهم لا شعرون) وقوله (إنهم يكيدون كيدا. وأكيد كيدا).

وقوله (إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن كان عفوا قديرا) (وليعفوا

وليصفحوا، الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم).

وقوله (ولله العزة ولرسوله) وقوله عن إبليس (فبعزتك لاغوينهم اجمعين) وقوله (تبارك اسم ربك ذى الجلا والإكرام) وقوله (فاعبده واصطبر لعبادته، هل تعلم له سميا؟) (ولم يكن له كفوا أحد) (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعذون) (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن لـه شريك فـى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً) (يسبح لله مـا فى السموات وما فى الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير) (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا. الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا) (ما اتخذ الله من ولد. وما كان معه من إله، إذاً لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) (فل يضربوا الله الامثال، إن اله يعلم وأنتم لا تعلمون) (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون).

وقوله (الرحمن على العرش استوى) فى سبعة مواضع: فى سورة الأعراف قوله (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيامثم استوى على العرش) وقال فى سورة يونس عليه السلام (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) وقال فى سورة الرعد (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) وقال فى سورة طه (الرحمن على العرش استوى) وقال فى سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن) وقال فى سورة الم السجدة (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش) وقال فى سورة الحديد (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش).

وقوله (ياعيسى إنى مستوفيك ورافعك إلىّ) (بل رفعه الله إليه) (إليه يصعد الكلم الطيب والعلم الصالح يرفعه) (ياهمان ابن لى صرحا، لعلى أبلغُ الأسباب، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى، وإنى لأظنه كاذبا) (أمنتم من فى السماء أن يرسل

عليكم حاصبا؟ فستعلمون كيف نذير).

وقوله (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير) - (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهمولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا. ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم).

وقوله (لا تحزن: إن الله معنا) (إننى معكما أسمع وأرى) (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) (واصبروا إن الله مع الصابرين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين).

وقوله (ومن أصدق من الله حديثا؟) (ومن من الله قيلا) (وإذا قال الله ياعيسى ابن مريم) (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا) (وكلم الله موسى تكليما) (منهم من كلم الله) (ولما جاء موسى لمقاتنا وكلمة ربه) (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا) (وإذا نادى ربك موسى: أن ائت القوم الظالمين) (وناداهما ربهما ألم أنهكما) (ويوم يناديهم فيقول: ماذا أجبتم المرسلين؟) (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) (يريدون أن يبدلوا كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وعم يعلمون) (يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا، كذلكم قال الله من قبل) (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) (إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون) (قل نزله روح القدس من برك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى المسلمين) (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذين يلحدون إليه أعجمى. وهذا لسان عربى مبين).

وقوله (وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة) (على الأرائك ينظرون) (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (لهم ما يشاءن فيها ولدينا مزيد).

وهذا الباب فى كتب الله كثير. من تدبر القرآن طالبا للهدى منه تبين له طريق الحق.

فصل فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فالسنة تفسر القرآن وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه.

وما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التى تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك.

مثل قوله صلى الله عليه وسلم «ينزل ربنا إلى سماء كل ليلة، حين يبقى ثلى الليل الاخر، فيقول: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطية؟ من يستغفرنى فأغفر له؟ متفق عليه، وقوله صلى الله عليه وسلم «ولله اشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم براحلته» الحديث متفق عليه.

وقوله صلى الله عليه وسلم «يضحك الله إلى رجلين يقتلُ أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة» متفق عليه.

وقوله «عجب ربنا من قنوط عبادة وقرب غيره، ينظر إليكم ازلين قنطين، فيظل يضحك، يعلم أن فرجكم قريب».

حديث حسن.

وقوله صلى الله عليه وسلم «لاتزال جهنم يلقى فيها وهى تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله - وفى رواية: عليها قدمه - فتنزوى بعضها إلى بعض، فتقول: قط قط» متفق عليه.

وقوله «يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك. فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار» متفق عليه.

وقوله «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان».

وقوله فى رُقية المريض «ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك، أمرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء، اجعل رحمتك فى الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين، انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ» حديث حسن، رواه أبو داود وغيره.

وقول «الا تأمنونى وأنا زمين من فى السماء» حديث صحيح وقوله «والعشر فوق الماء والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه» حديث حسن رواه أبو داود وغيره.

وقول للجارية «أين الله؟قالت في السماء قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مسلم.

وقوله «أفضل الإيمان : أن تعلم أن الله معك حيثما كنت» حديث حسن، وقوله «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه، فإن الله قبل وجهه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه» متفق عليه.

وقوله صلى الله عليه وسلم «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء *فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر* نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين واغنني من الفقر» رواه مسلم.

وقوله لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر «أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنما تدعون سميعا قريبا والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» متفق عليه.

وقوله «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليله البدر لا تضامنون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها ما فعلوا» متفق عليه. إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به.

فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي بين أهل التعطيل الجهمية: وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال اله بين الجبرية والقدرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب اسماء الإيمان والدين، بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج.

وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله، الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر

عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة: من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه وعلى خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيهاوهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) وليس معنى قوله (وهو معكم) أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات اله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم، مطلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيه.

وكل هذا الكلام الذي ذكره الله - من أنه فوق العرش وأنه معنا - حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة، مثل أن يظن أن ظاهر قوله «في السماء» أو السماء تقله أو تظله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، فإن الله وقد وسع كرسيه السموات والأرض، وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره).

فصل

وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب، كما جمع بين ذلك في قوله (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) الآية وقوله صلى الله عليه وسلم «أن الذي تدعونه اقرب إلى احدكم من عنق راحلته» وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعينه لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في نعوته وهو علي في دنوه قريب في علوه.

فصل

ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام اله منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود؛ وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلا الله او عبارة، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك في المصاحف لم يخرج عن أن

يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله، حروفه ومعانيه؛ ليس كلام الله الحروف دون المعاني. ولا المعاني دون الحروف.

فصل

وقد دخل أيضا فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبرسله: الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانا بأبصارهم، كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى.

فصل

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت: فيؤمنون بفتنه القبر، وبعذاب القبر ونعيمه، فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم. فيقال للرجل: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن الله ربي والإسلام ديني ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي وأما المرتبا فيقول:هاهاه لا أدري، سمعت الناس يقولن شيئا فقلته: فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق. ثم ـ بعد هذ الفتنة ـ إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق، وتنصب الموازين، فتوزن فيهاأعمال العباد (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون).

وتنشر الدواوين ـ وهي صحائف الأعمال ـ فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره، كما قال سبحانه وتعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ويحاسب الله الخلائق،ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه.

كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون عليها.

وفي عرصان القيامة الحوض المورود للنبي صلى الله عليه وسلم، ماؤه أبيض بياضا من اللبن، وأحل من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

والصراط منصوب على متن جهنم - وهو الجسر الذي بين الجنة والنار - يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة، فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم، وأول من يدخل الجنة من أمته وله صلى الله عليه وسلم في القيامة ثلاث شفاعات. أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف، حتى يقضي بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم الشفاعة، حتى تنتهي إليه.

وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة ولسائر النبيين والصدقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.

ويخرج اله من النار أقواما بغير شفاعة. بل بفضله ورحمته، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشيء الله لها أقواما فيدخلهم الجنة.

وأصناف ما تضمنته الدارالآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار

تفاصيل ذلك مذكورة فى الكتب المنزلة من السماء، والآثار من العلم المأثورة عن الأنبياء، وفى العلم الموروث عن محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما يشفى ويكفى فمن ابتغاه وجده.

وتؤمن الفرقة الناجية ـ أهل السنة والجماعة ـ بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين.

(فالدرجة الأولى) الإيمان بأن الله تعالى علم بما الخلق عاملون به بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا أبدا وعلم جميع أحوالهم من الطاعاتوالمعاصى والأرزاق والآجال ثم كتب الله فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق «فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف، كما قال تعالى (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض؟ إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير) وقال (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى انفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير) وهذا التقدير ـ التابع لعلمه سبحانه ـ يكون فى مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب فى اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات فيقال له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد، ونحو ذلك، فهذا القدر قد كان ينكره غلاوة القدرية قديما ومنكره اليوم قليل.

(وأما الدرجة الثانية) فهى مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما فى السموات وال فى الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون فى ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه على كل شىء قدير عن الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق فى الأرض ولا فى السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسيطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عنهم القوم الفاسيقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

والعباد فاعلون حقيقة والله تعالى خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلى والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة. والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلاالله رب العالمين.

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبى صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه وحكمها ومصالحها.

فصل

ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه فى آية القصاص (فمن عُفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف) وقال (وإن طائفتان من المومنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحدهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنين إخوة فأصلحوا بين أخويكم).

ولا يسلبون الفاسق الملى بالكلية، ولا يخلدونه فى النار، كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدهل فى اسم الإيمان المطلق فى قوله تعالى (فتحرير رقبة مؤمنة) وقد لا يدخل فى اسم الإيمان المطلق كما فى قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا). وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليها فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن».

ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم.

فصل

ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به فى قوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤف رحيم).

وطاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله، لا تسبوا أصحابى.

(فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح - وهو صلح الحديبية - وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر - «عملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم بل قد رضى الله عنهم ورضوا عنه. وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم، كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وغيره، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر، ثم عمر، ويثلثون عثمان، ويربعون بعلى رضى الله عنهم، كما دلت عليه الآثار، كما أجمع الصحابة على تقديم عثمان فى البيعة، مع زن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا مع عثمان فى البيعة، مع أن بعص اتفاقهم على تقديم أبى بكر وعمر - أيها أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلى، وقدم قوم عليا، وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلى - ليست من الأصول التى يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التى يضلل فيها مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسوال الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خم «أذكركم الله

فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، وقال أيضا للعباس عمه - وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بنى هاشم فقال: والذى نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتى، وقال واصطفى من بنى إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم.

ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه فى الآخرة، خصوصا خديجة رضى الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده علي أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصديقة بنت الصديق رضى الله عنها التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم، فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة. ويقولون: إن هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الأثم وصغائر، بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة. ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم خير القرون.. وإن المدمن أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم» ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته، أو ابتلى ببلاء فى الدنيا كفر به عنه. فإذا كان هذا فى الذنوب المحققة فكيف بالأمور التى كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجران. وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور لهم؟

ثم القدر الذى ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور فى جنب خصائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح. ومن نظر فى سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله عليهم به

من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة، التى هى خير الأمم وأكرمها على الله.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى على أيديهم من خوارق العادات فى العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم فى سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة، وهى موجودة فيها إلى يوم القيامة.

فصل

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد، ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هى الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين.

والاجماع هو الأصل الثالث الذى يعتمد عليه فى العلم والدين. وهم يزاون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة وظاهرة مماله تعلق بالدين.

والاجماع الذى ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح: وبعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

فصل ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجهاد والأعياد مع الأمراء، أبرارا أو فجاراً، ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم، «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه» وقوله

صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلق».

ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغى والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق. ويأمرون بمعالى الأخلاق، وينهون عن سفسافها.

وكل ما يقولونه، ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة، وطريقتهم هى دين الإسلام الذى بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم. لكن لما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة، وفى حديث عنه أنه قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى» صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة.

وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولوا المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الابدال، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم: وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم «لاتزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة».

فنسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا من لدنه رحمة، إنه هو الوهاب والله أعلم.

وصلى الله على محمدا وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

نص رسالة الذهبى.. لابن تيمية والتى أعلن فيها رفضه لمذهبه

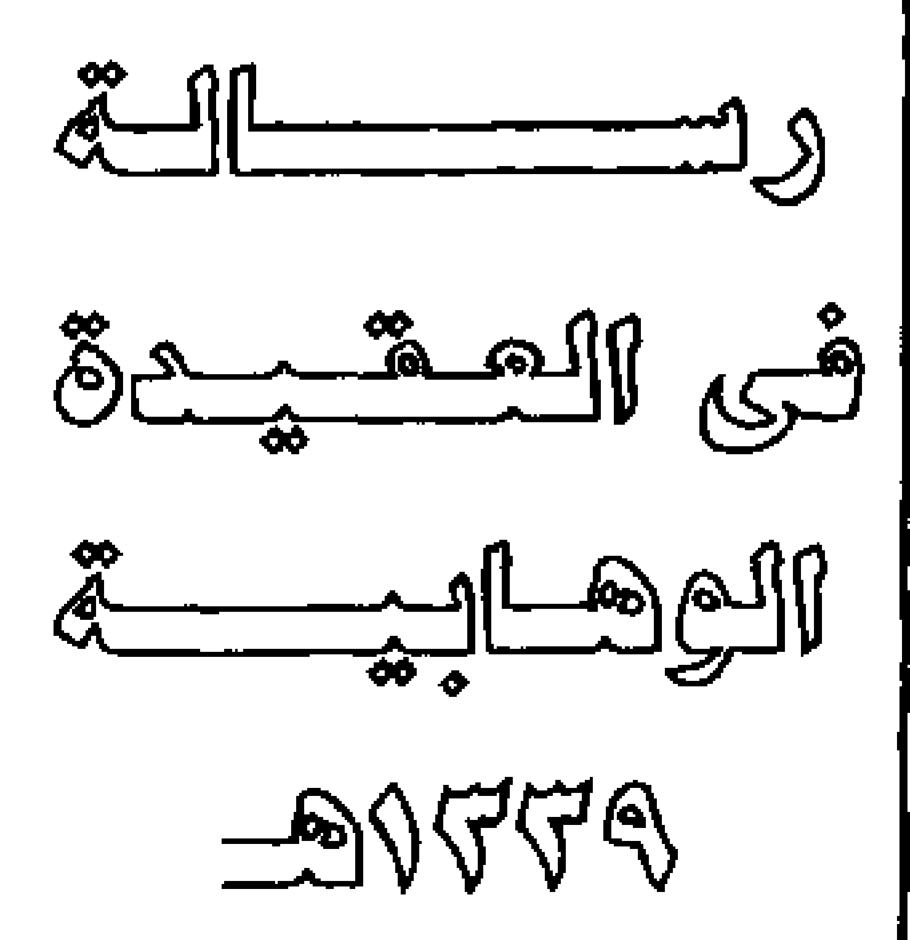
رسالة كتب بها الشيخ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية كتبتها من خط قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة رحمه الله وكتبها هو من خط الشيخ الحافظ أبي سعيد بن العلائي وهو كتبها من خط مرسلها الشيخ شمس الدين.

الحمد لله على ذلتي، يارب ارحمني واقلني عشرتي، واحفظ عليّ إيماني، واحزناه على قلة حزني، وا أسفاه على السنة وذهاب أهلها. وا شوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني عل البكاء. وا حزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات. آه على وجود درهم حلال وأخ مونس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس. وتبا لمن شغله عيوب الناس عن عيبه. إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك!. إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك عباراتك وتذم العلماء وتتبع عورات الناس مع علمك بنهي الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تذكروا موتاكم إلا بخير، فإنهم قد أفضوا ما قدموا) بلى أعرف أنك تقول لن لتنصر نفسك: إنما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شموا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو جهاد. بلى والله عرفوا خيراً كثيراً مما إذا عمل به العبد فقد فاز وجهلوا شيئا كثيرا مما لا يعنيهم، ومن حسن إسلام المرد تركه ما لا يعنيه. يارجل بالله عليك كف عنك فإنك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام، إياكم والغلوطات في الدين كره نبيك صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال:

(إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان) وكثرة الكلام بغير زلل تقسي القلوب إذا كان في الحلال والحرام، فكيف إذا كان في عبارات اليونسية والفلاسفة وتلك الكفريات التي تعمي القلوب. والله قد صرنا ضحكة في الوجود فإلى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية لنرد بعقولنا، يارجل قد بلعت (سموم) الفلاسفة وتصنيفاتهم مرات. وكثرة استعمال السموم يدمن عليه الجسم وتكمن

والله في البدن، واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبير وخشية بتذكر وصمت بتفكر. واها لمجلس يذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، بلى عند ذكر الصالحين ذكرون بالازدارد واللعنة، كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقين فواخيتهما بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب وجدوا في ذكر بدع كنا نعدها من أساس الضلال قد صارت هي محض السنة وأساس التوحيد ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار، ومن لم يكفر فهو أكفر من فرعون، وتعد النصارى مثلنا، والله في القلوب شكرك إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد. ياخيبة من اتبعك فإنه معرض للزندقة والانحلال لا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليا شهوانيا. لكنه ينفعك ويجاهد عندك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل أو عامي كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوى المكر أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل، يا مسلم أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها وتعادى الأخيار، إلى كم تصادقها وتزدرى الأرار، إلى كم تعظمها وتصغر العباد. إلى متى تخاللها وتمقت الزهاد. إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح - والله - بها أحاديث الصحيحين، ياليت أحاديث الصحيحين تسلم منك، بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والإهدار أو بالتأويل والإنكار، أما أن لك أن ترعوى؟ أما حان لك أن تتوب وتنيب؟ أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل. بلى - والله - ما أذكر أنك تذكر الموت بل تزدرى بمن نذكر الموت فما أظنك تقبل على قولي ولا تصغي إلى وعظي بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات وتقطع لي أذناب الكلام ولاتزال تنتصر حتى أقول: والبتة سكت، فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحب الواد فكيف حالك عند أعدائك، وأعداؤك - والله - فيهم صلحاء ، وعقلاء، وفضلاء، كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر، قد رضيت منك بأن تسبني علانية وتنتفع بمقالتي سراً (فرحم الله إمرءاً أهدى إلى عيوبي) فإني كثير العيوب غزير الذنوب. الويل لي إن أنا لا أتوب، ووافضيحتي من علام الغيوب ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وخاتم النبيين وعلى اله وصحبه أجمعين.

وهنا انتهت صورة رسالة الذهبي إلى ابن تيمية وفيها عبر بالغة. وليكن هذا آخر تكملة الرد على نونية ابن القيم وبها يكون إن شاء الله تعالى (تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم).


رسالة
فى العقيدة
الوهابية
١٣٣٩هـ

«أما بعد» فإنه لما كان في هذه السنة (وهى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وألف) من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التحية، بعثنا الإمام المقدم، والرئيس المفضل الفخم، صاحب السعادة والسيادة عبدالعزيز بن عبدالرحمن فيصل آل سعود .

أعلى الله سعوده، وأدام للمسلمين وجوده لأجل تعليمكم ما أوجبه الله عليكم، وتعبدكم به في دين الإسلام، الذي معرفته والعمل به والبصيرة فيه سبب لدخول الجنة، والجهل به والإعراض عنه وعدم قبوله والانقياد له سبب لدخول النار، فلما قدمنا بعض جهاتكم رأينا أهلها قد جال بهم الشيطان والهوى، وتمادوا في الطغيان، والإعراض عن النور والهدى وفرقوا أمرهم وكانوا شيعاً، وغلب عليهم الجهل وإيثار الشهوات، واستجابوا لداعي الشبهات، فوقعوا في وادي جهل خطير، فهم على شفا حفرة من السعير، وغلب على أكثرهم الاعتقاد في أهل القبور والأحجار والغيران وتعظيم أهل الصلاح من المقبورين؟ وهذا هو دين أهل الجاهلية الأولين، الذي بعث فيهم سيد المرسلين وإمام المتقين.

فلما رأينا ذلك وجب علينا الدعوة إلى الله بالحجج والبراهين، وهى طريقة النبي الأمين، وسبيل من اتبعه من الصحابة والتابعين، وسلك مناهجهم إلى يوم الدين.

كما قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا كم المشركين) وكتبنا من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والعقائد السلفية، إلى القبائل والبلدان، بعد ما سفت عليها السوافي، وقل من يعرفها من أهل القرى والبوادي، نصحا لله ولرسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين، وصار بعض الناس يسمع بنا معشر الوهابية، ولا يعرف حقيقة ما نحن عليه، وينسب إلينا، ويضيف إلى ديننا ما لا نعدو إليه، فبعضهم يتقول علينا وينسب إلينا السفاسف والأباطيل، تنفيراً للناس عن قبول هذا الدين وصدا لهم عن توحيد رب

العالمين، فأوجب لنا تسويد هذه العجالة، بياناً لما نعتقده وندين الله به وندعو إليه ونجاهد الناس عليه فاعلموا أن حقيقة ما نحن عليه، وما ندعوا إليه ونجاهد على التزامه والعمل به دين الإسلام، والتزام أركانه وأحكامه الذى أصله وأساسه (شهادة أن لا إله إلا الله) والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له.

وهذه العبادة مبنية على أصلين: كمال الحب لله مع كمال الخضوع والذلة له، والعبادة لها أنواع كثيرة.

فمن أنواعها الدعاء، وهو من أجل أنواع العبادة، وسماه الله عبادة فى عدة مواضع من كتابه كما قال تعالى:

(وقال ربكم ادعونى استجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) ونظائر هذا فى القران كثيرة.

وفى الحديث (الدعاء مخ العبادة).

فنقول: لا يدعى إلا الله، ولا يستغاث فى الشدائد وجلب الفوائد إلا به، ولا يذبح القربان إلا لله ولا ينذر إلا له، ولا يخاف خوف السر إلا منه وحده، ولا يتوكل إلا عليه ولا يستعان إلا به، وليس لأحد من الخلق شىء من ذلك، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الأولياء ولا الصالحين ولا غيرهم، فلله حق لا يكون لغيره، وحقه تعالى إفراده بجميع أنواع العبادة، فلا تأله القلوب محبة وإجلالا وتعظيما وخوفا ورجاء إلا الله، فهذه الحكمة الشعرية الدينية، والأمر المقصود فى إيجاد البرية.

قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ومعنى يعبدون يوحدون، والعبادة هى التوحيد لأن الخصومة بين الرسل وأممهم فيه، قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقا تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً).

فمن دعا غير الله من ميت أو غائب أو استغاث به فهو مشرك كافر، وإن لم يقصد إلا مجرد التقرب إلى الله وطلب الشفاعة عنده، وقد دخل كثير من هذه الأمة فى الشرك بالله والتعليق على سواه، ويسمون ذلك توسلا وتشفعا، وتغيير الأسماء لا

اعتبار به، ولاتزول حقيقة الشيء ولا حكمه بزوال اسمه وانتقاله في عرف الناس باسم آخر.

ولما علم الشيطان أن النفوس تنفر من تسمية ما يفعله المشركون تألهاً أخرجه في قالب آخر تقبله النفوس، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها) وكذلك من زنى وسمى ما يفعله نكاحا. فتغيير الأسماء لا يزيل الحقائق، وكذا من ارتكب شيئاً من الأمور الشركية فهو مشرك وإن سمى ذلك توسلا وتشفعاً.

يوضح ذلك ما ذكر الله في كتابه عن اليهود والنصارى بقوله تعالى (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية. وروى الإمام أحمد الترمذي وغيرهما أن عدي بن حاتم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد تنصر في الجاهلية فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية. قال يارسول الله إنهم لم يعبدوهم - فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى أنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فذلك عبادتهم إياهم.

وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان في تفسير هذه الآية إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا، فهؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية لم يسموا أخبارهم ورهبانهم أرباباً، ولا آلهة، ولا كانوا يظنون أن فعلهم هذا معهم عبادة لهم. ولهذا قال عدي أنهم لم يعبدوهم.

وحكم الشيء تابع لحقيقته لا لاسمه ولا لاعتقاد فاعله.

فهؤلاد كانوا يعتقدون أن طاعتهم في ذلك ليست بعبادة لهم، فلم يكن ذلك عذر لهم. مزيلا لاسم فعلهم ولا لحقيقته وحكمه.

يوضح ذلك ما روى الترمذي وصححه عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشتركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات نوط، فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل

لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتتبعن سنن من كان قبلكم.

فهؤلاء ما كانوا يظنون أن الذى طلبوه مما تنفيه (لا إله إلا الله) فلم يكن جهلهم مغيرا لحقيقة هذا الأمر وحكمه.

ومن كان له معرفة بما بعث الله به رسوله علم أن ما يفعل عند القبور من دعاء أصحابها والاستغاثة بهم، والعكوف عند ضرائحهم والسجود لهم، والنذر لهم أعظم وأكبر من فعل الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

وأقبح وأشنع من قول الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

قال بعض العلماء المحققين رحمهم الله تعالى: وإذا كان إتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عليها إتخاذ إله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده، فأى نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون؟ انتهى.

ولقد حمى النبى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد، وسد الذرائع التى تفضى إلى الشرك والتنديد. فقال فيما صح عنه صلى الله عليه وسلم «اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ونهى عن إيقاد السرج عليها فقال صلى الله عليه وسلم: «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» ونهى أن تتخذ عيداً. ونهى عن البناء عليها. وزمر بتسويتها بالأرض. كما روى مسلم في صحيحه عن أبى الهياج الأسدى قال قال لى: على رضى الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبراً ماشرفا إلا سويته، ونهى عن تجصيص القبور وعن الكتابة عليها.

فنحن ننكر الغلو فى أهل القبور والإطراء والتعظيم ونهدم البنايات التى على قبور الأموات لما فيها من الغلو والتعظيم الذى هو أعظم وسائل الشرك بالله.

وهذه الأمور التى أوجبت عبادتها من دون الله ابتدعها أناس أرادوا بها التعظيم وإظهار تشريفهم، فجاء من بعدهم فعبدوهم من دون الله،وقصدو منهم كشف الملمات، وسألوهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، واعتقدوا هذا

الشرك الوخيم قربة وديناً يدينون به، واشتد نكيرهم على من انكر ذلك وحذر عنه، ورموه بالزور والبهتان والله ناصر دينه في كل زمان ومكان، ولكنه يمتحن حزبه منذ كانت الفتنتان.

ومما نعتقده وندين الله به الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره ونؤمن بأسماء الله تعالى وصفاته، ونثبت ذلك على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل وننزه الله عما لا يليق بجلاله تنزيها بلا تعطيل.

ونعتقد بأن الله سبحانه وتعالى مستو على عرشه، عال على خلقه وعرشه فوق السموات، وهو بائن عن مخلوقاته، ولا يخلو مكان من علمه.

قال تعالى: (الرحمن على العرش استوى).

فنؤمن باللفظ ونثبت حقيقة الاستواء ولا نكيف ولا نمثل، لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو.

قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله، وبقوله نقول وقد سأله رجل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم، والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فأثبت مالك رحمه الله الاستواء ونفى علم الكيفية.

وكذلك اعتقادنا في جميع أسماء الرب وصفاته من الإيمان باللفظ وإثبات الحقيقة، ونفي علم الكيفية،

والقول الشامل في ذلك أنا نصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لا نتجاوز القرآن والحديث.

فمن شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر.

قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

فسبحان من لا سمي له ولا كفو له، وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثاً من خلقه.

ونؤمن بما ورد من أن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول (هل من سائل لأعطيه سؤاله؟ هل من مستغفر فاغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟).

ونعتقد أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود؛ وأن الله تكلم به حقيقة وسمعه جبريل من البارى سبحانه، ونزل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولا نقول بقول الأشاعرة ولا غيرهم من أهل البدع.

ونؤمن أن الله فعال لما يريد. لا يكون شيء إلا بقضائه وقدره ولا محيد لأحد عن القدر. ولا يتجاوز ما خط فى اللوح المسطور.

ونؤمن بآيات الوعيد والأحاديث الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا نقول بتخليد أحد من المسلمين من أهل الكبائر فى النار كما تقول الخوارج والمعتزلة. لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث الصحيحة أنه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وأخراجهم من النار بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيمن يشفع له من أهل الكبائر من أمته وشفاعة غيره من الملائكة والأنبياء ولا نقف فى الأحكام المطلقة، بل نعلم أن الله يدخل النار من يدخلها من أهل الكبائر، وآخرون لا يدخلونها لأسباب تمنع من دخولها كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحوها.

ونعتقد أن الله يفعل ما يفعله لحكمة وأسباب. وهو تبارك وتعالى خالق الأسباب ومسبباتها.

ولا نشهد لشخص معين بجنة ولا نار. لأن حقيقة باطنه وما مات عليه لا نحيط به. ولكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء. إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولا نكفر أحداً من أهل الإسلام بكل ذنب دون الشرك ولا نخرجه من دائرة الإسلام بارتكاب كبيرة.

ونؤمن بما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم بما يكون بعد الموت.

ونؤمن بفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبإعادة الزرواح إلى أجسادها فيقوم الناس لرب العالمين فى موقف القيامة حفاة عراة غرلا. وتدنو منهم الشمس فيلجمهم العرق وتنصب الموازين وتنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ونؤمن بحوظ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ونؤمن بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وأنه أول شافع وأول مشفع. ولا ينكرها إلا مبتدع ضال. وأنها لا تقع إلا بعد الإذن والرضا.

كما قال تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى).

وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ولا يأذن إلا لأهله.

قال أبو هريرة رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم: من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله؟ قال سمن قال لا إله الله خالصا من قلبه» فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن اشرك بالله. قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين).

ونؤمن أن الله تعالى خلق الجنة، وأنها موجودة الآن وأن الله أعدها لمن أطاعه واتقاه.

وأن الله خلق النار وأنها موجودة الآن وأن الله أعدها لمن كفر به وعصاه.

ونؤمن أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم فى الجنة كما يرى القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته، قال تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال تعالى أحسنوا الحسنى وزيادة وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (الحسنى الجنة. والزيادة النظر إلى وجهه تعالى).

ونؤمن أن محمدا صلى الله اليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين.

وأن افضل امته ابوبكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على، ثم بقية العشرة ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم اجمعين.

ونتولى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونترضى عنهم ونستغفر لهم ونذكر محاسنهم وفضائلهم ونكف عما شجر بينهم.

ونترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات المبرات من كل سوء. وإن فضلاهن

عائشة. ونبرأ من قول الزيدية وغيرهم من أهل البدع.

ونرى الجهاد مع كل إمام براً كان او فاجراً منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى أن يقاتل اخر هذه الامة الدجال.

ونرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية، ونرى هجر أهل البدع ومباينتهم.

ونرى أن كل محدثة فى الدين بدعة.

ونرى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل قادر بحسب قدرته واستطاعته أما بيده، فإن تعذر فبقلبه، كما فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

ونعتقد أن الإيمان قول باللسان. وعمل بالأركان. واعتقاد بالجنان. يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما فى الحديث الصحيح «الإيمان بضع وستون - أو بضع وسبعون - شعبة. أعلاها قول لا إله إلا الله؛ وأدناها أماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

ونعتقد أن الله أكمل الدين، وأتم نعمته على العالمين. يبعثه محمداً الرسول الأمين. الأنبياء والمرسلين. صلوات الله وسلامة عليه دائما إلى يوم الدين. قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا).

فلما أكمل الله به الدين. وبلغ البلاغ المبين. قبضه الله إليه وتوفاه فاختار له الرفيق الأعلى.

ونعتقد أن رتبته صلى الله عليه وسلم أعلى رتب المخلوقين على الإطلاق وأنه حى فى قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها فى التنزيل إذ هو أفضل منهم بلا ريب. وأنه يسمع سلام المسلم عليه. وأما الحياة التى تقتضى العلم والتصرف والحركة فى التدبير فهى منفية عنه صلى الله عليه وسلم.

وبالجملة فعقيدتنا فى جميع الصفات الثابتة فى الكتاب والسنة عقيدة أهل السنة والجماعة. نؤمن بها ونمرها كما جاءت مع إثبات حقائقها. ومادلت عليه من غير

تكييف ولا تمثيل ومن غير تعطيل ولا تبديل ولا تأويل.

وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة فى الفروع والأحكام. ولا ندعي الاجتهاد. وإذا بانت لنا سنة صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عملنا بها. ولا نقدم عليها قول أحد كائنا من كان. بل نتلقاها بالقبول والتسليم. لأن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدورنا أجل وأعظم من أن نقدم عليها قول أحد.

فهذا الذى نعتقده وندين الله به. فمن نسب عنا خلاف ذلك أو تقول علينا ما لم نقل غير ما ذكرنا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. وحسابنا وحسابه عند الله الذى تنكشف عنده السرائر. وتظهر لديه مخبآت الصدور والضمائر (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل).

وحسبنا الله ونعم الوكيل. وصلى الله على محمد النبى الأمين. وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين أ هـ.

نص فتوى الشيخ سليم البشري في ابن تيمية والوهابية

استفز بروز التيار الوهابى فى مصر فى أوائل هذا القرن الكثير من العلماء بكثير من أطروحاته التى تشير إلى التجسيم وإثبات الجهة ونسبة ذلك إلى ابن تيمية مما دفع بأحد العلماء إلى توجيه سؤال إلى الشيخ البشرى يسأله رايه حول هذا الأمر الذى يدعى نسبته إلى السلف.

يقول الشيخ البشير: قد أرسلتم بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٢٥ هـ مكتوباً مصحوباً بسؤال عن حكم من يعتقد ثبوت الجهة له تعالى. فحررنا لكم الجواب الآتى وفيه الكفاية لمن اتبع الحق وانصف. جزاكم الله عن المسلمين خيراً ، أعلم أيدك الله بتوفيقه وسلك بنا وبك سواء طريقه، أن مذهب الفرقة الناجية وما عليه أجمع السنيون أن الله تعالى منزه عن مشابهة الحوادث مخالف لها فى جميع سمات الحدوث ومن ذلك تنزهه عن الجهة والمكان كما دلت على ذلك البراهين القطعية، فإن كونه فى جهة يستلزم قدم الجهة أو المكان وهما من العالم وهو ما سوى الله تعالى وقد قام البرهان القاطع على حدوث كل ما سوى الله بإجماع من اثبت الجهة ومن نفاها. لأن المتمكن يستحيل وجود ذاته بدون المكان مع أن المكان يمكن وجوده بدون المتمكن لجواز الخلاء، فيلزم إمكان الواجب ووجوب الممكن وكلاهما باطل لأنه لو تحيز لكان جوهراً لاستحالة كونه عرضا. ولو كان جوهراً فإما أن ينقسم وإما أن ينقسم وكلاهما باطل فإن غير المنقسم هو الجزء الذى لا يتجزأ وهو أحقر الأشياء. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. والمنقسم جسم وهو مركب والتركيب ينافى الوجوب الذاتى. فيكون المركب ممكنا يحتاج إلى علة مؤثرة وقد ثبت بالبرهان القاطع أنه تعالى واجب الوجود لذاته غنى عن كل ما سواه مفتقر إليه كل ما عداه، سبحانه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير.. هذا وقد خذل الله أقواما أغواهم الشيطان وأذلهم فاتبعوا أهواءهم وتمسكوا بما لا يجدى فاعتقدوا ثبوت الجهة لله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراء واتفقوا على أنها جهة فوق. إلا أنهم افترقوا فمنهم من اعتقد أنه جسم مماس للسطح الأعلى من العرش وبه قال الكرامية واليهود، وهؤلاء لا نزاع

فى كفرهم، ومنهم من أثبت الجهة مع التنزيه، وأنه كونه فيها ليس ككون الأجسام، وهؤلاء ضلال فاق فى عقيدتهم وإطلاقهم على الله ما لم يأذن به. ولامرية أن فاسق العقيدة أقبح وأشنع من فاسق الجارحة بكثير سيما من كان داعية أو مقتدى به. وممن نسب إليه القول بالجهة من المتأخرين ابن تيمية الحرانى الحنبلى الدمشقى من علماء القرن الثامن فى ضمن أمور نسبت إليه خالف الإجماع فيها عملاً برأيه وشنع عليه معاصروه بل البعض منهم كفروه. ولقى من الذل والهوان ما لقى وقد انتدب بعض تلامذته للذب عنه وتبرئته مما نسب إليه وساق له عبارات أوضح معناها وأبان غلط الناس فى فهم مراده.. واستشهد بعبارات له أخرى صريحة فى دفع التهمة عنه وأنه لم يخرج عما عليه الإجماع. وذلك هو المظنون بالرجل لجلالة قدره ورسوخ قدمه، وما تمسك به المخالفون القائلون بالجهة أمور واهية وهمية لا تصلح أدلة عقلية ولا نقلية قد أبطلها العلماء بما لا مزيد عليه، وما تمسكوا به ظواهر آيات وأحاديث مرهمة كقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) وقوله: (إليه يصعد الكلم الطيب) وقوله: (تعرج الملائكة والروح إليه) وقوله (أأمنتم من فى السماء إن يخسف بكم الأرض) وقوله (وهو القاهر فوق عباده) وكحديث: «أنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة». وفى رواية: فى كل ليلة جمعة فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ وكقوله للجارية الخرساء. أين الله فأشارت إلى السماء، حيث سألت بأين التى للمكان ولم ينكر عليها الإشارة إلى السماء بل قال إنها مؤمنة. ومثل هذه يجاب عنها بأنها ظواهر ظنية لا تعارض الأدلة العقلية اليقينية الدالة على انتفاء المكان والجهة فيجب تأويلها وحملها على محامل صحيحة لا تأباها الدلائل والنصوص الشرعية إما تأويلا إجمالياً بلا تعيين للمراد منها كما هو مذهب السلف وإما تأويلا تفصيلياً بتعيين مجاملها وما يراد منها كما هو رأى الخلف. وكقولهم إن الإستواء بمعنى الاستيلاء كما فى قول القائل:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق.

وصعود الكلم الطيب إليه قبوله ورضاه به لأن الكلم عرض يستحيل صعوده، وقوله (من فى السماء) أى: أمره وسلطانه أو ملك من ملائكته موكل بالعذاب وعروج الملائكة والروح إليه صعودهم إلى مكان يتقرب إليه فيه وقوله (فوق عباده) أى

بالقدرة والغلبة فإن كل من قهر غيره وغلبه فهو فوقه أى عال عليه بالقهر والغلبة كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان أى أنه أقدر منه وأغلب ونزوله إلى السماء محمول على لطفه ورحمته وعدم المعاملة بما يستدعيه علو رتبته وعظم شأنه على سبيل التمثيل. وخص الليل لأنه مظنة الخلوة والخضوع وحضور القلب، وسؤاله للجارية (بأين) استكشاف لما يظن بها اعتقاده من المعبود كما يعتقد الوثنيون، فلما أشارت إلى السماء فهم أنها إرادة خالق السماء فاستبان أنها ليست وثنية وحكم بإيمانها وقد بسط العلماء فى مطولاتهم تأويل كل ما ورد من أمثال ذلك عملا بالقطعى وحملاً للظن عليه فجزاهم الله عن الدين وأهله خير الجزاء. ومن العجيب أن يدع مسلم قول جماعة المسلمين وأئمتهم ويتشدق بترهات المبتدعين وضلالتهم أما سمع قول الله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) فليتب إلى الله تعالى من تلطخ بشىء من هذه القاذورات ولا يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر، ولا يحملنه العناد على التمادى والإصرار عليه فإن الرجوع إلى الصواب عين الصواب والتمادى على الباطن يفضى إلى أشد العذاب. (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً).

- نص الفتوى من كتاب فرقان القرآن ط - القاهرة بدون ناشر

الفهرس

الصفحة

- تقديم ٧
- من هم أها السنة . . ؟ ١١
- ركائز أهل السنة : ٢٥
● الروايات .
● التأويل والتبرير .
● الرجال .
- نصوص العقيدة : ―――― ٤١
● عقيدتهم فى الله .
● عقيدتهم فى القرآن .
● عقيدتهم فى الرسول .
● عقيدتهم فى الحكام .
- جانبى العقيدة : ―――― ٩٢
● الجانب السياسى .
● الجانب المذهبى .
- أهل السنة بين الماضى والحاضر : ١١١
● دائرة الماضى .
● الحنابلة .
ابن تيمية .
● دائرة الحاضر .
● الوهابيون .
● التيارات الاسلامية .
- أهل السنة نهج اليهود والنصارى . ―――― ١٤٢

- ملاحق الكتاب.

- ملاحق الكتاب ١٥٩
● متون عقائد أهل السنة ....
● عقيدة أهل السنة لابن حنبل ١٦٠
● عقيدة أهل السنة لابن الحسن الاشعرى ١٧٤
● العقيدة الطحاوية لابن جعفر الطحاوى ١٩٤
● لمعة الاعتقاد لابن قدامية المقدس ٢٠٢
● العقيدة النسفية للنسفي. ________ ٢١٤
● العقيدة الواسطية لابن تيمية ________ ٢٢٠
● رسالة الذهبي . ________ ٢٣٨
● رسالة في العقيدة الوهابية . ________ ٢٤٢
● فتوى الشيخ سليم البشرى . ________ ٢٥٣

أهم مصادر البحث :

- البخارى ..
- مسلم ..
- الترمذى ..
- ابوداود ..
- النسائى ..
- ابن ماجه ..
- البيهقى ..
- فتح البارى شرح البخارى لابن حجر العقلانى ..
- شرح مسلم للنووى ..
- مقالات الاسلاميين للاشعرى ..
- مسند أحمد ..
- العقيدة الطحاوية : ابو جعفر الطحاوى ..
- العقيدة الواسطية : ابن تيمية ..
- العقيدة النسفية : النسفى ..
- لمعة الاعتقاد : ابن قدامه المقدسى ..
-رسالة الثغر : الاشعرى ..
- عقيدة أهل السنة : ابن حنبل ..
- العواصم من القواصم : ابو بكر بن العربى ..
- الكامل فى التاريخ : ابن الأثير ..
-البداية والنهاية : ابن كثير ..
- مجموعة التوحيد : محمد عبد الوهاب ..
- فتاوى ابن تيمية ..
شرح أصول أهل السنة : اللالكائى ..

صدر للمؤلف :

- الحركة الاسلامية فى مصر : الواقع والتحديات ..
- مذكرات معتقل سياسى : ثلاث سنوات تحت التعذيب ..
- الشيعة فى مصر : من الامام على حتى الامامالخمينى ..
- عقائد السنة وعقائد الشيعة : التقارب والتباعد ..
- مصو وإيران : صراع الأمن والسياسة ..
- فقهاء النفط : راية الاسلام ام راية آل سعود ..
- السيف والسياسة : إسلام السنة أم اسلام الشيعة ..
- الخدعة : حقيقة الاسلام بين النص والسياسة ..
- زواج المتعة حلال: عند أهل السنة..

وتحت الطبع:

- فقة الهزيمة: دراسة فى أصول الفكر السلفى..
- أحاديث نبوية اخترعتها السياسة..
- السلفيون والشيعة..
- مصارع الحكام فى تاريخ الاسلام..
- جريمة الرأى فى تاريخ المسلمين..
- حركة آل البيت..
- العقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف..
- الأزهر والحكام..



أبسط مايقال فى عقيدة أهل السنة أنها عقيدة حكومية ومن صنع السياسة . عاشت فى أحضان الحكام منذ نشأتها وحتى اليوم . .

ولقد قدر لعقائد كثيرة أن تصبح فى ذمة التاريخ على الرغم من كونها تحمل الكثير من المقومات التى تكفل لها الاستمرار والبقاء وسبب ذلك يعود إلى معاداة الحكام لها وسعيهم الدائم لا ستئصالها . . ووضعت عقيدة اهل السنة فى مقام عال بعيداً عن ان ينال منها أحد واعتبرت امتداداً لعقيدة الرسول ﷺ والصحابة والسلف عموماً من التزم بها كان من الناجين من الحكام ومن النار ومن خالفها كان من الهالكين واصحاب دار البوار . . وعاش المسلمون فى ظل هذا الوهم الذى باركه الحكام وفقهاء السلاطين تحت حراسة كم هائل من الروايات المختلفة . .

وكان من الضرورى التصدى لهذا الطرح السنى الذى فرخ لنا اليوم الارهاب الفكرى والتطرف الحركى . .

وبداية هذه المواجهة بالطبع هى هدم الأساس الفكرى الذى تستمد منه حركة الارهاب والتطرف قوتها وشرعيتها . .

وهذا هو موضوع كتابنا هذا الذى يعد أول كتاب فى ميدان الفكر الاسلامى يتعرض لهذه القضية ذات الاهمية الكبيرة والحساسية البالغة أيضاً . .



٤٥ ش البطل أحمد عبد العزيز ت : ٣٤٧٧٤١٠
ميدان سفنكس خلف سينما سفنكس ت : ٢٤٦٣٥٣٥